

الاصحح

عن نبينا النبي الاعظم

الحسن بن سعيد العسيري

الجلال بن الجعفي

السيد جعفر بن محمد بن الجعفي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الصحيح

مَنْبِثَةُ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ
ﷺ

الْعَلَامَةِ الْمُتَحَقِّقِ
السَّيِّدِ جَعْفَرٍ مُتَضَيِّ الْعَالَمِي

الجزء الثاني عشر

الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ
(الجزء السادس والعشرون)

للعلماء المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي

الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر

المطبعة: دار الحديث

الطبعة: الثانية / ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م - ١٣٨٦ هـ

عدد المطبوع: ١٠٠٠ دورة



قم، شارع معلم، قرب الساحة الشهداء، الرقم ١٢٥

الهاتف: ٥٤٥-٧٧٤-٥٢٣ / ٧٧٤-٥٧١ / فاكس: ٧٧٤-٥٧١ / ص.ب. ٤٤٦٨ / ٣٧١٨٥

لبنان - بيروت - حارة حويك - خلف الضمان الاجتماعي - بناية فروزان - تليفاكس: ٢٧٢٦٦٤ - ١ - ٠٩٦١

BEIRUT - LEBANON Haret Herik Behind Center Forozan Bldg TeleFax: + 961 | 272664

<http://www.hadith.net>

ISBN (SET): 978 - 964 - 493 - 171 - 0

hadith@hadith.net

ISBN: 978 - 964 - 493 - 198 - 7

• جميع الحقوق محفوظة للناسخ •



الباب السادس

أحداث وسرايا.. إلى تبوك..

الفصل الأول: إبراهيم ابن النبي ﷺ، وربيتة زينب

الفصل الثاني: النبي ﷺ يعتزل نساءه أو يطلقهن

الفصل الثالث: أحداث وقضايا

الفصل الرابع: من سرايا السنة الثامنة

الفصل الخامس: عينية وبنو تميم

الفصل السادس: ترفيع الدلاء بكتاب رسول الله ﷺ

الفصل السابع: علي عليه السلام في اليمن

الفصل الثامن: عودة علي عليه السلام إلى اليمن

الفصل التاسع: علي عليه السلام في بني زبيد

الفصل العاشر: معاذ و أبو موسى في اليمن

الفصل الحادي عشر: صنم طيء.. وآل حاتم

الفصل الثاني عشر: السرايا ما قبل الأخيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين،
واللعنة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين..

وبعد..

نتابع حديثنا عن هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ الإسلام، والتي انتهت
بسقوط عنفوان الشرك، في المنطقة بأسرها.. لتكون الهيمنة المطلقة للإسلام
وللمسلمين، باعتراف صريح من رموز الشرك، وعتاته، وفراعتته، وجباريه.
وتتمثل نهايات هذه المرحلة بحسم الأمر بالنسبة لقبيلة هوازن في
حنين وأوطاس.. وسقوط ثقيف وخثعم في الطائف..

ثم تبع هذه المرحلة تداعيات طبيعية، تمثلت بانثيال وفود قبائل العرب
على المدينة، ليعلموا ولاءهم، وتأييدهم، وقبولهم بالإسلام ديناً، واعترافهم
بمحمد نبياً..

والذي يعيننا الحديث عنه في هذا الباب وفصوله هو عرض ما جرى
في حنين، وأوطاس، والطائف..

وأما الحديث عن الوفود، وعن سائر الأحداث الهامة، فنأمل أن نوفق
للتعرض له فيما سوى ذلك من أبواب إن شاء الله تعالى..
فنقول.. ونتوكل على خير مأمول ومسؤول:

بہارِ صحیفۂ ہدایت

میں نے یہاں تک کہ کلمہ پڑھا کہ "اے اللہ! میری دعا قبول فرما"
پھر میں نے یہ دعا پڑھی کہ "اے اللہ! میری دعا قبول فرما"

۱۰

میں نے یہاں تک کہ کلمہ پڑھا کہ "اے اللہ! میری دعا قبول فرما"

پھر میں نے یہ دعا پڑھی کہ "اے اللہ! میری دعا قبول فرما"

پھر میں نے یہ دعا پڑھی کہ "اے اللہ! میری دعا قبول فرما"

پھر میں نے یہ دعا پڑھی کہ "اے اللہ! میری دعا قبول فرما"

پھر میں نے یہ دعا پڑھی کہ "اے اللہ! میری دعا قبول فرما"

پھر میں نے یہ دعا پڑھی کہ "اے اللہ! میری دعا قبول فرما"

پھر میں نے یہ دعا پڑھی کہ "اے اللہ! میری دعا قبول فرما"

پھر میں نے یہ دعا پڑھی کہ "اے اللہ! میری دعا قبول فرما"

پھر میں نے یہ دعا پڑھی کہ "اے اللہ! میری دعا قبول فرما"

پھر میں نے یہ دعا پڑھی کہ "اے اللہ! میری دعا قبول فرما"

پھر میں نے یہ دعا پڑھی کہ "اے اللہ! میری دعا قبول فرما"

الفصل الأول:

ابراهيم ابن النبي ﷺ، وريبته زينب

1860-1861

2

1860-1861

وفاة زينب ربيبة الرسول ﷺ :

قال الصالحى الشامي: روى الطبراني مرسلًا برجال الصحيح، عن ابن الزبير: أن رجلاً أقبل بزينب بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلاحقه رجلان من قريش، فقاتلاه حتى غلباه عليها، فدفعاهما، فوقع على صخرة، فأسقطت وهريقت دمًا، فذهبوا بها إلى أبي سفيان، فجاءته نساء بني هاشم، فدفعها إليهن.

ثم جاءت بعد ذلك مهاجرة، فلم تزل وجعة حتى ماتت من ذلك الوجع، فكانوا يرون أنها شهيدة^(١).

وكانت وفاتها في أول سنة ثمان من الهجرة، فغسلتها أم أيمن، وسودة بنت زمعة، وأم سلمة.

وصلى عليها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ونزل في قبرها، ومعه أبو العاص. وكان جعل لها نعش، فكانت أول من اتخذ لها ذلك^(٢).

(١) مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢١٦ والمعجم الكبير للطبراني ج ٢٢ ص ٤٣٣ وتاريخ

مدينة دمشق ج ٣ ص ١٤٨ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٣١ عن الطبراني.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٣١ عن الطبراني وفي وفاتها راجع: البحار ج ٢١

ص ١٨٣ عن الكازروني، والمعجم الأوسط ج ٦ ص ٦٦ والطبقات الكبرى =

ونقول:

إن لنا على هذا النص ملاحظات عديدة، نذكر منها:

١ - قد ذكر: أن زينب زوجة أبي العاص بن الربيع هي بنت رسول الله ﷺ عليه وآله، والحال أننا قد ذكرنا في أوائل هذا الكتاب: أن الدلائل والشواهد تشير إلى أنها لم تكن بنتاً للنبي ﷺ عليه وآله على الحقيقة، وإنما كانت تنسب إليه، لأنها تربت عنده في بيته.

ولم نستبعد أن يكون لرسول الله ﷺ عليه وآله بنات أخريات باسم: زينب، ورقية، وأم كلثوم أيضاً، ولكنهن متنّ في حال الصغر، فراجع.

٢ - لا ندري لماذا لا يصرح ابن الزبير باسم الرجلين اللذين أدركا زينب في الطريق، وروعاها، مع أن التاريخ لم يبخل علينا بهذا الأمر، فإن هبّار بن الأسود هو الذي سبق إليها وروعها بالرمح، وأسقطها على الصخرة، فطرحها ذا بطنها.. وقد أهدر النبي ﷺ عليه وآله دمه في فتح مكة، وتقدمت قصته.

٣ - أما الرجل الذي أقبل بزينب ليسلمها إلى زيد بن حارثة، الذي أرسله النبي ﷺ عليه وآله لاستلامها، فهو نفس زوجها العاص بن الربيع، فلهحقه رجال من قريش فيهم: أبو سفيان، وهبّار بن الأسود، فسبق

= لابن سعد ج ٨ ص ٣٤ و ٤٥٥ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٢٥٠ والإصابة ج ٨ ص ١٥٢ وأعيان الشيعة ج ٣ ص ٤٨٢ وبشارة المصطفى ص ٤١٩ ونيل الأوطار للشوكاني ج ٤ ص ١٤٩ ومسند أحمد ج ٥ ص ٨٥ وصحيح مسلم ج ٣ ص ٤٨ وفتح الباري ج ٣ ص ١٠٣ وعمدة القاري ج ٨ ص ٣٩ و ٤٦ وتحفة الأحوذ ج ٤ ص ٧٥ والمصنف لابن أبي شيبة.

الفصل الأول: إبراهيم ابن النبي ﷺ، وربيته زينب ١٣
إليها هَبَّار، فكان ما كان حسبها أوضحناه^(١).

٤ - ما زعمه: من أنهم أخذوا زينب من زوجها قهراً، فذهبوا بها إلى أبي سفيان، غير دقيق، فإن الروايات أيضاً قد صرحت: بأن أبا سفيان كان حاضراً حين أسقطوها على الصخرة، فألقت ذا بطنها، فبرك حموها كنانة بن الربيع ونثل كنانته بين يديه، وتهدهم، فتكركر الناس.
ففاوضه أبو سفيان، وأقنعه: بأن ترجع إلى مكة. يسألها سرّاً، حتى لا يظن الناس أن إخراجها جهاراً كان عن ذل أصابهم، ودليل وهن وضعف منهم.
فأرجعها إلى مكة، فبقيت عند هند بنت عتبة، ثم انسلت إلى زيد بن حارثة، فقدم بها على رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(٢).

(١) مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٤٢ و ٤٤ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢١٦ عن الطبراني وقاموس الرجال ج ١٠ ص ٢٦٦ و ٢٦٧ وراجع: شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ١٩٢ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٥١ وج ٧ ص ١٤١ والبحار ج ١٩ ص ٣٥١ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٣٩٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٥١٦ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ١٦٥ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٤٨٠ والمتخب من ذيل المذيل ص ٢ والإستيعاب ج ٤ ص ١٥٣٦ و ١٨٥٣ و ١٨٥٤ وقاموس الرجال ج ١٢ ص ٢٦٦ وعيون الأثر ج ٢ ص ١٩٦ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٩ وأسد الغابة ج ٥ ص ٥٣ والوافي بالوفيات ج ٢٧ ص ١٣٢ ومناقب أهل البيت للشيرازي ص ٤٤٤ وتخريج الأحاديث والآثار ج ٣ ص ٤٥٣ والوافي بالوفيات ج ٢٧ ص ١٣٢.

(٢) ذخائر العقبى ص ١٥٧ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢١٥ وراجع: شرح النهج ج ١٤ ص ١٩٢ و ١٩٣ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ١٩٣ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٢٣ والمستدرك للحاكم ج ٤ ص ٤٢ و (ط دار الكتب العلمية) ص ٤٥ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٥١ والبحار ج ١٩ ص ٣٥١.

١٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

٥ - وقد ذكرت رواية الطبراني: أنها حين توفيت جُعل لها نعش، فكانت أول من اتَّخذ لها ذلك.

ولكننا قد ذكرنا حين الكلام عن زواج النبي «صلى الله عليه وآله» بزَيْنَب بنت جَحْش: أنهم يقولون عن زَيْنَب أيضاً: أنها حين ماتت صنعوا لها نعشاً، وأنها كانت أول من اتَّخذ لها ذلك.

وقلنا هناك: إن الصحيح، هو: أن أول من صنع لها نعش هي فاطمة الزهراء «عليها السلام».

٦ - قد ذكرنا في باب «ما بين بدر وأحد»، فصل: «شخصيات وأحداث» كلام النقيب أبي جعفر مع ابن أبي الحديد المعتزلي حول موقف النبي «صلى الله عليه وآله» من إسقاط زَيْنَب لجَنِينِها، وما يتوقعه من موقف له «صلى الله عليه وآله».

وأشرنا هناك إلى موضوع إسقاط الزهراء «عليها السلام» للمحسن، بسبب العدوان عليها في يوم وفاة أبيها «صلى الله عليه وآله»، بالإضافة إلى أمور أخرى قد يكون الرجوع إليها مفيداً أيضاً.

مهلاً يا عمر، دعهن ييكنن:

وقالوا: لما ماتت زَيْنَب بنت (ربيبة) رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ألحقوها بسلفنا الحَيْر، عثمان بن مظعون، فبكت النساء، فجعل عمر يضربهن بسوطه، فأخذ رسول الله «صلى الله عليه وآله» يده وقال: مهلاً يا عمر، دعهن ييكنن، وإياكن ونعيق الشيطان.

الفصل الأول: إبراهيم ابن النبي ﷺ، وربيته زينب ١٥

إلى أن قال: وقعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» على شفير القبر، وفاطمة «عليها السلام» تبكي، فجعل النبي «صلى الله عليه وآله» يمسح عين فاطمة بثوبه رحمة لها^(١).

ونقول:

١ - قد رويت هذه الحادثة في مناسبة وفاة رقية أختها^(٢).

والروايات تؤكد على: أن هذا الفعل قد تكرر من عمر أمام رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» ينهائهم ويزجرهم في كل مرة، وبقي يفعل ذلك بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولكنه سمح لعائشة بالبكاء على أبيها، وظل يضرب سائر النساء من أجل ذلك. وقد ذكر العلامة الأميني «عليه الرحمة والرضوان» طائفة من هذه

(١) راجع: مسند أحمد ج ١ ص ٢٣٧ ومجمع الزوائد ج ٣ ص ١٧ وتحفة الأحوذ ج ٤ ص ٧٥ والغدير ج ٦ ص ١٥٩ ونيل الأوطار ج ٤ ص ١٤٩ والمستدرک للحاكم ج ٣ ص ١٩٠ والإستيعاب ج ٣ ص ١٠٦٥.

(٢) ميزان الاعتدال (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١٢٩ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٥ ص ١٧٥ والفصول المهمة للسيد شرف الدين ص ٩١ والمجالس الفاخرة للسيد شرف الدين ص ٢٧ ومسند أحمد ج ١ ص ٣٣٥ ومستدرک الوسائل ج ٢ ص ٤٦٧ والنص والإجتهاد ص ٢٩٨ وجامع أحاديث الشيعة ج ٣ ص ٤٧٣ ومسند أبي داود الطيالسي ص ٣٥١ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٣٩٨ وج ٨ ص ٣٧ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٢٥١ والإصابة ج ٨ ص ١٣٨ وتاريخ المدينة لابن شبة ج ١ ص ١٠٢ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٢٢٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٣٥٧ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٠٢ والمعجم الكبير للطبراني ج ٩ ص ٣٧.

١٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

الموارد في كتابه القيم: «الغدير» ج ٦ ص ١٦٠ - ١٦٦ فراجعه..

٢- وعن موقف النبي «صلى الله عليه وآله» من فاطمة «عليها السلام»
نقول:

ليت النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» كان حاضراً يوم هجموا على بيتها، وأسقطوا جنينها، وأحرقوا بابها، وكشفوا بيتها، وتسببوا باستشهادها مظلومة مكلومة، ليكون «صلى الله عليه وآله» هو الذي ييلسم جراحها، ويكفكف دموعها، ويدافع عنها..

إبراهيم ابن رسول الله ﷺ:

وفي شهر ذي الحجة من سنة ثمان ولد إبراهيم ابن رسول الله «صلى الله عليه وآله» من مارية في موضع يقال له: العالية في المدينة، وكانت قابلتها سلمى زوجة أبي رافع، فأخبر زوجها أبو رافع رسول الله «صلى الله عليه وآله» بولادته، فوهب له عبداً.

وسماه النبي «صلى الله عليه وآله» إبراهيم، وعق عنه يوم سابعه بشاة، وحلق رأسه، فتصدق بزنة شعره فضة على المساكين، وأمر بشعره فدفن في الأرض.

وتنافست فيه نساء الأنصار أيتها ترضعه، فدفعه «صلى الله عليه وآله» إلى أم بردة بنت المنذر بن زيد، وزوجها البراء بن أوس.

وكان «صلى الله عليه وآله» يأتي أم بردة فيقبل عندها، ويؤتى بإبراهيم.

الفصل الأول: إبراهيم ابن النبي ﷺ، وربيته زينب ١٧

ويقال: دفعه إلى أم سيف امرأة قين بالمدينة، يقال له: أبو سيف^(١).

وغارت نساء رسول الله «صلى الله عليه وآله»، واشتد عليهن حين رزق منها الولد.

ولما ولدته جاء جبرئيل «عليه السلام» إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: «السلام عليك يا أبا إبراهيم»^(٢).

ونقول:

إن هناك جزئيات وتفصيل كثيرة ترتبط بنحو أو بآخر بإبراهيم ابن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولكن ربما يكون التعرض لذلك كله بالتحقيق والتحليل غير ممكن، من حيث إنه يستغرق وقتاً طويلاً وجهداً، ومعاناة قد يرى البعض أن يكون صرفهما في أمور أكثر حساسية وأهمية

(١) البحار ج ٢١ ص ١٨٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ٦٩ وج ٦ ص ١٢٧ وفتح الباري ج ٣ ص ١٣٩ وعمدة القاري ج ٨ ص ١٠٢ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٣ ص ٢٦٧ ومسند أبي يعلى ج ٦ ص ٤٢ وصحيح ابن حبان ج ٧ ص ١٦٢ والإستيعاب ج ١ ص ٥٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ١٣٦ وأسد الغابة ج ١ ص ٣٨ وج ٧ ص ١٦٦ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٦٩٩ والوافي بالوفيات ج ٦ ص ٦٧ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٢٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٢١ و ٢٢ عن ابن سعد، وعن البخاري، ومسلم، والبحار ج ٢١ ص ١٨٣ عن المتتقى للكاظمي، وراجع: البداية والنهاية ج ٤ ص ٤٣١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٧١٠ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٤٤٨ - ٤٥٠ ومجمع الزوائد ج ٤ ص ٣٢٩ وعمدة القاري ج ١٦ ص ١٠٠، وأي كتاب تاريخي أو حديثي يتحدث عن السيرة النبوية الشريفة.

١٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦
أولى وأوجب، ولعل بعضها له مساس قريب بما يهم الناس التعرف عليه،
وتمييز الصحيح منه عن غيره..
ولذلك، فنحن نقتصر هنا على التذكير ببضع نقاط، رأينا أنه لا ضير في
التعرض لها هنا.
فنقول:

عائشة: إبراهيم لا يشبهه النبي ﷺ:

ذكرت الروايات: أنه أتى النبي «صلى الله عليه وآله» بإبراهيم يوماً وهو
عند عائشة، فقال: انظري إلى شبهه.
فقالت: ما أرى شبهاً.
فقال: ألا ترين إلى بياضه ولحمه؟!

فقالت: من قصرت عليه اللقاح، وسقي ألبان الضأن سمن وابيض^(١).
وكانت عائشة تقول: «ما غرت على امرأة غيرتي على مارية، وذلك لأنها
كانت جميلة، جعدة الشعر، وكان النبي «صلى الله عليه وآله» معجباً بها، ورزق

(١) أنساب الأشراف ج ١ ص ٤٥٠ والبداية والنهاية ج ٨ ص ٧٠ والطبقات الكبرى
لابن سعد ج ٨ ص ٣٧ و (ط ليدن) ج ١ ق ١ ص ٨٨ والدر المنثور ج ٦ ص ٢٤٠
عن ابن مردويه، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٠٩ وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٨٧
والمستدرك للحاكم ج ٣ ص ٣٩ وتلخيصه للذهبي بهامشه، وقاموس الرجال
ج ١٢ ص ٣٠٢ وإمتاع الأسعاع ج ٥ ص ٣٣٦ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١
ص ١٣٧ وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٨٧.

الفصل الأول: إبراهيم ابن النبي ﷺ، وربيته زينب ١٩
منها الولد وحرمانه»^(١).

وعن الإمام الباقر «عليه السلام»: «أنه «صلى الله عليه وآله» حجب مارية، وكانت قد ثقلت على نساء النبي «صلى الله عليه وآله»، وغرن عليها، ولا مثل عائشة»^(٢).

وعنه أيضاً: أن إبراهيم لما هلك، وحزن عليه النبي «صلى الله عليه وآله»، قالت له عائشة: ما الذي يحزنك عليه؟ فما هو إلا ابن جريج. فبعث النبي «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام»، وأمره بقتله.. ثم تذكر الرواية: أنه وجده ما له ما للرجال، ولا ما للنساء. فقال «صلى الله عليه وآله»: «الحمد لله الذي صرف عنا أهل البيت سوء»^(٣).

(١) أنساب الأشراف ج ١ ص ٤٥٠ ووفاء الوفاء ج ٣ ص ٨٢٦ والإصابة ج ٤ ص ٤٠٥ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٨ ص ٣١١ وقاموس الرجال ج ١٢ ص ٣٤٣ عن أنساب الأشراف ج ١ ص ٤٤٨ و ٤٥٠ وراجع: البداية والنهاية ج ٣ ص ٣٠٣ و ٣٠٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ١٥٣ و (ط دار صادر) ص ٢١٢ وإمتاع الأسماع ج ٥ ص ٣٣٦ وج ٦ ص ١٣٠ ورسالة مارية للشيخ المفيد ص ٢٦ والمختب من كتاب أزواج النبي ج ١ ص ٥٧.

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٠٩ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج ١ ق ١ ص ٨٦ و (ط دار صادر) ج ١ ص ١٣٥ والإصابة ج ٤ ص ٤٠٥ والمتنظم ج ٣ ص ٣٤٥ ورسالة مارية للشيخ المفيد ص ٢٦.

(٣) تفسير القمي ج ٢ ص ٩٩ و ١٠٠ و ص ٣١٨ و ٣١٩ والبرهان (تفسير) ج ٣ ص ١٢٦ و ١٢٧ وج ٤ ص ٢٠٥ ونور الثقلين ج ٣ ص ٥٨١ و ٥٨٢ وراجع: البحار ج ٢٢ ص ١٥٥ و ١٥٤ و ٢٤٢ والتفسير الصافي ج ٣ ص ٤٢٤ وتفسير نور الثقلين ج ٣ ص ٥٨١ وتفسير الميزان ج ٥ ص ١٠٣ و ١٠٤ وراجع: علل =

وحديث الخصي، واتهام بعض الناس لمارية به، مذكور في كثير من المصادر^(١).

جبرئيل يرى مارية:

عن أنس قال: لما ولد إبراهيم لرسول الله «صلى الله عليه وآله» جاء جبرئيل «عليه السلام» إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: «السلام

= الشرائع ج ٢ ص ٢٦٧ وعن الخصال ج ٢ ص ١٢٠ - ١٢٦ وراجع: قاموس الرجال (ط أولى) ج ٣ ص ٢٧٩ و (ط مركز النشر الإسلامي) ج ١٢ ص ٣٠٢ و ٣٤٢ ومجمع البحرين ج ١ ص ٨٢ وجامع الشتات ص ٣٦.

(١) أنساب الأشراف ج ١ ص ٤٥٠ والإستيعاب (بهاشم الإصابة) ج ٤ ص ٤١١ ٤١٢ والإصابة ج ٣ ص ٣٣٤ وج ٤ ص ٤١١ و ٤١٢ وصحيح مسلم ج ٨ ص ١١٩ ومستدرك الحاكم ج ٤ ص ٣٩ و ٤٠ وتلخيص مستدرك الحاكم للذهبي، نفس الجزء والصفحة، والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٧٣ وج ٣ ص ٣٠٤ عن أحمد والمحل ج ١١ ص ٤١٣ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٠٩ و ٣١٢ وأسد الغابة ج ٥ ص ٥٤٢ و ٥٤٤ وج ٤ ص ٢٦٨ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣١٣ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ١٥٤ و ١٥٥ و (ط ليدن) ج ١ ق ١ ص ٨٨ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٦١ وج ٤ ص ٣٢٩ عن الطبراني في الأوسط، والأمالى للمرتضى ج ١ ص ٧٧ و (ط منشورات مكتبة المرعشي) ص ٥٤ وصفة الصفوة ج ٢ ص ٧٨ و ٧٩ وكشف الأستار عن مسند البزار ج ٢ ص ١٨٨ و ١٨٩ والبحار ج ٢٢ ص ٥٣ و ١٦٧ و ١٦٨ وعن أحمد، والضياء في المختارة والفائق ج ١ ص ٢٨٧ والدر المنثور ج ٦ ص ٢٤٠ وكثر العمال ج ٥ ص ٤٥٤ وأضواء على السنة المحمدية ص ٤٥ وتفسير مجمع البيان ج ٩ ص ٢٢٠ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣ ص ٢٣٦ وسيرة ابن إسحاق ج ٥ ص ٢٥٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٦٠٢ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٢١٩ وجامع الشتات ص ٣٦.

الفصل الأول: إبراهيم ابن النبي ﷺ، وربيته زينب ٢١
عليك يا أبا إبراهيم»^(١).

وفي نص آخر: لما ولد إبراهيم كاد يقع في نفس النبي «صلى الله عليه وآله»، حتى أتاه جبرئيل، فقال: «السلام عليك يا أبا إبراهيم»^(٢).
وأصرح من ذلك: ما روي: من أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لعمر: «ألا أخبرك يا عمر: إن جبرئيل «عليه السلام» أخبرني أن الله عز وجل قد برأ مارية وقريبها عما وقع في نفسي، وبشري: أن في بطنها غلاماً، وأنه أشبه الخلق بي، وأمرني أن أسميه إبراهيم»^(٣).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ١ ص ٥٣٧ وج ١١ ص ٢١ و ٢١٩ عن ابن سعد، والبحار ج ١٥ ص ٢٨٠ وج ١٦ ص ١٢٠ و ١٣١ وج ٢١ ص ١٨٣ والمستدرک للحاكم ج ٢ ص ٦٠٤ ومجمع الزوائد ج ٤ ص ٣٢٩ والآحاد والمثاني ج ٥ ص ٤٤٩ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٤٧ و ١٣٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣ ص ٤٤ و ١٣٣ والإصابة ج ١ ص ٣١٨ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ١ ص ٣٤ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٣٣٠ وإمتاع ج ٢ ص ١٤٨ والشفاء بتعريف حقوق المصطفى ج ١ ص ٢٣٥ وإعلام الوری ج ١ ص ٤٣ وكشف الغمة ج ١ ص ١٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٦١٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ١ ص ٥٣٧ وج ١١ ص ٢١ عن ابن مندة، والسنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٤١٣ وعمدة القاري ج ١٦ ص ١٠٠ وفيض القدير ج ٣ ص ٣٢٣.

(٣) كنز العمال ج ١١ ص ٤٧١ وج ١٤ ص ٩٧ عن ابن عساكر بسند حسن، والإصابة ج ٣ ص ٣٣٥ عن فتوح مصر لابن عبد الحكم، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣١٢ و ٣١٣ و (ط دار المعرفة) ص ٣٩٩ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٦٢ والإصابة ج ٥ ص ٥١٨ وراجع: دلائل الصدق ج ٣ ق ٢ ص ٢٦ وراجع: رسالة حول خبر مارية ص ٢٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣ ص ٤٦ وفتوح مصر وأخبارها للقرشي المصري ص ١٢١.

ثم أكد «صلى الله عليه وآله» على هذا الأمر حتى حين موت إبراهيم، فقد روي: أنه «لما توفي إبراهيم قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إن إبراهيم ابني، وإنه مات في الثدي، وإن له لظئرين تكملان رضاعه في الجنة»^(١).
فجبرئيل قد أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» ليس فقط بشبه ولده به، بل هو قد أخبره: بأنه أشبه الخلق به، حتى قبل أن يولد.

ولكن عائشة لا ترى أي شبه لإبراهيم برسول الله «صلى الله عليه وآله»، وجبرئيل يخبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأن هذا الطفل ابنه، وعائشة تقول لرسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد موت هذا الطفل: إنه ليس ولده، بل هو ابن جريج القبطي.. وتشكك في بنوته له قبل أن يولد أيضاً.
ورسول الله «صلى الله عليه وآله» يخبر عمر قبل أن تلد مارية ولده: بأن

(١) صحيح مسلم ج ٧ ص ٧٧ وفتح الباري ج ٣ ص ١٤٠ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٤٦ وعمدة القاري ج ٨ ص ١٠٣ والديباج على مسلم ج ٥ ص ٣٢٠ والجامع الصغير ج ١ ص ٣٣٠ وكنز العمال ج ١١ ص ٤٧٠ وج ١٢ ص ٤٥٥ وج ١٤ ص ٩٨ عن أبي نعيم، وراجع: رسالة حول خبر مارية ص ٣٠ ومسند أبي يعلى ج ٧ ص ٢٠٥ وفيض القدير ج ٢ ص ٥١٥ وتفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٢٩٠ ومعجم المحاسن والمساوي ص ٣٩٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ١٣٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣ ص ١٣٦ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٣٣١ وإمتاع الأسماع للمقريزي ج ٢ ص ٢٢٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٦١٣ وسبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٣٦١ والجمع بين الصحيحين ج ٢ ص ٦٥٥ ومشكاة المصابيح ج ٣ ص ١٦٢١ والمتنظم ج ٤ ص ١١ وراجع: سبل السلام ج ٣ ص ٢١٧ والمجازات النبوية ص ٣٨٣ ومسند أحمد ج ٣ ص ١١٢ وشرح مسلم للنووي ج ١٥ ص ٧٦.

الفصل الأول: إبراهيم ابن النبي ﷺ، وربيتة زينب ٢٣

جبرئيل قد برأ مارية مما قذفت به، وبأن الجنين ابنه..

وعائشة تبقى مصرة على قذف مارية قبل أن تلد ولدها، وبعد ولادتها، وحتى بعد موت ذلك الولد أيضاً.

قسوة وجرة:

وبعد.. فإن عظمة الرسول «صلى الله عليه وآله»، وهو أفضل وأشرف وأقدس خلق الله تعالى.. من شأنها: أن تجعل الناس جميعاً يترثون في الإقدام على أي موقف، أو التفوه بأية كلمة، أو القيام بأي تصرف في حضوره «صلى الله عليه وآله»..

وتفرض عليهم حسابات كثيرة في هذا الاتجاه، ويخضعون لهذا الواقع بصورة عفوية، ومن دون حاجة إلى توجيه أو دلالة من أحد..

أضف إلى ذلك: أن موقع النبوة، وقداسة الأنبياء، وعلاقة ذلك برضا الله تعالى، وبقبول الأعمال، وبالثواب والعقاب يفرض المزيد من الحذر، ومراقبة الإنسان لنفسه، ويحتم عليه السير نحو الانضباط التام في كل حركة وسكون، وقول وفعل، ما دام أن قيمة أي زلل أو خطئ سيكون هو مستقبل الإنسان ومصيره في الدنيا والآخرة.

ولكننا إذا رجعنا إلى حياة أم المؤمنين عائشة مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فسنجد: أنها لا تخضع لهذا التقدير، ولم تتأثر بهذا الواقع.. بل هي تبدو شديدة الإندفاع في الاتجاه الآخر، من خلال ما نشهده من جرة لها على مقام النبوة، ثم من عدم مبالاة في عواقب تعاملها البالغ في القسوة على رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالذات.. بخلاف ما نشاهده لدى

خديجة وأم سلمة وميمونة مثلاً.. من سلوك خاضع لمقام النبوة والرسالة.
أما سائر أمهات المؤمنين، وخصوصاً حفصة وكذلك أم حبيبة.. فكنَّ يتأثرن بالأجواء التي تثيرها عائشة نفسها، التي كانت تحرك الأمور باتجاه حالة من التوتر والمشاحنات التي لا مبرر لها، دون أن يردعها عن ذلك ما ينشأ عنه من أذى، بل ومن إهانة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولأهل بيته الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.
بل ولعل من أوضح مفردات هذا الواقع قولها لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: إن الله يسارع في هواك^(١).

(١) الدر المنثور ج ٥ ص ٢١٠ و ٢١١ عن البخاري، ومسلم، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن ماجة، وعبد بن حميد، وابن جرير، والحاكم وصححه، وابن مردويه، وأحمد، وابن أبي حاتم، وراجع ما عن ابن سعد أيضاً. وراجع: تفسير الصافي ج ٤ ص ١٩٦ وأحكام القرآن للجصاص ص ٤٧٩ وتفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٢٥ وج ١٤ ص ٢٠٨ و ٢١٤ والبحار ج ٢٢ ص ١٨١ وفتح القدير ج ٤ ص ٢٩٥ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٢٤٥ ومجمع البيان (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٨ ص ١٧١ ونور الثقلين ج ٤ ص ٢٩٣ والميزان (تفسير) ج ١٦ ص ٣٤٢ وراجع: المبسوط للطوسي ج ٤ ص ١٥٨ والصراط المستقيم ج ٣ ص ١٦٦ وشرح مسلم للنووي ج ١٠ ص ٤٩ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٦٢٥ والبحار ج ٢٢ ص ١٨١ وصحيح البخاري ج ٦ ص ٢٤ وعن مسند أحمد ج ٦ ص ٢٦١ وعن فتح الباري ج ٨ ص ٤٠٥ وج ٩ ص ١٤٢ وعمدة القاري ج ١٩ ص ١١٩ وج ٢٠ ص ١٠٩ والديباج على مسلم ج ٤ ص ٧١ وحاشية السندي على النسائي ج ٦ ص ٥٤ وتخريج الحديث والآثار ج ٣ ص ١١٨ وتغليق التعليق ج ٤ ص ٤١٠ وتفسير جوامع الجامع ج ٣ ص ٧٥ =

وقولها: أنت الذي تزعم أنك نبي الله^(١).

وقولها له أمام أبيها: اقصد^(٢). أي أعدل (أو قل ولا تقل إلا حقاً).

ثم ما لهجت به النصوص، التي قدمناها عن تصرفات عائشة مع شخص رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيما يرتبط بأمر بالغ الحساسية والخطورة بالنسبة إليه.

وتفصيل ذلك، قولها: كان في متاعي خف وكان على جمل ناج وكان متاع صفية فيه ثقل، وكان على جمل ثقال، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «حولوا متاع عائشة على جمل صفية، وحولوا متاع صفية على جمل عائشة حتى يمضي الركب».

-
- = وتفسير مجمع البيان ج ٨ ص ١٧١ وصحيح ابن حبان ج ١٤ ص ٢٨٢ وأحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٤٧٩ وتفسير البغوي ج ٣ ص ٥٣٨ وأحكام القرآن لابن العربي ج ٣ ص ٥٩٥ و ٦٠٤ و ٦٠٦ والجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ٢٥ وج ١٤ ص ٢٠٨ و ٢١٤ وتفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٥٠٨ ومصادر كثيرة أخرى.
- (١) إحياء علوم الدين (ط مصر) ج ٢ ص ٢٩ و (ط دار المعرفة) ص ٤٣ ومكاشفة القلوب ص ٢٣٧ باب ٩٤ ص ٢٣٧ والمراجعات ص ٣٢٦ والنص والإجتهد ص ٤١٨ وفيض القدير ج ٣ ص ٦٦١ والصراط المستقيم ج ٣ ص ١٦٦ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ١ ص ٣٣ وراجع: المصنف للصنعاني ج ١١ ص ٤٣١.
- (٢) إحياء العلوم للغزالي ج ٢ ص ٣٥ آداب النكاح، ومكاشفة القلوب ص ٢٣٨ باب ٩٤ وكثر العمال (ط حيدرآباد) ج ٧ ص ١٦ ح (١٠٢٠) والمراجعات ص ٣٢٦ والنص والإجتهد ص ٤١٧ والصراط المستقيم ج ٣ ص ١٦٦ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٦٢٥ والطرائف لابن طاووس ص ٢٩٢ وعين العبرة للسيد أحمد آل طاووس ص ٤٥ وإحقاق الحق (الأصل) ص ٣٠٦ و ٣٠٧.

قلت: يا لعباد الله، غلبتنا هذه اليهودية على رسول الله «صلى الله عليه وآله». قالت: فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «يا أم عبد الله، إن متاعك فيه خف، وكان متاع صافية فيه ثقل، فأبطأ الركب فحولنا متاعها على بعيرك وحولنا متاعك على بعيرها.

قالت: فقلت: ألسنت تزعم أنك رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فتبسم رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقال: أوفي شك؟

أنت يا أم المؤمنين يا أم عبد الله.

قالت: قلت: ألسنت تزعم أنك رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فهلا

عدلت. وسمعتني أبو بكر الخ..^(١).

إنها مسألة تمس موقع النبوة أولاً، وتمثل طعنة نجلاء في أعماق أعماق

روحه، بحربة تقطر بسم الحقد، والضغينة، وتهدف إلى هدم شرفه،

وتقويض كرامته، والنيل من عزه، ومجده الأثيل..

فالنبي «صلى الله عليه وآله» أغْيُرُ مخلوق وُجد، فما بالها تطعن في

عرضه، مرة بعد أخرى، غير آبهة بتواتر الوحي الإلهي، بالتأكيد على طهارة

ذلك العرض، وبراءته من أي مغمز، وسلامته من أي وليجة..

ولماذا لا تكف عن غمزها، ولا يقنعها الوحي الإلهي، ولا يؤثر فيها

(١) سبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ١٨٢ وج ٩ ص ٧١ عن أبي يعلى بسند لا بأس به،

وأبو الشيخ بن حيان بسند جيد قوي عن عائشة، وفي هامشه عن: مجمع البيان

ج ٤ ص ٣٢٢ والمطالب العالية (١٥٤٠) و (١٩٢٧). وراجع: مجمع الزوائد

ج ٤ ص ٣٢٢ ومسند أبي يعلى ج ٨ ص ١٣٠.

الفصل الأول: إبراهيم ابن النبي ﷺ، وربيته زينب ٢٧
قول جبرئيل، ولا تأكيد الرسول المسدد والمؤيد «صلى الله عليه وآله»، الذي
لا ينطق عن الهوى؟!!

وما الذي يدعوها إلى نبذ أبسط قواعد اللياقة والأدب، مع أشرف
وأفضل، وأقدس وأنبل، وأعظم، وأكمل الخلق، وسيد رسل الله تعالى؟!
إن أقوالها مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» حول ولده إبراهيم بعيدة
كل البعد عن أبسط قواعد الأدب، والالتزام والإحترام.. فلماذا هذا الطعن
المتوالي الممعن في القسوة لقلب الإنسانية، الطافح بالرحمة، والمودة،
والحنان، والغيرة، والشعور بالكرامة والعزة؟!!

وهل يجرؤ إنسان يدّعي أنه قريب وحبيب على التصريح لمن يحبه،
ويتقرب منه، بأن ولده الذي يبكي عليه، وقد مات قبل ساعة أو ساعات
ليس ولده الشرعي؟!!

رغم قيام الشواهد لذلك الأب على صحة ولادة ذلك الطفل وشرعيته.
فكيف إذا كان الوحي الإلهي هو الذي يؤكد له هذه الحقيقة، التي يصر
الآخرون على إنكارها وتكذيبها، بلا أي شاهد أو مبرر؟!.. إلا الحسد
والغيرة، وإلا التجني والإمعان في جرح الكرامة، وإلا الإيذاء..

مرضعة إبراهيم:

هذا.. ولا نرى أن ثمة تناقضاً بين رواية إرضاع أم سيف لإبراهيم، أو
رواية إرضاع أم بردة بنت المنذر له. فلعل كل واحدة منهما قد أرضعته برهة
من الزمن. وربما تكون أم سيف قد أرضعته أياماً يسيرة، ثم أخذته أم بردة،
فإنه «صلى الله عليه وآله» قد أعطى أم بردة هذه قطعة نخل.

كاد يقع في نفس النبي ﷺ:

وعن الرواية التي تدّعي: أنه لما ولد إبراهيم كاد يقع في نفس النبي «صلى الله عليه وآله».. نقول:

إنها لا يمكن أن تصح، لأن النبي «صلى الله عليه وآله» كان أتقى الله من أن يقع في قلبه أمر من هذا القبيل.. وهو الذي عرّفه جبرئيل حتى قبل ولادة إبراهيم: بأن مارية تحمل ولدًا هو أشبه الناس به..

يضاف إلى ذلك: أن جبرئيل - كما تقدم - حين ولد إبراهيم قد جاءه، وقال له: السلام عليك يا أبا إبراهيم..

ثم إنه «صلى الله عليه وآله» كان يعلم: بأن رمي هؤلاء لمارية لا يستند إلى شاهد ولا يعتمد على دليل.. ويعرف أن من يرمي المؤمنين بشيء من ذلك، لا بد أن يأتي بالشهداء على ما يقول، فإذا لم يأت بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون.

بل هم يستحقون العقاب والنكال على قذفهم هذا. لولا أن الله تعالى لم يرد معاقبتهم في الدنيا، لكي لا يتعرض مقام النبوة الأقدس للريب والشك والكيد من أصحاب النفوس المريضة، فيضر ذلك بإيمان الناس إلى يوم القيامة..

إنّا بك يا إبراهيم لمحزونون:

وروي: أن إبراهيم ابن رسول الله «صلى الله عليه وآله» مات سنة عشر، وجزم به الواقدي، وقال: مات يوم الثلاثاء لعشر خلون من شهر

الفصل الأول: إبراهيم ابن النبي ﷺ، وربيته زينب ٢٩
ربيع الأول^(١).

وقالت عائشة: عاش ثمانية عشر شهراً^(٢). وروي ذلك عن غير عائشة أيضاً.

-
- (١) سبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٢٢ و ٢٤ وعمدة القاري ج ٧ ص ٦٤ وج ٨ ص ١٠٣ و ٢١١ والمعجم الكبير للطبراني ج ٢٤ ص ٣٠٦ و ٣٠٧ ومعرفة السنن والآثار ج ٣ ص ٩١ والإستيعاب لابن عبد البر ج ١ ص ٥٦ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ١٤٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣ ص ١٤٥ وج ٣٤ ص ٢٩٠ و ٢٩١ وج ٦٠ ص ٢٩٦ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٣٣٢ والإصابة ج ١ ص ٣١٨ وإمتاع الأسماع للمقرئزي ج ٥ ص ٣٣٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٦١٥ والمجموع للنووي ج ٥ ص ٥٨ وذخائر العقبى ص ١٥٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٣ ص ٣٣٦ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٦٢ وفتح الباري ج ٣ ص ١٤٠.
- (٢) سبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٢٢ و ٢٧ ومسند أحمد ج ٦ ص ٢٦٧ و سنن أبي داود ج ٢ ص ٧٦ ومعرفة السنن والآثار ج ٣ ص ١٣٩ والإستيعاب ج ١ ص ٥٦ و ٥٧ والإصابة ج ١ ص ٣١٨ و ٣١٩ والمحلى لابن حزم ج ٥ ص ١٥٨ ونصب الراية ج ٢ ص ٣٢٢ والدراية في تخریج أحاديث الهداية ج ١ ص ٢٣٦ وفيض القدير ج ١ ص ٢٥٧ والعلل لابن حنبل ج ١ ص ٢٨٣ وأحكام الجنائز للألباني ص ٧٩ عن أبي داود، وابن حزم، وأحمد، وراجع: تاج المواليد للطبرسي (المجموعة) ص ٩ والمستدرک للحاکم ج ٤ ص ٣٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٣ ص ٣٣٦ وعمدة القاري ج ٨ ص ٢١١ وعون المعبود ج ٤ ص ٣١ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٨ ص ٤٩ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ١٤٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ١٤٢ و ١٤٣ وج ٣ ص ٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣ ص ١٤٥ و ١٤٦ وأسد الغابة ج ١ ص ٣٩ والوفائي بالوفيات ج ٦ ص ٦٧ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٣٢٢ وإمتاع الأسماع للمقرئزي ج ٥ ص ٣٣٨ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٢٣ وسيرة ابن إسحاق ج ٥ ص ٢٥١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٦١٤ و ٦١٥.

٣٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

وفي صحيح البخاري: أنه عاش سبعة عشر شهراً، أو ثمانية عشر شهراً على الشك^(١).

وعن البراء، وأنس، وجابر: توفي إبراهيم ابن النبي «صلى الله عليه وآله» وهو ابن ستة عشر شهراً أو ثمانية عشر شهراً^(٢).

وقال محمد بن المؤمل: بلغ سبعة عشر شهراً وثمانية أيام^(٣).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٢٢ والإصابة ج ١ ص ٣٢٠ وراجع: فتح الباري ج ١٠ ص ٤٧٧.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ج ٣ ص ١٣٥ و ١٣٧ و ١٣٨ و ١٤٤ وراجع: فتح الباري ج ١٠ ص ٤٧٧ وتاريخ المدينة لابن شبة ج ١ ص ٩٧ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٣٣١ و ٣٣٢ وإمتاع الأسماع ج ٥ ص ٣٣٨ وشرح معاني الآثار ج ١ ص ٥٠٨ و ٥٠٩ وفيض القدير ج ٢ ص ٥١٥ الإصابة ج ١ ص ٣٢٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٦١٢ و ٦١٤ وراجع: مسند أحمد ج ٤ ص ٢٨٣ و ٢٨٩ و ٣٠٤ والسنة الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ٩ وعمدة القاري ج ٧ ص ٦٩ ومسانيد أبي يحيى الكوفي ص ٢٢ و ٢٦ والمصنف للصنعاني ج ٧ ص ٤٩٤ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٣ ص ٢٥٥ والآحاد والمثاني ج ٥ ص ٤٥١ ومسند أبي يعلى ج ٣ ص ٢٥١ والإستيعاب ج ١ ص ٥٨ ونصب الراية ج ٢ ص ٣٣١ والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج ١ ص ٢٣٥ وكثر العمال ج ١٢ ص ٤٥٢ و ٤٥٤ و ٤٥٥ والإكمال في أسماء الرجال للخطيب التبريزي ص ٧ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ١٤٠ والعلل لابن حنبل ج ٢ ص ٤١٢ و ٥٦٥ و ٥٦٦.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٢٢ والإصابة ج ١ ص ٣١٨ وأسد الغابة ج ١ ص ٣٩ والإستيعاب ج ١ ص ٥٦ وإمتاع الأسماع ج ٥ ص ٣٣٨ وعمدة القاري ج ٧ ص ٦٩.

الفصل الأول: إبراهيم ابن النبي ﷺ، وربيته زينب ٣١

وقيل: توفي وهو ابن سنة وعشرة أشهر وستة أيام^(١).

وقيل: مات وهو له إحدى وسبعون ليلة^(٢).

وروي عن مكحول، وعطاء، وعبد الرحمن بن عوف، وبكير بن عبد الله بن الأشج، وقتادة، وأنس: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أخذ بيد عبد الرحمن بن عوف، فانطلق به إلى النخل الذي فيه إبراهيم «عليه السلام»، فدخل وإبراهيم يجود بنفسه، فوضعه في حجره، فلما (مات) ذرفت عينا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال له عبد الرحمن بن عوف: تبكي يا رسول الله؟ أولم تنه عن البكاء؟ قال: «إنما نهيت عن النوح، وعن صوتين أحققين فاجرين: صوت عند نغمة هو ولعب، ومزامير الشيطان، وصوت عند مصيبة خمش وجهه، وشق جيب، ورنه شيطان»^(٣).

(١) إمتاع الأسماع ج ٥ ص ٣٣٨ وعمدة القاري ج ٧ ص ٦٩ وج ٨ ص ١٠٣ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٣٩٥.

(٢) إمتاع الأسماع ج ٥ ص ٣٣٨.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٢٢ عن ابن سعد، ومستدرک الوسائل ج ٢ ص ٤٥٦ و ٤٥٨ وج ١٣ ص ٩٤ والبحار ج ٧٩ ص ٩٠ وجامع أحاديث الشيعة ج ٣ ص ٤٧٠ و ٤٨٦ وميزان الحكمة ج ٢ ص ١٦٧٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ٦٩ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٣ ص ٢٦٦ ومتخب مسند عبد بن حميد ص ٣٠٩ وكنز العمال ج ١٥ ص ٦١٥ و ٦١٦ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ١٣٨ وسيرة ابن إسحاق ج ٥ ص ٢٥١ وغوالي اللآلي ج ١ ص ٨٩ والتمهيد لابن عبد البر ج ٢٤ ص ٤٤٢ وكتاب المجروحين ج ٢ ص ٢٤٥ وفتوح مصر وأخبارها ص ١٢٤ وسيرة ابن إسحاق ج ٥ ص ٢٥١ والتمهيد ج ٢٤ ص ٤٤٢ ونصب الراية ج ٥ ص ٩٠.

وفي رواية: فلقد رأيته يكيد بنفسه، فدمعت عينا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب، والله يا إبراهيم، إنا بك لمحزونون».

وعن أنس وأبي أمامة: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي الله تعالى، والله إنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون»^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٧ ص ٣٠ و ج ١١ ص ٢٣ عن مسلم، وأبي داود، وابن سعد، وأحمد، وعبد بن حميد، والطبراني، وراجع: ابن ماجة، وابن عساكر، عن أسماء بنت يزيد، وبكير بن عبد الله، وراجع: الذكري للشهيد الأول ج ٢ ص ٤٧ والحدائق الناضرة ج ٤ ص ١٦٣ وكشف الغمة (ط ق) ج ١ ص ١٥٨ والكافي للكليني ج ٣ ص ٢٦٢ ودعائم الإسلام ج ١ ص ٢٢٤ وتحف العقول ص ٣٧ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ٣ ص ٢٨٠ و (ط دار الإسلامية) ج ٢ ص ٩٢١ ومستدرك الوسائل ج ٢ ص ٣٨٥ و ٤٦٠ و ٤٦٢ و ٤٦٣ ومكارم الأخلاق ص ٢٢ وذخائر العقبى ص ١٥٣ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٣٩٤ وغوالي اللآلي ج ١ ص ٨٩ ومسكن الفؤاد للشهيد الثاني ص ٥ و ٩٣ و ٩٤ والبحار ج ١٦ ص ٢٣٥ و ج ٢٢ ص ١٥٧ و ٢٦٤ و ج ٢٤ ص ٢٦٤ و ج ٦٥ ص ٥٤ و ج ٧٤ ص ١٤٠ و ج ٧٩ ص ٩١ و ١٠١ و جامع أحاديث الشيعة ج ٣ ص ٤٠٥ و ٤٧٠ و ٤٧١ و ٤٧٢ و ٤٨١ ومسند أحمد ج ٣ ص ١٩٤ وصحيح البخاري ج ٢ ص ٨٤ وصحيح مسلم ج ٧ ص ٧٦ وسنن ابن ماجة ج ١ ص ٥٠٦ وسنن أبي داود ج ٢ ص ٦٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ٦٩ وعمدة القاري ج ٨ ص ٧٥ و ١٠١ والمصنف للصنعاني ج ٣ ص ٥٥٣ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٣ ص ٢٦٧ ومتخب مسند عبد بن حميد ص ٣٨٥ والإعتبار لابن أبي الدنيا =

الفصل الأول: إبراهيم ابن النبي ﷺ، وربيته زينب ٣٣
وعن أنس: لما قبض إبراهيم ابن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لهم
رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لا تدرجوه في أكفانه، حتى أنظر إليه»،
فأتاه، فانكب عليه، وبكى^(١).

= ص ٤١ وكتاب الهواتف لابن أبي الدنيا ص ٣٨ ومسند أبي يعلى ج ٦ ص ٤٣
وصحيح ابن حبان ج ٧ ص ١٦٢ والمعجم الأوسط ج ٨ ص ٣٤٦ والمعجم
الكبير ج ٢٤ ص ١٧١ ومعرفة السنن والآثار ج ٣ ص ١٩٨ والإستذكار ج ٣
ص ٧١ والإستيعاب ج ١ ص ٥٥ و ٥٧ و ٥٨ والتمهيد لابن عبد البر ج ١٧
ص ٢٨٤ وج ٢٤ ص ٤٤٣ وتغليق التعليق ج ٢ ص ٤٧٢ وراجع: كنز العمال
ج ١٥ ص ٦١٥ و ٦٢١ و ٦٢٥ وفيض القدير ج ٢ ص ٧١٧ وج ٣ ص ٢٩١
وج ٦ ص ٤٧٣ وكشف الخفاء ج ٢ ص ١٥٦ وتفسير أبي حمزة الثمالي ص ٣٦٠
وأحكام القرآن لابن العربي ج ٣ ص ٧٤ وج ٤ ص ٢٦٢ وتفسير القرطبي ج ٩
ص ٢٤٩ وفتح القدير ج ٣ ص ٤٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ١٣٧ و
١٣٨ و ١٤٠ و ١٤٢ و ١٤٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣ ص ١٣٩ و ١٤٥ وج ١٠
ص ١٠٧ وأسد الغابة ج ١ ص ٣٩ ووفيات الأعيان ج ٢ ص ٣٠٢ وتاريخ
الإسلام ج ٢ ص ٦٩٩ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٣٣١ و ٣٣٢ وج ٦ ص ٣٠٥
وج ٧ ص ٨٦ وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ٢٢٣ و ٣٣٨ و ٣٣٩ والسيرة النبوية لابن
كثير ج ٤ ص ٦١٤ و ٦١٥.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٢٣ عن ابن ماجه، والحكيم الترمذي وراجع:
سنن ابن ماجه ج ١ ص ٤٧٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣ ص ١٣٩ والبداية
والنهاية ج ٥ ص ٣٣١ وإمتاع الأسماع ج ٥ ص ٣٣٩ والسيرة النبوية لابن كثير
ج ٤ ص ٦١٣.

ونقول:

إن لنا هنا بعض الوقفات، أو الإيضاحات، وهي التالية:

فضائل ابن عوف:

إن تفويض عمر بن الخطاب لعبد الرحمن بن عوف أمر تعيين الخليفة من بعده، وهو الذي كان يعلم: أن هوى عبد الرحمن كان في عثمان، فاختار عثمان.. كان وراء سعي محبي عمر إلى تعظيمه، وتسطير الفضائل له. فما دام أنه كان موضع ثقة ذلك الذي منحوه حبههم وإخلاصهم، فلماذا لا يسعى الفريق الأموي إلى التصديق على عبد الرحمن بن عوف ببعض فتات الفضائل، أو الأدوار التي لا تكلفهم شيئاً، لأنها تكون مسروقة من محبي علي «عليه السلام»، أو من أناس ليس لهم نشاط في تأييد ملكهم وسلطانهم، ولا في إضعاف أمر علي وأهل بيته «عليهم السلام»، الذين يرون أن لا بقاء، ولا قرار لحكمهم معهم..

الحكمة البالغة:

من المعلوم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن عقيماً، فقد ولد له من خديجة «عليها السلام» عدة أولاد، وقد ماتوا جميعاً، ولم يبق منهم سوى سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء «عليها السلام».

ومن المعلوم أيضاً: أنه لم يطرأ عليه العقم بعد خديجة «عليها السلام»، بدليل ولادة إبراهيم «عليه السلام» في أواخر سني حياته «صلى الله عليه وآله».

ثم إن من المعلوم كذلك: أنه بعد أن ولدت له خديجة ومارية لم يولد له من أي من نساء العرب الأخريات، حتى القرشيات، ولا من نساء سائر الأمم

الفصل الأول: إبراهيم ابن النبي ﷺ، وربيتة زينب ٣٥

التي تدّعي لنفسها أحوالاً ومقامات، فلم يولد له من يتصل نسبها ببني إسرائيل كصفية بنت حبي بن أخطب مثلاً، ربما منعاً لأي استغلال تضليلي من قبل أولئك الناس، الذين عرفوا بالانتهازية، وبتحريف الكلم عن مواضعه، وبالمناجزة حتى بالنصوص المقدسة، حتى إنهم كانوا ﴿يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾^(١).

ورغم كثرة النساء اللواتي تزوجهن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد كن من قبائل مختلفة، فإن الله تعالى لم يرزقه ولداً إلا من خديجة، ثم من جارية أهديت إليه من بلاد بعيدة، ليدل ذلك على سرّ إلهي في خديجة والزهراء «عليهما السلام»، مفقود في جميع النساء الأخريات، ولا يمكن أن يتوفر في أي ذرية تولد له «صلى الله عليه وآله» منهن.

بل ربما تكون ولادة وبقاء ذرية له من غير خديجة أمراً مضرّاً بالإسلام بدرجة يصعب على البشر تقدير حجم الخطر والضرر فيه..

ولذلك حُرِّم سائر نسائه رغم كثرتهم من الولد. وتلك حكمة بالغة، وتسديد ولطف إلهي بالبشر كلهم، ولعل تصرفات عدد من نسائه «صلى الله عليه وآله» التي تعبر عن طموحات خطيرة، وعن نفسيات غير سليمة تظهر هذه الحقيقة بجلاء، ولا نريد أن نقول أكثر من ذلك..

النياحة المنهي عنها:

وبعد.. فقد بين «صلى الله عليه وآله» سبب نهيه عن النياحة على الأموات،

(١) الآية ٧٩ من سورة البقرة.

٣٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

فقال - كما روي عنه - : «إنما نهيت عن النياحة، وأن يندب الميت بما ليس فيه» .
ثم قال : «.. وإنما هذه رحمة، ومن لا يَرْحَمُ لا يَرْحَمُ يا إبراهيم، لولا أنه حق، ووعد صادق، ويوم جامع..»^(١).
ونقول:

١ - إن هذه الكلمات تدلنا على أنه «صلى الله عليه وآله» قد بكى رحمة منه لإبراهيم.

أي أن هذا البكاء كان استجابة منه «صلى الله عليه وآله» لشعور حرّكته رؤية لحالة ضعف أو عجز، أو نقص وجده في ذلك الطفل تمثل فيما كان يعانيه إبراهيم من جهد أو ألم حين كان يصارع المرض، أو حين كان يجود بنفسه.

فلم يكن البكاء إذن لأجل شيء يعود لشخص رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فهو لا يبكي لأنه يفقد شيئاً يشعر أنه بحاجة إلى استمرار

(١) سبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٢٣ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ١٣٨ والتحفة السنية (مخطوط) ص ٤٤ ومستدرك الوسائل ج ٢ ص ٣٨٥ وذخائر العقبى ص ١٥٥ ومسكن الفؤاد للشهيد الثاني ص ٩٣ وجامع أحاديث الشيعة ج ٣ ص ٤٧٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ٦٩ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٣ ص ٢٦٦ ومنتخب مسند عبد بن حميد ص ٣٠٩ والإستيعاب ج ١ ص ٥٧ والتمهيد لابن عبد البر ج ٢٤ ص ٤٤٣ وكنز العمال ج ١٥ ص ٦١٥ و ٦١٦ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ١٣٨ وكتاب المجروحين ج ٢ ص ٢٤٦ وأسد الغابة ج ١ ص ٣٩ وفتوح مصر وأخبارها ص ١٢٤ والوافي بالوفيات ج ٦ ص ٦٨ وسيرة ابن إسحاق ج ٥ ص ٢٥١ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٩٤.

الفصل الأول: إبراهيم ابن النبي ﷺ، وربيته زينب ٣٧
احتفاظه به، ولا لأن ذلك يورد عليه نقصاً، أو يسبب له عجزاً، أو يوجب له ألماً، وأذى كشخص.

وإذن، فهذا البكاء لم يكن أنانياً بل هو بكاء إنساني، إذ إن حالة إبراهيم لو وجدت في أي شخص آخر - قريباً كان أو غير قريب - فسيبكي له رسول الله «صلى الله عليه وآله»، كما بكى «صلى الله عليه وآله» على عثمان بن مظعون، وعلى الشهداء في مؤتة، وفي مناسبات أخرى.. لأن بكاءه بكاء الرحمة، وليس بكاء الحرص، أو الشعور بالنقص، أو للإحساس بالخسارة الشخصية.

وذلك كله يدلنا على كمال النبي «صلى الله عليه وآله» في ميزاته وخصائصه، وفي مشاعره، وأحاسيسه، الإنسانية. وعلى أن النبوة لا تمنع من هذا الكمال، بل هي ترسخه وتؤكد.

٢ - إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أوضح ما قصده حين نهى عن النياحة، وأعطى الضابطة الصحيحة للحزن وللفرح على حد سواء.
فذكر «صلى الله عليه وآله»: أن الحزن لا يبرر إطلاق الدعاوى الفارغة في الهواء، والكذب، ولا ينبغي أن يفسح المجال ليدخل إلى حياة الناس، ولو على مستوى التعبير عن العاطفة.. ولا يجوز أن يجعل وسيلة لسلو المحزونين، فإن الإحساس بنفع الكذب ولو بهذا المقدار يجرئ الناس على الاستفادة منه في كل موقع يرون أن لهم فيه فائدة شخصية، وتصبح الفائدة الشخصية هي المعيار عندهم في الحلال والحرام. وتضيع المعايير الواقعية، ويتلاشى تأثيرها.

الصوتان الفاجران الأحمقان:

وقد تضمنت النصوص المتقدمة: أنه «صلى الله عليه وآله» نهى عن صوتين فاجرين أحقرين: صوت عند نغمة لهو ولعب، ومزامير الشيطان، وصوت عند مصيبة خمش وجه، وشق جيب، ورنه شيطان^(١).

وعن بكير بن عبد الله بن الأشج: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بكى على ابنه إبراهيم، فصرخ أسامة بن زيد، فنهاه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: رأيتك تبكي!!

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «البكاء من الرحمة، والصراخ من الشيطان»^(٢).

ونقول:

قد تقدمت الإشارة إلى بكاء الرحمة، وبكاء الفقدان. وأن البكاء الأول مطلوب ومحبوب، دون الثاني. وإلى أن النياحة المنهي عنها هي تلك التي تتضمن الأكاذيب والمبالغات غير المقبولة في شأن الميت..

وقد ذكر النص المشار إليه أعلاه أموراً أخرى في هذا السياق:

١ - فذكر النهي عن صوتين وصفهما بالفجور والحمق..

فأما الفجور فيهما، فلأنهما يتجاوزان حدود الشرع، ويستخفان العقل،

(١) تقدمت مصادر هذا الحديث، وما بمعناه.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٢٣ عن ابن سعد، والجامع الصغير ج ١ ص ٤٩٥ وكنز العمال ج ١٥ ص ٦٠٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ١٣٩ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٣٩٥ وفيض القدير ج ٣ ص ٢٩١.

الفصل الأول: إبراهيم ابن النبي ﷺ، وربيته زينب ٣٩
ويلقيانه على قارعة الطريق، ويسلبانه أي أثر أو دور.

وأما الحق فيهما، فلأنهما لا يخضعان لأي ضابطة أو ميزان عقلي. بل هما خارجان عن حدود المقبول والمعقول. فمسحة العقل تكون ضعيفة أو تكاد تكون معدومة فيهما، لأنهما إنما يعتمدان على إبعاد العقل عن الساحة، والتوجه نحو الغرائز، والأهواء لمخاطبتها واستثارتها.

٢ - وقد اعتبر أن أول صوت أحق فاجر هو صوت نغمات اللهو واللعب، حيث يتم إقصاء العقل، ويكون زمام الإنسان بيد هواه، وغرائزه، لأن العقل لا يرضى باللهو ولا باللعب، كما أن المزامير الشيطانية لا تخاطب العقل، لعدم وجود لغة مشتركة بينهما. بل هي تشطنه، وتقيد، وتمنعه من الحركة ومن التأثير..

وقد تقدم: أن الإسلام لا يريد أن تدخل أمثال هذه الأمور إلى حياة الناس، فإن ذلك من شأنه أن يفسدها، وأن يجعلها خاضعة لأمزجة الأشخاص، وأهوائهم، وميوههم الفردية، وانفعالاتهم.

يضاف إلى ذلك: أن للحياة واقعيته، وثباتها، فلا يمكن بناؤها على اللهو واللعب، والعبث. ولا رسم حدودها وفق ردود فعل الأمزجة، والأهواء. ولا تحريكها بغير معايير العقل وضوابطه، ومن دون الاعتماد على هدايته ودلالته..

وهكذا الحال في حالات الحزن حين يركز إلى التصرف غير المتوازن، والذي تفرضه الإنفعالات غير المسؤولة، والتي تنتهي بتصرفات غير مبررة، ولا ينتج عنها إلا الأذى والخسران، لأنها مجرد حركات هستيرية، تكون ضابطةها عدم الالتزام بضابطة، وقاعدتها إسقاط كل قاعدة.

وأما حين يتم اللجوء إلى الحركات المصطنعة، كذلك الصراخ الذي صدر عن أسامة بن زيد، ثم يكون المبرر الذي انتحله لنفسه هو رؤيته النبي «صلى الله عليه وآله» يبكي ولده إبراهيم، فإن الأمر يصبح أكثر حساسية وخطورة، فقد تبين أن أسامة قد تجاوز الحدود المقبولة والمعقولة في فهمه لبكاء النبي «صلى الله عليه وآله» على ولده، وأمعن في الإبتعاد عن مراميه وأهدافه حين استنتج منه أموراً ليس فقط لا تتوافق معه، وإنما هي في موقع النقيض منه..

فستان ما بين البكاء الناشئ عن الرحمة، وبين الصراخ المصطنع، الخاوي من أية عاطفة، وإنما يُقصدُ به إثارة أجواء من الأسى والغم، وهي أجواء يجد الشيطان فيها مسرحاً لتسويلاته ومجالاً لإغواءاته، وجر الناس إلى مزالق ومهالك لم تكن تخطر لهم على بال.

ولذلك قال له النبي «صلى الله عليه وآله»: «والصراخ من الشيطان».

الفصل الثاني:

النبي ﷺ يعتزل النساء أو يطلقهن

پیشکش از اساتید

پیشکش از اساتید و دانشمندان

النبي ﷺ يعتزل نساءه: كيف؟ ولماذا؟:

قال ابن عباس: كنت أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن قول الله عز وجل: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾^(١)، فكنت أهابه، حتى حججنا معه حجة، فقلت: لئن لم أسأله في هذه الحجة لا أسأله، فلما قضينا [حجنا] أدركناه، وهو ببطن مرو، قد تخلف لبعض حاجاته، فقال: مرحباً بك يا ابن عم رسول الله «صلى الله عليه وآله». ما حاجتك؟

قلت: شيء كنت أريد أن أسألك عنه يا أمير المؤمنين، فكنت أهابك. فقال: سلني عما شئت، فإننا لم نكن نعلم شيئاً حين تعلمنا.

فقلت: أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ من هما؟ قال: لا تسأل أحداً أعلم بذلك مني، كنا بمكة لا يكلم أحدنا امرأته، إنما هي خادم البيت، فإن كان له حاجة سفع برجليها، فقضى حاجته، فلما قدمنا المدينة، تعلمن من نساء الأنصار، فجعلن يكلمتنا ويراجعنا، وإني أمرت غلماناً لي ببعض الحاجة، فقالت امرأتي: بل اصنع كذا وكذا. فقممت إليها بقضيب فضربت بها به.

فقالت: يا عجباً لك، يا بن الخطاب! تريد أن لا تكلم؟! فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» تكلمه نساؤه.

فخرجت، فدخلت على حفصة، فقلت: يا بنية، انظري لا تكلمي رسول الله «صلى الله عليه وآله» ولا تسأليه، فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليس عنده دينار ولا درهم يعطيكهن، فما كانت لك من حاجة حتى دهن رأسك فسليني.

وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذا صلى الصبح جلس في مصلاه، وجلس الناس حوله حتى تطلع الشمس، ثم دخل على نسائه امرأة امرأة، يسلم عليهن، ويدعو لهن، فإذا كان يوم إحداهن جلس عندها، وإنها أهديت لحفصة بنت عمر عكة غسل من الطائف، أو من مكة، وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذا دخل يسلم عليها حبسته حتى تُلغقه منها، أو تسقيه منها. وإن عائشة أنكرت احتباسه عندها، فقالت لجويرية عندها، حبشية يقال لها خضراء: إذا دخل على حفصة فادخلي عليها، فانظري ما يصنع.

فأخبرتها الجارية بشأن العسل، فأرسلت عائشة إلى صواحبها، فأخبرتهن، وقالت: إذا دخل عليكن فقلن: إنا نجد منك ريح مغاير. ثم إنه دخل على عائشة، فقالت: يا رسول الله، أطعمت شيئاً منذ اليوم، فإني أجد منك ريح مغاير.

وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» أشد شيء عليه: أن يوجد منه ريح شيء، فقال: هو غسل، والله لا أطعمه أبداً.

حتى إذا كان يوم حفصة قالت: يا رسول الله، إني لي إلى أبي حاجة، إن نفقة لي عنده، فأذن لي أن آتيه.

فأذن لها.

ثم إنه أرسل إلى جاريته مارية، فأدخلها بيت حفصة، فأتت حفصة فوجدت الباب مغلقاً، فجلست عند الباب، فخرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو فزع، ووجهه يقطر عرقاً، وحفصة تبكي، فقال: ما يبكيك؟ فقالت: إنما أذنت لي من أجل هذا؟! أدخلت أمتك بيتي، ثم وقعت عليها على فراشي؟! ما كنت تصنع هذا بامرأة منهم، أما والله ما يحل لك هذا يا رسول الله.

فقال: والله، ما صدقت: أليس هي جاريتي، قد أحلها الله تعالى لي، أشهدك أنها علي حرام، ألتمس بذلك رضاك، انظري لا تخبري بذلك امرأة منهم، فهي عندك أمانة.

فلما خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة، فقالت: ألا أبشري، إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد حرم أمته، فقد أراحنا الله منها.

فقالت عائشة: أما والله، إنه كان يريدني أنه كان يقبل من أجلها، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾^(١). ثم قرأ رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾^(٢)، فهي عائشة وحفصة.

وزعموا: أنها كانتا لا تكتم إحداهما للأخرى شيئاً.

وكان لي أخ من الأنصار إذا حضرت، وغاب في بعض ضيعته، حدثته بما قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإذا غبت في بعض ضيعتي، حدثني.

(١) الآية ١ من سورة التحريم.

(٢) الآية ٤ من سورة التحريم.

فأتاني يوماً وقد كنا نتخوف جيلة بن الأيهم الغساني^(١)، فقال: ما دريت ما كان؟

فقلت: وما ذاك؟ لعله جيلة بن الأيهم الغساني، تذكر.

قال: لا، ولكنه أشد من ذلك، إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» صلى صلاة الصبح، فلم يجلس كما كان يجلس، ولم يدخل على أزواجه كما كان يصنع، وقد اعتزل في مشربته، وقد ترك الناس يموجون ولا يدرون ما شأنه، فأتيت والناس في المسجد يموجون ولا يدرون.

فقال: يا أيها الناس كما أنتم، ثم أتى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو في مشربته، قد جعلت له عجلة، فرقى عليها، فقال لغلام له، أسود، وكان يحجبه: استأذن لعمر بن الخطاب، فاستأذن لي.

فدخلت ورسول الله «صلى الله عليه وآله» في مشربته، فيها حصير وأهب معلقة، وقد أفضى بجنبه إلى الحصير، فأثر الحصير في جنبه، وتحت رأسه وسادة من آدم محشوة ليفاً، فلما رأيته بكيت.

قال: ما يبكيك؟

قلت: يا رسول الله، فارس والروم، أحدهم يضطجع في الديباج والحرير.

فقال: إنهم عجلت لهم طبياتهم، والآخرة لنا.

ثم قلت: يا رسول الله، ما شأنك؟ فلاني قد تركت الناس يموج بعضهم

في بعض، فغن خبر أذاك، فقال: اعتزلهن؟

فقال: لا، ولكن كان بيني وبين أزواجي شيء، فأحببت ألا أدخل عليهن

الفصل الثاني: النبي ﷺ يعتزل نساءه أو يطلقهن ٤٧ شهراً.

ثم خرجت على الناس، فقلت: يا أيها الناس، ارجعوا، فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان بينه وبين أزواجه شيء فأحب أن يعتزل.

فدخلت على حفصة، فقلت: يا بنتي، أتكلمين رسول الله، وتغيظينه، وتغارين عليه؟

فقلت: لا أكلمه بعد بشيء يكرهه.

ثم دخلت على أم سلمة، وكانت خالتي، فقلت لها كما قلت لحفصة.

فقلت: عجباً لك يا عمر بن الخطاب، كل شيء تكلمت فيه، حتى تريد أن تدخل بين رسول الله «صلى الله عليه وآله» وبين أزواجه، وما يمنعا أن نغار على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأزواجكم يغرن عليكم.

فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً﴾^(١) حتى فرغ منها^(٢).

(١) الآية ٢٨ من سورة الأحزاب.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٩ ص ٦٠ و ٦١ عن الطبراني، والبخاري، ومسلم، والنسائي، وأحمد، والترمذي، وابن ماجة عن: أنس، وأم سلمة، وجابر، وابن عباس، وعائشة، والزهري، وابن عمر. وقال في هامشه: ذكره الهيثمي في المجمع ج ٥ ص ١٣ من طريق عبد الله بن صالح، وعزاه للطبراني في الأوسط، وهو في الصحيحين من حديث عائشة ج ٨ ص ٦٥٦ (٤٩١٢) (٦٦٩١) ومسلم ج ٢ ص ١١٠٠ (٢٠/١٤٧٤) وراجع: صحيح مسلم (ط دار الفكر) ج ٤ ص ١٩٢ ومجمع الزوائد (ط دار الكتب العلمية) ج ٥ ص ٨ - ١٠ والمعجم الأوسط ج ٨ ص ٣٢٤ - ٣٢٦ وراجع: فتح الباري ج ٩ ص ٢٤٣ - ٢٤٧ وكنز العمال ج ٢ ص ٥٣٥ - ٥٣٨.

٤٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

وروي حديث المغافير عن عائشة بطريقة أخرى، فقد قالت: كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يحب الحلوى، ويحب العسل. وكان إذا صلى العصر دار على نسائه، فيدنو منهن، فدخل على حفصة فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس، فسألت عن ذلك، فقيل لي: أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل، فسقت رسول الله «صلى الله عليه وآله» منه، فقلت: أما والله، لنحتالن له.

فذكرت ذلك لسودة، وقلت: إذا دخل عليك، فإنه سيدنو منك، فقولي له: يا رسول الله، أكلت مغافر؟ فإنه سيقول لك: لا، فقولي له: ما هذه الريح؟

وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يشتد عليه أن يوجد منه ريح، فإنه سيقول لك: سقتني حفصة شربة عسل، فقولي له: جرت نحلته العرط. وسأقول له ذلك، فقولي له أنت يا صفية.

فلما دخل على سودة قالت سودة: والذي لا إله إلا هو، لقد كدت أن أبادئه بالذي قلت لي، وإنه لعلى الباب فرقاً منك، فلما دنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» قلت: يا رسول الله أكلت مغافر.

قال: لا.

قلت: فما هذه الريح؟

قال: سقتني حفصة شربة عسل.

قلت: جرت نحلته العرط.

فلما دخل علي قلت له مثل ذلك، ثم دخل على صفية، فقالت له مثل

ذلك، فلما دخل على حفصة قالت: يا رسول الله، ألا أسقيك منه؟

قال: لا حاجة لي به.

قال: تقول سودة: سبحان الله، والله لقد حرمانه.

قلت لها: اسكتي^(١).

حديث اعتزال النساء بطريقة أخرى:

وقد رووا حديث اعتزال النبي «صلى الله عليه وآله» لنسائه بطريقة، أو بطرائق أخرى، فيها الكثير من الخلل والوهن.. واستعراض جميع تلك الروايات، وبيان وجوه الإشكال فيها يحتاج إلى وقت وجهد لا نرى أننا نستطيع توفيرهما في هذا الظرف، فلا بد أن نفتصر على ما يتيسر لنا عرضه، آملين أن نوفق لدراسة هذه القضية في فرصة أخرى، فنقول:

إن أبا بكر وعمر دخلا على النبي «صلى الله عليه وآله» وهو جالس وحوله نساؤه، وهو ساكت، فقال عمر: لأكلمن رسول الله «صلى الله عليه

(١) مسند أحمد ج ٦ ص ٥٩ وصحيح البخاري ج ٦ ص ١٦٧ وج ٨ ص ٦٤ وصحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٥ والبحار ج ٢٢ ص ٢٢٩ وسنن أبي داود ج ٢ ص ١٩١ وتفسير القرآن العظيم ص ٤١٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٣٥٤ وعمدة القاري ج ٢٠ ص ٢٤٣ وج ٢٤ ص ١١٩ وتفسير الثعالبي ج ٥ ص ٤٥٠ وشرح مسلم للنووي ج ١٠ ص ٧٦ وعون المعبود ج ١٠ ص ١٢٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ٨٥ ومسند أبي يعلى ج ٨ ص ٣٠٠ وتفسير مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥ وتفسير القرآن للصنعاني ج ٣ ص ٣٠١ و ٣٠٢ وتفسير البغوي ج ٤ ص ٣٦٢ وأسباب نزول الآيات للنيسابوري ص ٢٩١ وزاد المسير ج ٨ ص ٤٩ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٨ ص ١٧٧ و ١٧٨ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٤١٣ و ٤١٤.

وآله» لعله يضحك.

فقال عمر: يا رسول الله، لو رأيت ابنة زيد (امرأة عمر) سألتني النفقة أنفأ، فوجأت عنقها.

فضحك النبي «صلى الله عليه وآله» حتى بدا ناجذه، وقال: هن حولي يسألنني النفقة.

فقام أبو بكر إلى عائشة ليضربها، وقام عمر إلى حفصة كلاهما يقولان: تسألان النبي «صلى الله عليه وآله» ما ليس عنده؟!

فنهاهما رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن هذا.

فقلن نساؤه: والله لا نسأل رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد هذا المجلس ما ليس عنده.

وأنزل الله الخيار، فبدأ بعائشة، فقال: إني ذاكرك أمراً ما أحب أن تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك.

قالت: ما هو؟

فتلا عليها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُمْ وَأُسَرِّحْكُمْ سَرَاحاً جَمِيلاً﴾.

قالت عائشة: أفيك أستأمر أبوي؟ بل أختار الله ورسوله، وأسالك أن لا تذكر إلى امرأة من نساءك ما اخترت^(١).

(١) الدر المنثور ج ٥ ص ١٩٤ عن أحمد، ومسلم، والنسائي، وابن مردويه، وراجع:

مسند أحمد ج ٣ ص ٣٢٨ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٣٨٣ و ٣٨٤ وتفسير

القرآن العظيم ج ٣ ص ٤٨٩ وتخريج الأحاديث والآثار ج ٣ ص ١١٧ وسبل

الهدى والرشاد ج ١٠ ص ٤٠٦ وج ١١ ص ١٧٥ ولباب النقول (ط دار إحياء =

الفصل الثاني: النبي ﷺ يعتزل نساءه أو يطلقهن ٥١
وفي نص آخر: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يخرج إلى الصلاة، فأطال الصحابة الوقوف ببابه، فلم يأذن لهم، ولم يخرج إليهم، فتفرقوا، وتمكن عمر من الدخول، فسأله عن الأمر.

فأخبره بأنهن سألنه ما ليس عنده.

فقال له عمر: يا نبي الله قد صككت جميلة بنت ثابت صكة ألصقت خدها منها بالأرض، لأنها سألتني ما ليس عندي..
ثم تذكر الرواية ما جرى.. وفيها: فاخترن أن لا يتزوجن بعده^(١).

النبي ﷺ يهجر عائشة:

عن عائشة قالت: كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» في سفر - وفي رواية: «حجة الوداع» - ونحن معه، فاعتل بعير لصفية، وكان مع زينب فضل، فقال لها رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إن بعير صفية قد اعتل، فلو أعطيتها بعيراً لك!

قالت: أنا أعطي هذه اليهودية!؟

فغضب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهجرها بقية ذي الحجة، ومحرم، وصفر، وأياماً من ربيع الأول، حتى رفعت متاعها وسريرها فظنت

= العلوم) ص ١٧٣ و (ط دار الكتب العلمية) ١٥٨ وتفسير الآلوسي ج ٢١ ص ١٨١ وفتح القدير ج ٤ ص ٢٨١.

(١) الدر المنثور ج ٥ ص ١٩٤ عن ابن سعد، والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ١٧٩ - ١٨١ وراجع: تفسير العز بن عبد السلام ج ٢ ص ٥٧٠ وعمدة القاري ج ١٣ ص ١٩.

أنه لا حاجة له فيها، فبينما هي ذات يوم قاعدة نصف النهار، إذ رأت ظله قد أقبل، فأعادت سريرها ومتاعها^(١).

وعن أبي هريرة قال: هجر رسول الله «صلى الله عليه وآله» نساءه - قال شعبة: أحسبه قال: شهراً - فأتاه عمر بن الخطاب، وهو في غرفة، وهو على حصير قد أثر الحصير بظهره، فقال: يا رسول الله، كسرى يشربون في الذهب والفضة، وأنت هكذا؟!

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إنهم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا، ثم قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: الشهر هكذا، وهكذا وهكذا، وكسرى في الثالثة الإبهام^(٢).

قال الصالحى الشامي:

تنبيهات:

الأول: سبب نزول قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾^(٣): أن نساء النبي «صلى الله عليه وآله» سألنه في عرض

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٩ ص ٦٢ عن الطبراني، وأبي داود بسند جيد وقال في هامشه: ذكره الهيثمي في المجمع ج ٤ ص ٣٢٦ وقال: رواه أبو داود مختصراً، والطبراني في الأوسط وراجع: مجمع الزوائد (ط دار الكتب العلمية) ج ٤ ص ٣٢٣ والمعجم الأوسط ج ٣ ص ٩٩ والمعجم الكبير ج ٢٤ ص ٧١.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٩ ص ٦٢ وقال في هامشه: أخرجه أحمد ج ٢ ص ٢٩٨ وانظر المجمع ج ٦ ص ٧ و ٣٢٧/١٠ وراجع: مسند أحمد (ط دار صادر) ج ٢ ص ٤٤ و ٨١ ومجمع الزوائد (ط دار الكتب العلمية) ج ٥ ص ٧ و ٨.

(٣) الآية ٢٨ من سورة الأحزاب.

الفصل الثاني: النبي ﷺ يعتزل نساءه أو يطلقهن ٥٣

الدنيا ومتاعها أشياء، وطلبن منه زيادة في النفقة، وأذينه بغيره بعضهن بعضاً، فهجرهن رسول الله «صلى الله عليه وآله» وآلى (أي حلف) لا يقربهن شهراً ولم يخرج إلى أصحابه، فقالوا: ما شأنه وكانوا يقولون: طلق رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقال عمر: لأعلمن لكم شأنه، فاستأذن عليه «صلى الله عليه وآله» كما تقدم. الثاني: قال في (زاد المعاد): وطلق رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وراجع، وآلى إيلاء مؤقتاً بشهر، ولم يظاهر أبداً، وأخطأ من قال: إنه ظاهر خطأ عظيماً، وإنما ذكر هنا تنبيهاً على ذكر خطائه ونسبته إليه ما أمره الله تعالى به^(١). انتهى.

ونقول:

أولاً: إن ما ذكره الصالحى الشامي، من أن أزواج النبي «صلى الله عليه وآله» قد سأله زيادة في النفقة بأباه صريح الروايات التي تقدمت، والتي تقول: إنهن سألهن النفقة، وقد تقدمت الرواية بذلك آنفاً^(٢).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٩ ص ٦٢.

(٢) الدر المنثور ج ٥ ص ١٩٤ عن مسلم، والنسائي، وأحمد، وابن مردويه وراجع: فيض القدير ج ٢ ص ٤٤١ ومسنند أحمد ج ٣ ص ٣٤٢ وسبل الهدى والرشاد ج ١٠ ص ٤٠٦ وج ١١ ص ١٥٣ و ١٥٤ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٣٧٤ و ٤٠٧ وصحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٣٨ ومسنند أبي يعلى ج ٤ ص ١٧٤ و ١٧٥ وشرح مسند أبي حنيفة ص ٤٤ وتفسير البغوي ج ٣ ص ٥٢٦ والجامع لأحكام القرآن ج ١٤ ص ١٦٣ وج ١٨ ص ١٩٢ وإمتاع الأسباع ج ١٣ ص ٦٨.

وذلك يدل على: أنه «صلى الله عليه وآله» قد قصر في أداء ما يجب عليه
لهن. وحاشاه من ذلك.

ثانياً: إن الله عز وجل قد وعدهن بالرزق الكريم إن أطعن الله
ورسوله. فقال: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُؤْتِهَا أَجْرَهَا
مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً﴾^(١).

وهذا يدل على: أن القضية لم تكن قضية نفقة، وإنما هي قضية طاعة
وانقياد..

ثالثاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يباذي من تطلب منه حقها بهذا
النحو من الشدة، فيعتزلها، ويهم بطلاقها. بل هو يلين لها ويعترف لها
بحقها، ولا يجرمها من ليلتها مدة شهر كامل.. فيكون بذلك قد ظلمها،
واستأثر بها لا يحق له الاستئثار به. فلماذا لا يبقى معهن، ويؤدي لهن
حقهن؟! فإذا صمم على طلاقهن، فإنه يمتنع عن غشيانهن، إلى أن يتمكن
من تسريحهن بإحسان، بعد أن يصبح ذلك ممكناً من الناحية الشرعية..

رابعاً: إن عدم تمكنه من الإنفاق لا يستلزم حلفه على طلاقهن، فيمكنه
أن يطلقهن، أو أن يطلق من يشاء منهن، من دون حاجة إلى هذا الحلف.

خامساً: إن تصميمه على الطلاق حتى لو كان قد حلف عليه، واعتزل
نساءه لا يستوجب أن ينقطع عن أصحابه، وأن يمتنع من الإذن لهم
بالدخول عليه.. وما إلى ذلك.

سادساً: هل صحيح أنه كان لا يقدر على الإنفاق عليهن جميعاً؟! أم أنه

كان يقدر على الإنفاق على بعضهن؟!

وفي كلتا صورتين: كيف ومن أين كنّ زوجاته «صلى الله عليه وآله»
ينفقن على أنفسهن؟!

هل كن يتسولن في الأزقة والشوارع؟! أم كن ينفقن من أموالهن؟! مع
علمنا: بأنهن لم يكنّ يملكن أموالاً. فما الذي تغير حتى أعرض عن اعتزاله لهن؟!

النبي ﷺ يضحك لضرب عمر لزوجته؟:

وذكروا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد ضحك حين أخبره عمر بن
الخطاب: بأنه ضرب زوجته حتى ألصقت خدها بالأرض، أو لأنه وجأ
عنقها!

وهذا غريب حقاً، فإن المفروض بالنبي «صلى الله عليه وآله»: أن
يغضب من فعل عمر هذا، وأن يعترض على عمر، ويبادر إلى تأنيبه على هذا
الجرم الذي اقترفه، إن لم نقل: إن المطلوب هو أكثر من ذلك أيضاً..
ولكن النبي «صلى الله عليه وآله» - حسب زعمهم - حين تخلف عن
هذا الواجب، لم يكتف بهذا التخلف، والسكوت عن هذا المنكر، بل هو -
حسب روايتهم المزعومة - قد ضحك له، وأفرحه ما صدر من عمر بن
الخطاب، من ظلم وعدوان على امرأة ضعيفة، لم يزل النبي «صلى الله عليه
وآله» يوصي بمثيالاتها، حيث يقول - حتى في مرض موته -: أوصيكم
بالضعيفين. (يريد النساء وما ملكت يمينكم)^(١).

(١) راجع: الكافي ج ٧ ص ٥٢ وتحف العقول ص ١٩٩ ومستدرک الوسائل ج ١٤
ص ٢٥٥ ومصباح البلاغة (مستدرک نهج البلاغة) للميرجهاني ج ٤ ص ١٤ =

على أن ما ذكره عمر لا يتضمن ما يستوجب التبسم، فضلاً عن أن يضحك حتى يبدو ناجذه..

فهل كان ضحكه هذا شبهة بتلك المرأة المظلومة والمستضعفة، وابتهاجاً بهذا الظلم والطغيان العارم؟!

حاشا رسول الله «صلى الله عليه وآله» وألف حاشا..

ثم إنهم يقولون: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن يزيد في ضحكه عن التبسم، فلماذا بلغ الأمر به إلى الضحك حتى بدا ناجذه؟!

التناسب.. والإنسجام:

على أن ما تقدم: من أن زوجة عمر اعترضت عليه فيما أمر به غلمانه فضربها، فأخبرته باعتراض نساء النبي «صلى الله عليه وآله» عليه.. لا يتناسب مع ما زعمته الرواية نفسها، من أنه خرج فدخل على حفصة،

= ومقاتل الطالبين ص ٢٥ والبحار ج ٤٢ ص ٢٤٩ وج ٧٥ ص ١٠٠ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٩ ص ٣١٥ وج ٢٠ ص ٢٤٨ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للشيخ هادي النجفي ج ٧ ص ٢٩٤ وج ١١ ص ١٨ والمعجم الكبير ج ١ ص ١٠٢ وشرح النهج ج ٦ ص ١٢٠ و ١٢١ ونظم درر السمطين ص ١٤٦ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٣٦٣ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٥٣٣ والمناقب للخوارزمي ص ٣٨٦ وكشف الغمة ج ٢ ص ٥٩ وأهل البيت «عليهم السلام» في الكتاب والسنة لمحمد الريشهري ص ٣٤٠ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ لمحمد الريشهري ج ٧ ص ٢٥٧ وشرح إحقاق الحق ج ٣٢ ص ٦٥٤ وراجع: عمدة القاري ج ١٣ ص ١٠٨ والجرح والتعديل ج ١ ص ١٩٧.

الفصل الثاني: النبي ﷺ يعتزل نساءه أو يطلقهن ٥٧
وطلب منها أن لا تطلب من النبي «صلى الله عليه وآله» شيئاً، إذ ليس عنده
درهم ولا دينار. فراجع.

حديث الاعتزال بسبب عائشة وحفصة:

ونجد عمر بن الخطاب يؤكد على: أن اعتزال النبي «صلى الله عليه وآله» لنسائه قد كان بسبب عائشة وحفصة، حين تظاهرتا عليه، ولم يذكر لنا سبب ذلك سوى بعض اجتهادات منه، حول أن نساء الأنصار كنّ يراجعن أزواجهن، فتعلمت سائر النساء منهن ذلك^(١).
أو أن الموضوع موضوع العسل، الذي ادّعت بعض نسائه: أن فيه ريح مغافير..

ونقول:

١ - إنه إذا كان المذنب هو عائشة وحفصة، فلماذا اعتزل «صلى الله عليه وآله» جميع نسائه؟

ألا يدل ذلك: على أنه «صلى الله عليه وآله» قد رأى أن ثمة تواطؤاً فيما بينهن على أمر عظيم - وإن كانت عائشة وحفصة هما المحركتان لباقي

(١) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٤٢ و ٢٤٣ عن أحمد، وعبدالرزاق، والعدني، وابن سعد، والبخاري، ومسلم، وعبد بن حميد، والترمذي، وابن حبان، وابن المنذر، وابن مردويه وعن ابن عباس وراجع: صحيح البخاري ج ٦ ص ١٤٨ و ١٤٩ وفتح الباري ج ٩ ص ٢٤٨ فما بعدها، وعمدة القاري ج ٢٠ ص ١٨٠ وعون المعبود ج ١٤ ص ٧٢ وكنز العمال ج ٢ ص ٥٢٥ و ٥٢٦ وتفسير الميزان ج ١٩ ص ٣٣٩ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٤٠٦ وراجع: تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٤١٥.

النساء؟!

٢ - يضاف إلى ذلك: أن مجرد مراجعة المرأة لزوجها لا تستدعي هذا الإجراء القوي..

٣ - إنه يبدو: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان حين انقطع عن المسلمين يريد أن يشرك سائر المسلمين في التصدي لهذا الأمر العظيم، حتى إن جماعة منهم كانوا حول المسجد ليكون.

وهذا معناه: أنه أمر يعينهم، ويؤثر على حياتهم ودينهم، وليس مجرد أمر شخصي أو شيء يرتبط بأمور الدنيا.

٤ - يضاف إلى ذلك: أنه لو صحت قضية المغاير، فذلك يدعوه إلى اعتزال النساء اللواتي شاركن في ذلك، دون النساء اللواتي لم يشاركن فيه..

٥ - وحديث مارية، إنما يختص بحفصة، فلماذا يعتزل سائر النساء من أجل كلام تكلمت به حفصة دون سواها؟!

٦ - وقد ذكر لحفصة: أنه محل له أن يقارب جاريته، فلماذا عاد وحرّم جاريته على نفسه، وهي لا ذنب لها؟!

٧ - على أن في روايات ابن عباس عن عمر تناقضاً، فهل ذكر عمر لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنه صك وجهه، أو وجأ عنق زوجته؟!

وأن الزوجة التي تعرضت لهذا أو ذاك هي ابنة زيد، أو هي جميلة بنت ثابت.

هجر النبي ﷺ لعائشة:

تقدم عن عائشة: أن بعير صفية في حجة الوداع قد اعتل، فطلب النبي

الفصل الثاني: النبي ﷺ يعتزل نساءه أو يطلقهن ٥٩
«صلى الله عليه وآله» من عائشة أن تعطيها بغيراً، فقالت: أنا أعطي هذه اليهودية، فهجرها النبي حوالي ثلاثة أشهر..

والظاهر هو: أن هذه قضية أخرى حدثت لرسول الله «صلى الله عليه وآله» مع زوجاته، وخصوصاً عائشة وما أكثر أمثال هذه القضايا في حياة هذه المرأة مع رسول الله «صلى الله عليه وآله».

غير أن ما يؤسف له هو: محاولة جعل بعض نصوص هذه الرواية قادرة على أن توهم قارئها: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يعتزل عائشة، إنما اعتزل المرأة التي أهانتها عائشة، فراجع^(١).

الإصرار على تضييع الحقيقة:

والذي يضحك الثكلى روايتهم عن أبي جعفر، أنه قال: قال نساء رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ما نساء أغلى مهوراً منا.

فغار الله لنبيه «صلى الله عليه وآله»، فأمره أن يعتزلهن، فاعتزلهن تسعة وعشرين يوماً، ثم أمره أن يختيرهن فخيرهن^(٢).

ولا ندري كيف صار هذا سبباً لهذا التدخل الإلهي القوي، فإن مجرد قولهن: ما نساء أغلى مهوراً منا.. إن كان صحيحاً في نفسه، فهو لا يوجب

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٩ ص ٦٢.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ١٩٢ والدر المنثور ج ٥ ص ١٩٥ عن ابن سعد، وراجع: البحار ج ٢٢ ص ٢١٢ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج ١ ص ٣٢٧ وج ٩ ص ٣٨٧ والحدائق الناضرة ج ٢٥ ص ٢٢٢ وجواهر الكلام ج ٣٢ ص ٧٠ والكافي ج ٦ ص ١٣٨.

هذا الإجراء الحازم والصارم.

وإن لم يكن صحيحاً، وظهر أنه كان في مهر النساء آنذا ما هو أغلى من مهرهن، فكان يكفي أن يقول لهن: إن هذا القول غير صحيح.. ولكن الذي نظنه هو: أن هؤلاء يريدون التعمية على الأسباب الحقيقية التي دعت النبي «صلى الله عليه وآله» إلى اتخاذ هذا الإجراء، الذي خلده الله تعالى في كتابه الكريم إكراماً لنبيه، وإزراء على من اجتراً على مقام النبوة والرسالة، وأساء إليها..

الحقيقة المنقوصة:

وفي حين فشل الحسن (البصري) في تبيان حقيقة سبب ما جرى، فأبهمه أيما إبهام، فإن قتادة يكاد يقترب من إظهاره، ولعله هو الآخر، عاد فراجع، ربما لأنه لا يريد أن يعرض نفسه لخطر عظيم، وبلاء جسيم. فعن الحسن، وقاتدة: أن الله تعالى أمر نبيه أن يخبرهن في شيء كن أردنه من الدنيا.

وقال عكرمة: في غيرة كانت غارتها عائشة^(١).

ولكن مجرد الغيرة من عائشة لا تكفي، لو لم تكن هناك تصرفات وأقوال هائلة أخرى، قد رافقت ذلك.

وربما يكون حديث الآيات عن الفاحشة، والتوعد عليها بمضاعفة العذاب في هذه المناسبة حيث قال: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ

(١) الدر المنثور ج ٥ ص ١٩٥ عن ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وراجع: التبيان ج ٨ ص ٣٣٥ وجامع البيان ج ٢١ ص ١٨٩ وإمتاع الأسماع ج ١٣ ص ٦٥.

الفصل الثاني: النبي ﷺ يعتزل نساءه أو يطلقهن ٦١

مُبَيَّنَةٌ يَضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ»^(١) يقوي ويؤيد رواية القمي حول هذا الأمر، بالإضافة إلى روايات أخرى أشارت إلى: أن النساء قد اتخذن من غيرة - عائشة على ما يظهر - سبباً للتعدي إلى ما هو أشد وأضر، وهو ما أشارت إليه رواية الخدري وجابر، فقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٢)، فاخترن أن لا يتزوجن بعده^(٣).

وهذا يشير إلى: أن القضية كانت ترتبط بهذا الأمر، وأعني به أمر الزواج بعده «صلى الله عليه وآله»، وهو أمر يمس شرف الرسول «صلى الله عليه وآله» ورسالته وهو ما توضحه الرويات الآتية.

يضاف إلى ذلك: أن هذه الآية الشريفة تظهر بمفردها، ولو لم تعضدها أية رواية أخرى: أن القضية ليست قضية نفقة، فإن عدم النفقة لا يستوجب رفضهن لرسول الله «صلى الله عليه وآله».. وليست قضية غيرة لعائشة أو لحفصة من مارية أو من غيرها، فإن الغيرة معناها إرادة التفرد بالزوج، ورفض مشاركة امرأة أخرى لها فيه، وهذه الآية تقول: «أنهن كنّ لا يردن الله ورسوله، بل يردن غير الرسول، وكن لا يردن الآخرة، بل يردن الحياة الدنيا وزينتها، وهذا بدوره يؤكد لنا مضمون رواية القمي الآتية في العنوان التالي..

(١) الآية ٣٠ من سورة الأحزاب.

(٢) الآية ٢٨ من سورة الأحزاب.

(٣) الدر المنثور ج ٥ ص ١٩٤ عن ابن سعد، والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ١٧٩-١٨١ وراجع: تقير العز بن عبد السلام ج ٢ ص ٥٧٠ وعمدة القاري ج ١٣ ص ١٩.

الصحيح في القضية:

وبعد.. فقد أوضح علي بن إبراهيم حقيقة القضية، فقال: لما رجع رسول الله «صلى الله عليه وآله» من غزاة خيبر، وأصاب كنز آل أبي الحقيق، قلن أزواجه: أعطنا ما أصبت.

فقال لهن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: قسمته بين المسلمين على ما أمر الله.

فغضبن من ذلك، وقلن: لعلك ترى إن طلقنا ألا نجد الأكفاء من قومنا يتزوجونا؟!

فأنف الله لرسوله، فأمره الله أن يعتزلهن.

فاعتزلهن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مشربة أم إبراهيم تسعة وعشرين يوماً، حتى حضن وطهرن، ثم أنزل الله هذه الآية، وهي آية التخيير، فقال:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرْذِنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنْتَهَا فَمَتَّعَلَيْنَ أُمَتَّعُكُمْ﴾^(١) الآية.

فقامت أم سلمة أول من قامت، فقالت: قد اخترت الله، واخترت رسوله.

فقم من كلهن فعانقنه، وقلن مثل ذلك، فأنزل الله: ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾.

الفصل الثاني: النبي ﷺ يعتزل نساءه أو يطلقهن ٦٣

فقال الصادق «عليه السلام»: من أوى فقد نكح، ومن أرجى فقد طلق^(١).
وقد أيدت رواية جابر وأبي سعيد الخدري التي تقدمت الإشارة إليها
أنفأ: أن القضية كانت تدخل في هذا الاتجاه، أعني مسألة زواجهن بعده
«صلى الله عليه وآله»، مما يعني: أن غضب الله لرسوله، وغضب النبي
لشرف الرسالة، وكرامة الرسول «صلى الله عليه وآله» هو السبب لهذا
الإعتزال..

وقد لاحظنا في روايات هواة التبرير والتعذير: أنهم يسعون جاهدين
لإبهام هذا الأمر. والتحايل على الألفاظ والعبارات من أجل صرف
الأنظار إلى جهات أخرى، فظهرت حيرتهم، وبدا عيهم، وأظهر الله الحقيقة
على لسان أهل البيت «عليهم السلام» وشيعتهم، بل إن مصادرهم لم تخل
من إشارات إليها، ودلالات عليها كما أوضحناه..

ويؤيد هذا الذي قلناه: روايات أخرى، يمكن أن يستفاد منها: أن غيرة
عائشة التي أشار إليها قتادة، كانت هي التي دعت زينب بنت جحش
للتصريح بما كن قد تواطأن عليه، فاستحققن هجران الرسول «صلى الله
عليه وآله» هن، حتى يطهرن تمهيداً لفراقهن بالطلاق ليظهر عدوانهن

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ١٩٢ وتفسير البرهان ج ٣ ص ٣٠٧ و ٣٠٨ والكافي ج ٥
ص ٣٨٨ ومستدرك الوسائل ج ١٥ ص ٣١٠ والبحار ج ٢٢ ص ١٩٨ وجامع
أحاديث الشيعة ج ٢٢ ص ٩٢ والتفسير الأصفي ج ٢ ص ٩٩٨ والتفسير الصافي
ج ٤ ص ١٨٥ و ١٩٧ وج ٦ ص ٣٨ و ٥٨ وتفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٢٦٤
وتفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٢٩٤ وراجع: الحقائق الناضرة ج ٢٣ ص ٩٦ و
١١٠ و ١١٣ وجواهر الكلام ج ٢٩ ص ١٢٠.

الفاحش عليه، وعلى كرامته ودينه، فإن شرف الرسالة والرسول، فوق كل اعتبار.

ويمكن للقارئ الكريم أن يلاحظ الرويات التالية أيضاً:

١ - روي عن الإمام الصادق «عليه السلام»: «أن زينب قالت لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لا تعدل وأنت رسول الله؟»
فقال حفصة: «إن طلقنا وجدنا في قومنا أكفاءنا».

فاحتبس الوحي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» عشرين يوماً.
قال: فأنف الله تعالى لرسوله، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعُكُمْ وَأَسْرَحُكُمْ سَرَاحاً
جَمِيلاً، وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ
مِنْكُمْ أَجْراً عَظِيماً﴾^(١).

قال فاخترن الله ورسوله، ولو اخترن أنفسهن لبن، وإن اخترن الله
ورسوله، فليس بشيء^(٢).

(١) الآية ٢٨ من سورة الأحزاب.

(٢) الكافي ج ٦ ص ١٣٧ و ١٣٨ و ١٣٩ والمقنع للشيخ الصدوق ص ٣٤٧ ورسائل
المرتضى ج ١ ص ٢٤٣ ومختلف الشيعة للعلامة الحلي ج ٧ ص ٣٤٠ و ٣٤١ و
٣٤٣ والحدائق الناضرة ج ٢٣ ص ١٠٠ وج ٢٥ ص ٢٢٢ وج ٢٩ ص ١٢٤ و
١٢٥ وج ٣٢ ص ٦٩ ومن لا يحضره الفقيه ج ٣ ص ٥١٧ والإستبصار للشيخ
الطوسي ج ٣ ص ٣١٣ و ٣١٤ وتهذيب الأحكام ج ٨ ص ٨٨ والوسائل (ط
مؤسسة آل البيت) ج ٢٢ ص ٩٣ و (ط دار الإسلامية) ج ١٥ ص ٣٣٦ وعوالي
اللائي ج ١ ص ٣٠٧ والبحار ج ٢٢ ص ١٧٤ و ٢١٢ و ٢١٣ و ٢٢٠ وجامع =

الفصل الثاني: النبي ﷺ يعتزل نساءه أو يطلقهن ٦٥

٢ - وفي نص آخر عن الإمام الصادق «عليه السلام»: «أن زينب بنت جحش قالت: يرى رسول الله «صلى الله عليه وآله» إن خلّى سبيلنا أن لا نجد زوجاً غيره.

وقد كان اعتزل نساءه تسعاً وعشرين ليلة، فلما قالت زينب الذي قالت بعث الله جبرئيل إلى محمد «صلى الله عليه وآله»، فقال: ﴿قُلْ لَأَزْوَاجِكْ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِذْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا...﴾^(١).

٣ - وفي نص آخر عن أبي بصير، عن أبي جعفر «عليه السلام»: أن زينب لما قالت: إن طلقنا وجدنا في قومنا أكفاءنا، احتبس الوحي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» تسعاً وعشرين ليلة^(٢).

٤ - وعن زرارة، عن أبي جعفر «عليه السلام» نحوه، وفيه: أنه اعتزلهن

= أحاديث الشيعة للسيد البروجردي ج ٢٢ ص ٩١ والتبيان ج ٨ ص ٣٣٥ وتفسير جوامع الجامع للشيخ الطبرسي ج ٣ ص ٦٠ والتفسير الأصفي ج ٢ ص ٩٩٠ والتفسير الصافي ج ٤ ص ١٨٥ وج ٦ ص ٣٩ وتفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٢٦٥ و ٢٦٦ والبرهان ج ٣ ص ٣٠٧.

(١) الحدائق الناضرة ج ٢٥ ص ٢٢٢ والأحكام ليحيى بن الحسين ج ١ ص ٤٢٨ والكافي ج ٦ ص ١٣٨ ومستدرک الوسائل ج ١٥ ص ٣٠٩ والبحار ج ٢٢ ص ٢١٢ وجامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردي ج ٢٢ ص ٩٣ وتفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٢٦٦ والبرهان ج ٣ ص ٣٠٧.

(٢) الكافي ج ٦ ص ١٣٩ وجواهر الكلام ج ٢٩ ص ١٢٥ ومن لا يحضره الفقيه ج ٣ ص ٥١٧ والبحار ج ٢٢ ص ٢٢٠ والتفسير الأصفي ج ٢ ص ٩٩٠ والتفسير الصافي ج ٦ ص ٣٩ والبرهان ج ٣ ص ٣٠٧.

في مشربة أم إبراهيم تسعاً وعشرين ليلة، ثم دعاهن فخيرهن، فاخترنه^(١).

قضية المغاير دليل سمو وعظمة:

والذي نلاحظه أخيراً: أن قضية المغاير رغم أنه «صلى الله عليه وآله» يعرف أنها قائمة على التجني والإفتراء، فإنه كان يستشم رائحة العسل بمجرد أن يوضع أمامه، وحين شروعه بتناوله..

نعم.. رغم معرفته بالحقيقة، ورغم الإهانة الهائلة التي وجهت له، ورغم التعدي السافر على مقام النبوة، وكرامة الأنبياء، فإنه بقي يعامل أولئك الذين فعلوا ذلك كله بهذا الخلق الرضي، وبهذا الإيثار القوي.. رغم أنه أشد الناس رهاقة حس، وأعظمهم شعوراً بالأذى، وأكثرهم اهتماماً بتأييد الدين، واندفاعاً إلى حفظ نوااميسه، وصيانة قدسيته..

ولذلك يقول الله تعالى له: كم أنت عظيم الوفاء، ورؤوف ورحيم.. تقابل الإساءة بالإحسان، الخطيئة بالغفران، والأذى بالمساءة بالشفقة والرضا والحنان..

طلاق سودة:

ومما يدخل في سياق نسبة ما لا يليق إلى رسول الله، ما زعموه: من أن

(١) الكافي ج ٦ ص ١٣٨ والبرهان ج ٣ ص ٣٠٧ وجواهر الكلام ج ٣٢ ص ٧٠ والحدائق الناضرة ج ٢٥ ص ٢٢٢ ودعائم الإسلام ج ٢ ص ٢٦٧ ومستدرك الوسائل ج ١٥ ص ٣٠٩ والبحار ج ٢٢ ص ٢١٢ وجامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردي ج ٢٢ ص ٩٣ وتفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٢٦٦.

الفصل الثاني: النبي ﷺ يعتزل نساءه أو يطلقهن ٦٧

النبي «صلى الله عليه وآله» طلق سودة بنت زمعة تطليقة، فجلست في طريقه فلما مرَّ سألتها الرجعة، وأن تهب قسمها لأي من أزواجه شاء، رجاء أن تبعث يوم القيامة زوجته، فراجعها، وقبل ذلك منها.

أو قالت: واجعل يومي لعائشة، فراجعها^(١).

وهناك رواية تقول: إن سودة حين أسنت فِرقت أن يفارقها «صلى الله عليه وآله»، فقالت: يا رسول الله، يومي لعائشة.

فقبل «صلى الله عليه وآله» ذلك منها^(٢).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٩ ص ٥٩ عن الطبراني بسند فيه ضعف، وجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٤٩ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١١٨ وراجع: الإصابة ج ٤ ص ٣٣٨ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٨ ص ١٩٦ عن ابن سعد، ونيل الأوطار ج ٦ ص ٣٧٤ و ٣٧٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٧٥ و ٢٩٧ وعمدة القاري ج ١٢ ص ٢٩٦ وج ١٣ ص ٢٧١ وج ١٨ ص ١٩٢ والمعجم الكبير للطبراني ج ٢٤ ص ٣٢ ومعرفة السنن والآثار ج ٥ ص ٤٢٦ وتخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ج ٣ ص ١١٩ ونصب الراية ج ٣ ص ٤١٢ والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج ٢ ص ٦٧ والثقات لابن حبان ج ٢ ص ٢٩ وتفسير مجمع البيان ج ٣ ص ٢٠٥ والدر المنثور ج ٢ ص ٢٣٢ وسبل السلام ج ٣ ص ١٦٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ٦٣ وتهذيب الكمال ج ٣٥ ص ٢٠١ والوافي بالوفيات ج ١٦ ص ٢٦ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٢٦٧ والإصابة ج ٨ ص ١٩٦ وزوجات النبي لسعيد أيوب ص ٤٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ١٧٠ و ١٩٩ وج ٩ ص ٦٥ و ٦٧ و ٦٨ عن أحمد، وأبي داود، ومسلم، والبخاري، عن عائشة. وفي هامشه عن: أبي داود (٢٣١٥) والحاكم ج ٢ ص ١٨٩ والبيهقي ج ٧/ ٧٤٢٣١ والبخاري ج ٥ ص ٢٩٣ =

٦٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦
وقيل: إن آية: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ نزلت
في قضية سودة^(١).

= (٢٦٨٨) وج ٩ ص ٣١٢ (٥٢١٢) ومسلم ج ٢ ص ١٠٨٥ (١٤٦٣/٤٧)
وج ٤ ص ٢١٢٩ (٢٧٧٠/٥٦).

وراجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ١١٨ والإصابة ج ٤ ص ٣٣٨ عن الترمذي، وقاموس
الرجال ج ١٢ ص ٢٨٣ والدر المنثور ج ٢ ص ٢٣٢ عن الحاكم وصححه، وأبي
داود، وابن سعد، والبيهقي عن عائشة، وعن ابن جرير عن السدي، وعن
الطيالسي، والترمذي، وحسنه، وابن المنذر والطبراني، والبيهقي في سننه عن ابن
عباس. وراجع: الأحكام ليحيى بن الحسين ج ١ ص ٣٧٥ والمجموع للنووي ج ١٦
ص ٤٤٣ والشرح الكبير ج ٨ ص ١٧٠ والمغني لابن قدامة ج ٨ ص ١٦٥ و ١٦٦
وسبل السلام ج ٣ ص ١٦٤ وفقه السنة ج ٢ ص ٣٠٧ وسنن أبي داود ج ١ ص ٤٧٤
والسنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٧٥ وفتح الباري ج ٩ ص ٢٧٤ وعمدة القاري
ج ١٢ ص ٢٩٦ وج ١٣ ص ٢٧١ وج ١٨ ص ١٩٢ وج ٢٠ ص ٦٩ و ١٩٣ و ١٩٨
وتحفة الأحوذى ج ٨ ص ٣٢٠ وعون المعبود ج ٦ ص ١٢٢ والاستيعاب ج ٤
ص ١٨٦٧ وتخريج الأحاد والآثار ج ١ ص ٣٦١ وج ٣ ص ١١٩ والدرية في تخريج
أحاديث الهداية ج ٢ ص ٦٧ وأحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٤٨١ وأحكام
القرآن لابن العربي ج ١ ص ٦٣٣ والتسهيل لعلوم التنزيل ج ١ ص ١٥٩ ولباب
النقول للسيوطي (ط دار إحياء العلوم) ص ٨٤ و (ط دار الكتب العلمية) ص ٧٣
وتهذيب الكمال ج ٣٥ ص ٢٠١ وكتاب المحبر ص ٨٠ والوافي بالوفيات ج ١٦
ص ٢٦ والبداية والنهاية ج ٧ ص ١٦٢ وعيون الأثر ج ٢ ص ٣٨٢.

(١) تاريخ الخميس ج ١ ص ١١٨ والإصابة ج ٤ ص ٣٣٨ عن الترمذي، والاستيعاب
(مطبوع مع الإصابة) ج ٣ ص ٣٢٤ وقاموس الرجال ج ١٢ ص ٢٨٣ و ٢٨٤
عن ابن الأثير الجزري وراجع الدر المنثور ج ٢ ص ٢٣٢ وراجع ص ٢٣٣ عن =

الفصل الثاني: النبي ﷺ يعتزل نساءه أو يطلقهن ٦٩
ونص آخر يقول: إنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يطلقها، فقالت:
دعني في أزواجك، واجعل يومي لعائشة، ففعل «صلى الله عليه وآله»^(١).

= ابن سعد، والحاكم وصححه، وأبي داود، والبيهقي عن عائشة، والطيايبي،
والترمذي، وحسنه، وابن المنذر، والطبراني، والبيهقي في سننه عن ابن عباس.
وراجع: الشرح الكبير لابن قدامة ج ٨ ص ١٧٠ وسبل السلام ج ٣ ص ١٦٤ والسنن
الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٢٩٧ وعمدة القاري ج ١٢ ص ٢٩٦ وج ٢٠ ص ١٩٣
والمصنف للصنعاني ج ٦ ص ٢٣٨ ونصب الراية للزيلعي ج ٣ ص ٤١٢ وتفسير
ابن أبي حاتم ج ٤ ص ١٠٧٩ والمحزر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج ٢
ص ١١٩ وزاد المسير ج ٢ ص ٢٠٢ والجامع لأحكام القرآن ج ٥ ص ٤٠٣
وتفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٥٧٥ والدر المنثور ج ٢ ص ٢٣٢ وفتح القدير
ج ١ ص ٥٢٢ وتفسير الألوسي ج ٥ ص ١٦١ وتهذيب الكمال ج ٣٥ ص ٢٠١
والوافي بالوفيات ج ١٦ ص ٢٥ و ٢٦ والبداية والنهاية ج ٧ ص ١٦٣.
(١) سبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٧٠ والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج ٤ ص ٣٢٣
وراجع: كشف اللثام (ط ج) ج ٧ ص ٥٢٠ والمبسوط للرخسي ج ٥ ص ٢٢٠
وسنن الترمذي ج ٤ ص ٣١٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٢٩٧ وفتح الباري
ج ٨ ص ٢٠٠ وعمدة القاري ج ١٢ ص ٢٩٦ وج ١٣ ص ٢٧١ وج ١٨ ص ١٩٢
وج ٢٠ ص ١٩٣ ومسنند أبي داود ص ٣٤٩ والمعجم الكبير ج ١١ ص ٢٢٦ وتخريج
الأحاديث والآثار ج ٣ ص ١١٩ وتفسير ابن أبي حاتم ج ٤ ص ١٠٧٩ و ١٠٨٠
وأحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ٣٥٤ وأحكام القرآن لابن العربي ج ١ ص ٦٣٣
وزاد المسير ج ٢ ص ٢٠٢ والجامع لأحكام القرآن ج ٥ ص ٤٠٣ و ٤٠٤ وتفسير
القرآن العظيم ج ١ ص ٥٧٥ والدر المنثور ج ٢ ص ٢٣٢ وفتح القدير ج ١ ص ٥٢٢
وتفسير الألوسي ج ٥ ص ١٦١ وقاموس الرجال ج ١٢ ص ٢٨٣ وأسد الغابة ج ٥
ص ٤٨٥ والإصابة ج ٨ ص ١٩٦.

٧٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

وصرحت بعض هذه النصوص: بأنها وهبت يومها لعائشة تبتغي بذلك رضا النبي «صلى الله عليه وآله»^(١).

ونقول:

١ - إن ملاحظة الروايات المتقدمة: تظهر مدى الاختلاف فيما بينها، وخصوصاً في بيان الدافع لهبتها يومها لعائشة، فهل الدافع لها هو: أنها خافت من أن يطلقها بعد أن أسنت؟! أو لأنه طلقها بالفعل؟! أو أنه أراد أن يطلقها فعلاً؟! أو أنه أراد أن يطلقها فعلاً؟! أو أنه أراد أن يطلقها فعلاً؟!

٢ - إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن ليطلق امرأة لمجرد أنها أسنت، وقد أسنت خديجة عنده، ولم يطلقها.

٣ - إنه إن صح: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد طلق سودة، أو أراد أن يطلقها، فلعله لأمر اقتضى ذلك..

ولعلها أساءت الأدب معه «صلى الله عليه وآله» بسبب حديثها التي كانت فيها، وقد أشارت لها عائشة، ولذلك كانت تسرع فيها للتعنة، كما زعمت عائشة^(٢).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٩ ص ٦٥ عن البخاري، ومسلم، والمجموع للنووي ج ١٦ ص ٤٤٢ وسبل السلام ج ٣ ص ١٦٣ ونيل الأوطار ج ٦ ص ٣٧٤ ومسند أحمد ص ١١٧ وصحيح البخاري ج ٣ ص ١٣٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٢٩٦ والإستذكار ج ٥ ص ٥٤٤ وفيض القدير ج ٥ ص ١٢٢ والطبقات الكبرى ج ٨ ص ١٦٩ وإمتاع الأسماع ج ١٠ ص ٢٣١.

(٢) الإصابة ج ٤ ص ٣٣٨ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٨ ص ١٩٦ وتهذيب الكمال =

الفصل الثاني: النبي ﷺ يعتزل نساءه أو يطلقهن ٧١

والظاهر: أن المقصود هو: أنها كانت كثيراً ما تعمل عملاً يوجب المبادرة إلى لعنها..

وقد تقدم في كتابنا هذا: ما يدل على أنها حين رأت سهيل بن عمرو أسيراً في بدر، وكانت أولاً زوجة أخيه السكران بن عمرو، قالت سودة لسهيل: أأعطيتم بأيديكم؟ هلاً متم كراماً؟

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: يا سودة، أعلى الله ورسوله؟ فاعتذرت له^(١).

وأما نزول آية: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً﴾ في قضية سودة، فيرد عليه:

أولاً: إن ذلك يستلزم الإنتقاص من مقام النبوة الأقدس.

ثانياً: عن عائشة: نزلت هذه الآية ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ...﴾ في رجل كانت

= ج ٣ ص ٢٠١ وتهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٣٧٨ والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج ٤ ص ٣٢٤ و (ط دار الجيل) ص ١٨٦٧ والبداية والنهاية ج ٨ ص ٧٧.

(١) راجع: قاموس الرجال ج ١٢ ص ٢٨٣ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٤٠٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ٨٩ وتهذيب الكمال ج ٣٥ ص ٢٠٣ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٣١ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ١٥٨ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٣٧٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٤٧٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٤٧٦ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٦٥ والمستدرك للحاكم ج ٣ ص ٢٢ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٨ ص ٤٧٦ والمعجم الكبير ج ٢٤ ص ٣٥ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ١٨٨.

٧٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

تحتة امرأة قد طالت حجتها، وولدت منه أولاداً، فأراد أن يستبدل بها، فراضته على أن يقيم عندها، ولا يقيم لها^(١).

ولم يكن لسودة أولاد من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، كما أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن يريد أن يستبدل بها، بل هم يدعون: أنها فرقت أن يطلقها.

ثالثاً: عن مجاهد: إن الآية نزلت في أبي السنابل بن بعكك^(٢).

رابعاً: روى عن أبي هريرة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: من كانت له امرأتان فمال إلى إحدهما، جاء يوم القيامة وأحد شقيه ساقط^(٣).

(١) الدر المنثور ج ٢ ص ٢٣٢ عن ابن ماجة، وسنن ابن ماجة ج ١ ص ٦٣٤ والمستدرك للحاكم ج ٢ ص ٥٩ ولباب النقول للسيوطي (ط دار إحياء العلوم) ص ٨٤ و (ط دار الكتب العلمية) ص ٧٣ وتفسير الجلالين ص ٢٩٩ وراجع: الجامع لأحكام القرآن ج ٥ ص ٤٠٣ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٣ ص ٣٢٨ والإستذكار ج ٥ ص ٥٤٤ والتبيان ج ٣ ص ٣٤٦ و ٣٤٧.

(٢) الدر المنثور ج ٢ ص ٢٣٣ عن ابن جرير، وتفسير مجاهد ج ١ ص ١٧٧ وراجع: جامع البيان ج ٥ ص ٤١٧ وتفسير السمرقندي ج ١ ص ٣٦٩ والمحضر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج ٢ ص ١١٩ وتفسير الثعالبي ج ٢ ص ٣٠٧.

(٣) الدر المنثور ج ٢ ص ٢٣٣ عن ابن أبي شيبة، وأحمد، وعبد بن حميد، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن جرير، وابن ماجة، وراجع: مسند أحمد ج ٢ ص ٣٤٧ و ٤٧١ وسنن ابن ماجة ج ١ ص ٦٣٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٢٩٧ ومسند أبي داود الطيالسي ص ٣٢٢ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٣ ص ٤٤٧ ومسند ابن راهويه ج ١ ص ١٥٩ والمتقى من السنن المسندة ص ١٨٠ وصحيح ابن حبان ج ١٠ ص ٧ وموارد الظمان ج ٤ ص ٢٤٦ وكتر العمال =

الفصل الثاني: النبي ﷺ يعتزل نساءه أو يطلقهن ٧٣

فهل يمكن أن نتصور سودة تخاف من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يميل، أو أن يعرض عنها، ويكون هذا حاله يوم القيامة؟!
والأبعد ذلك من أسباب الطعن في دين من يتوهم في النبي «صلى الله عليه وآله» ذلك؟!

خامساً: ذكروا: أن آية خوف النشوز والإعراض من الزوج قد «نزلت في امرأة رافع بن خديج، وهي: بنت محمد بن مسلمة، التي كانت قد أسنت، فتزوج عليها امرأة شابة، فأعجب بها، فطالبت زوجها الأولى، فعرض عليها أن تكون لها ليلة، ولتلك يومان أو ثلاثة، فلم ترض، فطلقها تطليقة، فرضخت لقوله، فراجعها، فشحت نفسها بنصييها، ولم تنطق بذلك، فطلقها الثانية، فشحت نفسها أيضاً، ثم رضيت بالصلح، واستقرت على ما عرضه عليها، فلم يستطع هو أن يعدل بينهما، فنزلت: ﴿وَلَكِنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾^(١)»^(٢).

= ج ١٦ ص ٣٤٢ وجامع البيان ج ٥ ص ٤٢٦ وأحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ٣٥٦ وتفسير السمرقندي ج ١ ص ٣٧٠ وتفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٥٧٧ وفتح القدير ج ١ ص ٥٢٢ وتفسير الألوسي ج ٥ ص ١٦٣ والمجموع للنووي ج ١٦ ص ٤٢٥ وعوالي اللآلي ج ١ ص ٢٧٢ وجامع أحاديث الشيعة ج ٢١ ص ٢٨٤.

(١) الآية ١٢٩ من سورة النساء.

(٢) تفسير القمي ج ١ ص ١٥٤ و١٥٥ والدر المنثور ج ٢ ص ٢٣٢ عن مالك، وعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصححه عن رافع بن خديج، وعن الشافعي، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، والبيهقي عن سعيد =

رضا النبي ﷺ أم رضا عائشة!!

وقد زعمت بعض الروايات المتقدمة: أن سودة قد وهبت يومها لعائشة،
تبتغي بذلك رضا رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

والذي نظنه هو: أنها كانت بذلك تطلب رضا عائشة، لا رضا رسول
الله «صلى الله عليه وآله»، فقد وجدت في عائشة ما يجعلها تخشى من أي
حالة جفاء لها معها.

ويكفي أن نتذكر: كيف لطخت عائشة وجهها بحريرة (نوع من
الطعام) كان في قصفة أتت بها عائشة، وذلك بحضور رسول الله، لمجرد أنه

= بن المسيب، وراجع: الإستذكار لابن عبد البر ج ٥ ص ٥٤٣ والتبيان ج ٣
ص ٣٤٦ وتفسير مجمع البيان ج ٣ ص ٢٠٥ وتفسير نور الثقلين ج ١ ص ٥٥٧
وتفسير كنز الدقائق ج ٢ ص ٦٤١ وتفسير الميزان ج ٥ ص ١٠٥ وتفسير القرآن
للصنعاني ج ١ ص ١٧٥ وجامع البيان ج ٥ ص ٤١٧ و ٤٢٢ ومعاني القرآن
للنحاس ج ٢ ص ٢٠٦ والمحرم الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج ٢ ص ١١٩
والجامع لأحكام القرآن ج ٥ ص ٤٠٤ وتفسير البحر المحيط ج ٣ ص ٣٧٩ وتفسير
القرآن العظيم ج ١ ص ٥٧٦ والكامل في التاريخ ج ٤ ص ٣٦٣ وتفسير ابن أبي
حاتم ج ٤ ص ١٠٨١ وكتاب الموطأ ج ٢ ص ٥٤٨ والمدونة الكبرى لمالك ج ٢
ص ٣٣٥ ومستدرک الوسائل ج ١٥ ص ١٠٦ والبحار ج ١٠١ ص ٥٧ والمستدرک
للحاكم ج ٢ ص ٣٠٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٢٩٦ وفتح الباري ج ٨
ص ١٩٩ وعمدة القاري ج ١٣ ص ٢٧١ وج ١٨ ص ١٩٢ والمصنف للصنعاني ج ٦
ص ٢٣٨.

الفصل الثاني: النبي ﷺ يعتزل نساءه أو يطلقهن ٧٥
«صلى الله عليه وآله» جلس بينها^(١).

بل هي قد صرحت: بأنها كانت تخاف من عائشة لدرجة أنها رضيت بالإقدام على الكذب، وعلى أذى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فرقاً منها، أنها كانت قد أمرتها بذلك، فراجع قصة المغاير التي تقدمت^(٢).
فلعلها رأت: أن من مصلحتها أن ترشو عائشة بأمر تعلم أنه يرضيها، وتستريح من كثير من المشكلات، التي كان يجب أن تتوقعها وتواجهها، ولا تملك حيلة للتخلص منها..

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٧ ص ١١٤ وج ٩ ص ٧٠ وج ١١ ص ١٤٨ عن النسائي، وأبي بكر الشافعي، وأبي يعلى بسند حسن، وأشار في الهامش إلى مجمع الزوائد ج ٤ ص ٣١٦، وراجع: مسند أبي يعلى ج ٧ ص ٤٤٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤ ص ٤٣ وج ٤٤ ص ٩٠ وكنز العمال ج ١٢ ص ٥٩٣ وج ١٥ ص ٩١ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٤٤١ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٢٩١.

(٢) راجع: مسند أحمد (ط دار صادر) ج ٦ ص ٥٩ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج ٦ ص ١٦٧ وج ٨ ص ٦٤ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج ٤ ص ١٨٥ والبحار ج ٢٢ ص ٢٢٩ وسنن أبي داود ج ٢ ص ١٩١ وتفسير القرآن العظيم ص ٤١٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٧ ص ٣٥٤ وتفسير الثعالبي ج ٥ ص ٤٥٠ وشرح مسلم للنووي ج ١٠ ص ٧٦ وعون المعبود ج ١٠ ص ١٢٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ٨٥ ومسند أبي يعلى ج ٨ ص ٣٠٠ وتفسير مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥ وتفسير القرآن للصنعاني ج ٣ ص ٣٠١ وأسباب نزول الآيات للنيسابوري ص ٢٩١ وزاد المسير ج ٨ ص ٤٩ والجامع لأحكام القرآن ج ١٨ ص ١٧٧.

سبب طلاق سودة:

إنه لو صح: أنه «صلى الله عليه وآله» قد طلق سودة، فلا بد أن تكون قد ارتكبت حماقة كبرى بالجرأة على مقامه الأقدس، وتواطئها مع أقرانها على رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذ ليس من الطبيعي أن يتحملها رسول الله «صلى الله عليه وآله» تلك السنين الطويلة، ويغض الطرف حتى حينما كانت تؤنب سهيل بن عمرو على فشله مع المسلمين في حرب بدر، وتقول له: هلاً متم كراماً؟ ثم يطلقها لسبب تافهٍ وشخصي بعد ذلك..

من الذي خدع مليكة الكندية؟!:

وذكروا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» تزوج في السنة الثامنة في شهر رمضان مليكة بنت كعب الكندية. وكانت ذات جمال بارع، وكان خالد بن الوليد قد قتل أباه يوم الفتح، فقالت لها عائشة: ألا تستحين؟! تتزوجين رجلاً قتل أباك؟!!

فقالت: فكيف أصنع؟

فقالت: استعيزي بالله منه.

فاستعازت، فطلقها^(١).

(١) أنساب الأشراف ج ١ ص ٤٥٨ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج ٨ ص ١١٢ و (ط دار صادر) ص ١٤٨ وراجع: البحار ج ٢١ ص ١٨٣ عن المنتقى للكاظمي، وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٢٣٠ و ٢٣١ عن ابن سعد، والواقدي، وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١١٨ وراجع: قاموس الرجال ج ١٢ ص ٣٠١ و ٣٤٥ وإمتاع الأسماع ج ٦ ص ١٠١ ووضوء النبي للشهرستاني ج ١ =

الفصل الثاني: النبي ﷺ يعتزل نساءه أو يطلقهن ٧٧

إننا لسنا بحاجة إلى التذكير: بأن أمثال هذه الأمور قد تكررت من عائشة، التي لم تسلم من لسانها ومن أذاها أي من زوجات رسول الله «صلى الله عليه وآله».

حتى إنها قد لحقت حتى الأموات منهن في قبورهن، رغم أنها لم تجتمع معهن في بيت الزوجية أبداً.

فقد نالت من أفضل نساء رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهي السيدة خديجة في أكثر من مناسبة، وسمعت من رسول الله «صلى الله عليه وآله» الرد الحاسم والقوي الذي لم تكن تتوقعه فيما يظهر.. وقد تقدم ذلك في بعض فصول هذا الكتاب.

طلقها قبل أن يدخل بها:

عن عطاء بن يزيد الجندعي، قال: تزوج رسول الله «صلى الله عليه وآله» مليكة بنت كعب الليثي في شهر رمضان سنة ثمان، ودخل بها، فماتت عنده^(١).

= ص ٢٣٧ والإصابة ج ٨ ص ٣٢٠ والمنتخب من ذيل المذيل ص ٨٩ والبداية والنهاية ٥ ص ٣٢٠ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣ ص ٢٣١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٥٩٢ ومستدرك سفينة البحار ج ٤ ص ٣٣٣ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٤٠ والكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٢ ص ٢٦٠.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٢٣١ عن ابن سعد، والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ١٤٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣ ص ٢٣٢ والمنتخب من ذيل المذيل ص ٨٩ والإصابة ج ٨ ص ٣٢٠.

ونقول:

إن هذه الرواية مردودة بما يلي:

أولاً: بضعف سندها^(١).

ثانياً: قال الواقدي: وأصحابنا ينكرون ذلك، ويقولون: لم يتزوج رسول الله «صلى الله عليه وآله» كنانة قط^(٢) وعن الزهري والكلبي مثله.

ثالثاً: قد ذكر أبو معشر استعاذة مليكة من رسول الله، وطلاقه «صلى الله عليه وآله» لها، وقال: «فجاء قومها، فقالوا: يا رسول الله، إنها صغيرة، وإنما لا رأي لها، وإنما خدعت، فارتجعها».

فأبى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فاستأذنوه أن يتزوجها قريب لها من بني عذرة، فأذن لهم، فتزوجها العذري^(٣).

أسماء بنت النعمان ضحية أخرى:

ولم تكن مليكة هي الضحية الوحيدة، التي وقعت في هذا الفخ، بل شاركتها في ذلك أسماء بنت النعمان الجونية، فقد أراد النبي «صلى الله عليه وآله» أن يتزوجها، فجعلت عائشة وحفصة تصلحان من شأنها، فقالتا لها:

(١) سبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٢٣١.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٢٣١ عن الواقدي، وراجع: قاموس الرجال ج ٣٤٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ١٤٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣ ص ٢٣٢ والإصابة ج ٨ ص ٣٢٠.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٢٣٠ و ٢٣١ عن ابن سعد والواقدي وراجع المصادر المتقدمة.

الفصل الثاني: النبي ﷺ يعتزل نساءه أو يطلقهن ٧٩
إن النبي «صلى الله عليه وآله» يعجبه من المرأة إذا دخلت عليه أن تقول:
أعوذ بالله منك.

فلما خلا بها رسول الله «صلى الله عليه وآله» قالت له ذلك، فخرج
عنها، وأرسلها إلى أهلها، ومتعها برازقيتين (نوع من الثياب) وطلقها^(١).
وطلاق هذه المرأة هو الأنسب بحالها والأقرب إلى الرفق بها. فإن
بقاءها في بيت النبي «صلى الله عليه وآله» سوف يمتكن هاتين المرأتين،
وغيرهن من النساء اللواتي يتحركن بوحى منها أضحوكة وموضعاً
للسخرية والإستهزاء، وفي معرض الأذى في أكثر من اتجاه.

(١) المستدرك للحاكم ج ٤ ص ٣٧ وتلخيص المستدرك (مطبوع بهامشه) نفس الجزء
والصفحة، والإصابة ج ٤ ص ٢٣٣ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٨ ص ٢٠
والطبقات الكبرى ج ٨ ص ١٤٥ و ١٤٦ وراجع: تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٦٩
والأحكام ليحيى بن الحسين ج ١ ص ٤٥٧ وخلاصة عبقات الأنوار ج ٣
ص ٢٧٦ والنص والإجتهاد ص ٤١٣ والمنتخب من ذيل المذيل ص ١٠٦.

بہشتیہ صفتوں سے بہت زیادہ زیادہ ہے (یعنی بہشتیہ صفتوں سے بہت زیادہ زیادہ ہے)

بہشتیہ صفتوں سے بہت زیادہ زیادہ ہے (یعنی بہشتیہ صفتوں سے بہت زیادہ زیادہ ہے)

بہشتیہ صفتوں سے بہت زیادہ زیادہ ہے

بہشتیہ صفتوں سے بہت زیادہ زیادہ ہے

بہشتیہ صفتوں سے بہت زیادہ زیادہ ہے (یعنی بہشتیہ صفتوں سے بہت زیادہ زیادہ ہے)

بہشتیہ صفتوں سے بہت زیادہ زیادہ ہے

بہشتیہ صفتوں سے بہت زیادہ زیادہ ہے (یعنی بہشتیہ صفتوں سے بہت زیادہ زیادہ ہے)

بہشتیہ صفتوں سے بہت زیادہ زیادہ ہے

بہشتیہ صفتوں سے بہت زیادہ زیادہ ہے (یعنی بہشتیہ صفتوں سے بہت زیادہ زیادہ ہے)

بہشتیہ صفتوں سے بہت زیادہ زیادہ ہے

بہشتیہ صفتوں سے بہت زیادہ زیادہ ہے

بہشتیہ صفتوں سے بہت زیادہ زیادہ ہے

بہشتیہ صفتوں سے بہت زیادہ زیادہ ہے

بہشتیہ صفتوں سے بہت زیادہ زیادہ ہے

الفصل الثالث:

أحداث وقضايا

Handwritten text in a box: *Handwritten text*

Handwritten text: *Handwritten text*

Handwritten text in a box: *Handwritten text*

عتّاب بن أسيد يحج بالناس:

وأقام «صلى الله عليه وآله» بالمدينة ما بين ذي الحجة إلى رجب^(١).
قالوا: وحج بالناس في تلك السنة - وهي سنة ثمان - عتّاب بن أسيد.
وذلك: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما فتح مكة استعمله عليها
للمصلاة والحج^(٢)، فحج بالناس تلك السنة على ما كان عليه الناس في

(١) إعلام الوری ص ١٢٨ و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج ١ ص ٢٤٣
والبحار ج ٢١ ص ١٧٤ ومجمع البيان ج ٩ ص ١٩٢ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢
ص ٣٢ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٦٦، الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٧٦
والبدایة والنهاية ج ٥ ص ٦ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٩٤٣ والسيرة
النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٤.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٦٩ و ٧٧ عن الماوردي في حوايه، في السير
والحج، وراجع: أسد الغابة ج ٣ ص ٣٥٨ ووج ٥ ص ٥٥ وتهذيب الكمال ج ١٩
ص ٢٨٣ والإصابة ج ٤ ص ٣٥٦ و ٣٥٧ ووج ٦ ص ٤١٥ وتهذيب التهذيب ج ٧
ص ٨٢ والوافي بالوفيات ج ١٩ ص ٢٨٩ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٧٨ والسيرة
النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٩٣٦ وإعلام الوری ج ١ ص ٢٤٣ وفتح الباري ج ٨
ص ٦٥ ومعرفة السنن والآثار ج ٣ ص ٤٩١ والإستيعاب ج ٣ ص ١٠٢٣
والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٤٥ ووج ٥ ص ٤٤٦ وتاريخ خليفة بن خياط =

الجاهلية"، ثم كانت غزوة تبوك.

ونقول:

قد يقال: لماذا لم يبقَ «صلى الله عليه وآله» في مكة إلى ذي الحجة الذي أصبح على الأبواب، ولم يكن قد بقي لحلوله سوى أيام قليلة، ليحج هو بالناس؟!.

مع أنه «صلى الله عليه وآله» حين عاد إلى المدينة لم يقم بعمل أساسي، طيلة أكثر من سبعة أشهر.

وقد يمكن أن يكون الجواب: أنه «صلى الله عليه وآله» يريد أن يتلافى ما كان قد جرى في مؤتة، بإفهام الروم، وخصوصاً بعد فتح مكة، وامتداد نشاطه إلى مناطق اليمن: أنه بعد مؤتة لم ينكفئ إلى الداخل، لأنه يشعر بالضعف والعجز عن مواجهتهم، وأن مؤتة لم تفرز لديه شعوراً من هذا القبيل، بل توجه إلى الداخل ليهيئ أسباب القوة، وليزيل أعتى قوى الشرك في المنطقة، ثم هو بعد ذلك لم يزل راصداً لتحركات كل من تحدته نفسه بالعدوان، أو بالانتقاص من حقه، وحق أهل الإسلام، بل وسائر المستضعفين في الأرض.

صنع المنبر لرسول الله ﷺ:

وقد ذكروا في جملة أحداث السنة الثامنة: صنع المنبر لرسول الله «صلى

= ص ٥٦ والمسترشد للطبري ص ١٢٩ والبحار ج ٢٨ ص ١٦٩ مغني المحتاج

ج ٤ ص ٣٧٢ وإعانة الطالبين ج ٤ ص ٢٤١.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٧٠.

الله عليه وآله» بعد أن كان يقف حين يخطب عند جذع كان هناك. فلما ترك النبي «صلى الله عليه وآله» الجذع سمعوا له حيناً..
وقد تقدمت هذه القضية بشيء من التفصيل في أحداث السنة السابعة للهجرة، فأغنانا ذلك عن الإعادة هنا.

موت النجاشي:

وذكروا في أحداث السنة التاسعة للهجرة في شهر رجب موت النجاشي ملك الحبشة، واسمه أصحمة. وأن النبي «صلى الله عليه وآله» أخبر المسلمين بموته في نفس اليوم الذي مات فيه. وصفهم وصلى عليه، وكبر عليه أربع تكبيرات، وقال: استغفروا لأخيكم^(١).

ولكننا قد تحدثنا عن هذا الأمر في أحداث السنة السابعة. فراجع فصل: شخصيات.. وأحداث إلى عمرة القضاء.

وقلنا: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد كبر عليه خمساً.. وذكرنا تفاصيل أخرى تحسن مراجعتها.

بيع بعض المسلمين أسلحتهم:

قالوا: وفي السنة التاسعة باع بعض المسلمين أسلحتهم، وقالوا: انقطع الجهاد.

فقال «صلى الله عليه وآله»: لا ينقطع الجهاد حتى ينزل عيسى بن مريم^(٢).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٧١ و ٧٢ عن البخاري ومسلم.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٧٢.

ونقول:

إن في بيع هؤلاء أسلحتهم دلالة واضحة على قصر نظرهم وعدم التزامهم بتوجيهات قيادتهم، فهم قد باعوا أسلحتهم دون أن يراجعوا النبي «صلى الله عليه وآله» ليستجيزوه بذلك، أو ليعرفوا رأيه فيما يقدمون عليه..

ثم إن مما يؤكد ضيق أفق تفكيرهم: أنهم ظنوا أن أقصى ما يريد الله ورسوله هو: دخول الإسلام إلى مكة والحجاز، ولا شيء أكثر من ذلك، مع أن الله تعالى لم يزل يقول لنبيه الكريم: إنه مرسل للبشرية جمعاء، فقد قال تعالى: ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾^(١)، ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^(٢)، ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾^(٣)، ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾^(٤)، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٥) وغير ذلك..

ودخول جزيرة العرب في الإسلام، وردُّ تحديات سكانها، وسقوط الشرك، واستسلام رموزه لا يعني شمول دعوة الإسلام للعالم كله، ولا يمنع من ظهور تحديات أعتى وأقوى من قبل قوى الاستكبار في دولتي الأكاسرة والقيصرة وسواهما، ممن يمكن أن يجد في نفسه القوة لمواجهة أهل الإيمان.

(١) الآية ٣٦ من سورة المدثر.

(٢) الآية ١ من سورة الفرقان.

(٣) الآية ٢٧ من سورة التكوين، والآية ٨٧ من سورة ص، والآية ١٠٤ من سورة يوسف.

(٤) الآية ٥٢ من سورة القلم.

(٥) الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء.

كعب بن زهير في محضر رسول الله ﷺ:

وبعد انصراف النبي «صلى الله عليه وآله» من الطائف قدم كعب بن زهير على النبي «صلى الله عليه وآله» فأنشده قصيدته التي أولها:

بانث سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول
وأسلم بعد أن كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد أهدر دمه^(١).

وقد روى البيهقي، وأبو بكر محمد بن القاسم بن بشار، وأبو البركات عن عبد الرحمن بن محمد بن أبي الأسعد الأنباريان، قال: خرج كعب وبجير ابنا زهير حتى أتيا أبرق العراف (العراق)، فقال بجير لكعب: أثبت في عجل هذا المكان، حتى آتي هذا الرجل، يعني رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأسمع ما يقول.

فثبت كعب، وخرج بجير، فجاء رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فسمع كلامه فأمن به.

وذلك: أن زهير بن أبي سلمى - فيما يزعمون - كان يجالس أهل الكتاب، فسمع منهم أنه قد آن مبعث نبي.

ورأى زهير في منامه: أنه قد مد سبباً من السماء، وأنه قد مد يده ليتناوله ففاته، فأوله بالنبي «صلى الله عليه وآله» يبعث، وأنه في آخر الزمان لا يدركه، وخبر بنيته بذلك، وأوصاهم إن أدركوا النبي «صلى الله عليه وآله» أن يسلموا.

ولما اتصل خبر إسلام بجير لأخيه أغضبه ذلك، فقال:

(١) الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ٣ ص ٢٩٧ و ٢٩٨.

ألا أبلغن عني بجيراً رسالة فهل لك فيما قلت ويحك هل لك
فبين لنا إن كنت لست بفاعل على أي شيء غير ذلك دلوكا
على خلق لم تلق (تلف) أما ولا أباً عليه ولم تدرك عليه أخاً لكا
فإن أنت لم تفعل فلست بآسف ولا قائل إما عثرت لعاً لكا
سقاك بها المأمون كأساً روية فانهلك المأمون منها وعلكا^(١)
وفي الاستيعاب:

شربت بكأس عند آل محمد وانهلك المأمون فيها وعلكا^(٢)
وبعث بها إلى بجير، فلما أتت بجيراً كره أن يكتمها رسول الله «صلى
الله عليه وآله»، فأنشده إياها، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «سقاك
بها المأمون! صدق، وإنه لكذوب، وأنا المأمون».

وأهدر دمه، وقال: من لقي كعباً فليقتله، فكتب بجير إلى أخيه يذكر أن
رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أهدر دمه، وقال: من لقي كعباً فليقتله،
وليقول له: النجاء، وما أراك تنفلت.

ثم كتب إليه بعد ذلك: اعلم أن رسول الله لا يأتيه أحد يشهد أن لا إله
إلا الله، وأن محمداً رسول الله إلا قبل ذلك منه، وأسقط ما كان قبل ذلك،
فإذا جاءك كتابي هذا فأسلم، وأقبل^(٣).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٧٠ والإصابة ج ٣ ص ٢٩٥.

(٢) الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ٣ ص ٢٩٨.

(٣) الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ٣ ص ٢٩٨ وسبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٧٠
والإصابة ج ٣ ص ٢٩٥.

وذكر ابن إسحاق: أن بجيراً كتب إليه:

فمن مبلغ كعباً فهل لك في التي تلوم عليها باطلاً وهي أحزم
إلى الله لا العزى ولا اللات وحده فتنجو إذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم لا تنجو ولست بمفلت من الناس إلا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شيء دينه ودين أبي سلمى عليّ محرم
فلما بلغ كعباً الكتاب ضاقت به الأرض، وأشفق على نفسه. وأرجف
به من كان في حاضره من عدوه، فقالوا: هو مقتول، فلما لم يجد من شيء بدأ
قال قصيدته التي مطلعها:

بانث سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول^(١)
قال العسقلاني: وأسلم كعب، وقدم حتى أناخ بباب المسجد، قال:
فعرفت رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالصفة، فتخطيت حتى جلست
إليه فأسلمت، ثم قلت: الأمان يا رسول الله، أنا كعب بن زهير.
قال: أنت الذي تقول، والتفت إلى أبي بكر، فقال: كيف قال.
فذكر الأبيات الثلاثة، فلما قال: فانهلك المأمور، قلت: يا رسول الله، ما
هكذا قلت، وإنما قلت: المأمون.
قال مأمون والله، وأنشده القصيدة^(٢)..
إلى أن يقول فيها:

(١) سبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٧١ وراجع: الإستهباب (بهاشم الإصابة) ج ٣ ص ٢٩٧-٢٩٩.
(٢) الإصابة ج ٣ ص ٢٩٥.

نبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول وفيها:

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول فكساه رسول الله «صلى الله عليه وآله» بردة له، فاشتراها معاوية من ولده، فهي التي يلبسها الخلفاء في الأعياد.

وقد مدح فيها المهاجرين، ولم يذكر الأنصار، وفيها:

في فتية من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما أسلموا زولوا فكلمته الأنصار، فصنع فيهم شعراً^(١).
ونقول:

إن لنا هنا بعض الوقفات والإيضاحات، وهي كما يلي:

رواية لا تصح:

ذكرت بعض الروايات: أن كعب بن زهير قدم المدينة، فسأل عن أرق أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فدل على أبي بكر، فأخبره خبره، فمشى أبو بكر، وكعب على أثره، وقد التثم، حتى صار بين يدي النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: رجل يبايعك.
فمد النبي «صلى الله عليه وآله» يده، فمد كعب يده، فبايعه وأسفر عن وجهه، فأنشده قصيدته^(٢).

(١) راجع: الإستهباب (بهاشم الإصابة) ج ٣ ص ٢٩٧ و ٢٩٨ والإصابة ج ٣ ص ٢٩٦.

(٢) الإصابة ج ٣ ص ٢٩٥ و ٢٩٦.

وهي رواية نشك في صحتها، وذلك لما يلي:

أولاً: إن ما تقدم عن العسقلاني يبين: أن كعباً قد وصل مباشرة إلى رسول «صلى الله عليه وآله»، ولم يتوسط له أحد، لا أبو بكر، ولا غيره.
ثانياً: إن الوساطة التي تذكرها هذه الرواية لم يكن لها أثر، حيث إن الرجل جاء ملثماً، وقد مشى إلى النبي «صلى الله عليه وآله» حتى صار عنده فبايعه، ولم نجد أبا بكر قد شفع له، أو تكلم في أمره، أو هوّن من جرمه، أو دفع أحداً عنه، أو نحو ذلك.

ثالثاً: هل صحيح أن أبا بكر كان أرقّ أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! فلماذا إذن أصرّ على حرب الذين لم يعترفوا بخلافته، وسفك دماءهم، وسبى نساءهم، بل أباح تلك النساء لقائد جيشه خالد بن الوليد، ليزني بهن في ليلة قتل أزواجهن، كما جرى لزوجته مالك بن نويرة، حيث زنى خالد بزوجته بعد قتله مباشرة، واعتبر أبو بكر فاعل ذلك سيف الله المسلول على أعدائه، ومنحه وسام الاجتهاد، لكي يشبهه على فعله هذا ثواباً واحداً على الأقل.

ولم تتحرك عاطفة أبي بكر، ولم تظهر رفته لرأس مالك بن نويرة، وهو يجعل أنفة للقدّر التي كان خالد يهّيء فيها وليمة زناه بزوجة ذلك المقتول صاحب الرأس في ليلة قتله.

رابعاً: هل كان أبو بكر أرق من رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! وهل يحتاج النبي «صلى الله عليه وآله» إلى من يرققه على الآخرين، في حين أنه هو الذي صرحت الآيات: بأن نفسه كانت تذهب حشرات على من يتخذ سبيل الشرك والانحراف، حتى لقد خاطبه الله تعالى بقوله: ﴿فَلَا

٩٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ»^(١)، وقال سبحانه: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا»^(٢).

إلا أن يقال: إن كعب بن زهير كان لا يعرف الكثير عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

خامساً: قد صرحت الروايات المتقدمة: بأن بجيراً قد ذهب إلى النبي «صلى الله عليه وآله» وأسلم، ثم كتب إلى أخيه كعب بن زهير يخبره بأن من عادة النبي «صلى الله عليه وآله»: أنه لا يأتيه أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، إلا قبل ذلك منه، وأسقط ما كان قبل ذلك^(٣).

فلماذا يريد ترفيق رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! ولماذا يبحث عن أرقّ رجل في المدينة؟! فإنه كان يعلم أن المشكلة محلولة..

وإنما قدم كعب إلى المدينة على هذا الأساس.

سادساً: قد يقال: إن كعباً إنما خاف أن يقتله أحد من المسلمين تنفيذاً لأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، الذي أهدر دمه، فكان يحتاج إلى من يحميه من الناس إلى أن يصل إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وجوابه: أن هذا غير وارد، فإن المفروض: أن كعباً قد دخل المدينة، وصار يسأل عن أرق الناس، حتى وصل إلى أبي بكر، ولم يقتله أحد.. فلماذا لا يصل إلى النبي «صلى الله عليه وآله» بنفس الطريقة؟! وهل كان وصوله

(١) الآية ٨ من سورة فاطر.

(٢) الآية ٦ من سورة الكهف.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٧٠ والإصابة ج ٣ ص ٢٩٥ والاستيعاب (بهامش الإصابة) ج ٣ ص ٢٩٨.

إلى أبي بكر أيسر من وصوله إلى النبي «صلى الله عليه وآله».

على أنهم يذكرون: أنه جاء إلى النبي «صلى الله عليه وآله» مثلثاً، ولم يعترضه أحد، فماذا لو أنه أتى إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» مثلثاً من أول الأمر، وقبل أن يوسط أحداً من الناس.

سابعاً: قال القسطلاني: إن كعب بن زهير «لما لم يجد من شيء بداً قال قصيدته التي يمدح بها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويذكر خوفه، وإرجاف الوشاة به من عدوه، ثم خرج حتى قدم المدينة، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة، من جهينة. فغدا به إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: هذا رسول الله، فقم إليه واستأمنه.

فقام حتى جلس إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فوضع يده في يده - وكان «صلى الله عليه وآله» لا يعرفه، فقال: يا رسول الله، إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمنك تائباً مسلماً، فهل أنت قابل منه، إن أنا جئت بك به؟ فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: نعم.

قال: أنا يا رسول الله كعب بن زهير.

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أنه وثب عليه رجل من الأنصار وقال: يا رسول الله، دعني وعدو الله أضرب عنقه. فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: دعه عنك، فإنه قد جاء تائباً نازعاً. قال: فغضب كعب على هذا الحي من الأنصار لما صنع به صاحبهم^(١). ثم ذكر شطراً من قصيدته حتى انتهى إلى قوله الذي يمدح فيه قريشاً

ويهجو الأنصار، وهو:

في عصابة من قريش قال قائلها ببطن مكة لما أسلموا زولوا
يمشون مثي الجمال الزهر يعصمهم ضرب إذا عرد السود التنابيل
قال ابن إسحاق: قال عاصم بن عمرو بن قتادة: فلما قال كعب: «إذا
عرد السود التنابيل»، وإنما عنى معشر الأنصار لما كان صاحبهم صنع به،
وخص المهاجرين بمدحته، غضب عليه الأنصار، فقال بعد أن أسلم يمدح
الأنصار:

من سره كرم الحياة فلا يزل في مقنب من صالحى الأنصار
الباذلين نفوسهم لنبيهم يوم الهياج وفتية الأحبار
والضاريين الناس عن أحياضهم بالمشرق وبالقنا الخطار
والناظرين بأعين محمرة كالجمر غير كليله الأبصار
يتطهرون كأنه نسك لهم بدماء من علقوا من الكفار
لو يعلم الأقوام علمي كله فيهم لصدقني الذين أماري^(١)
فهذا النص يشير إلى أمرين:

أحدهما: أن كعب بن زهير قد أعد قصيدته قبل أن يقدم المدينة،
ويدخل على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم تلاها عليه «صلى الله عليه
وآله» في نفس هذا المجلس، فلا يصح زعم هذا النص أنه قد هجا الأنصار
في هذه القصيدة بالذات، لأجل أن أحدهم لما رآه عند النبي «صلى الله عليه

وآله» قال له: دعني وعدو الله أضرب عنقه.

الثاني: إنه يقول: إن كعباً قد نزل على رجل من جهينة كانت بينه وبينه معرفة، فأخذه الجهني إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فلا يصح قولهم: إنه نزل على أبي بكر، وإن أبا بكر هو الذي اصطحبه إلى النبي «صلى الله عليه وآله».

لماذا أهدر النبي ﷺ دم كعب:

وعن سبب إهدار النبي «صلى الله عليه وآله» دم كعب بن زهير نقول: لقد كان للشعر تأثيره العميق، وللشعراء دورهم الحساس في حياة الناس، وفي مشاعرهم وفكرهم، وبلورة مواقفهم. فالشاعر يستطيع أن يكون له دوره القوي، والفاعل - بل والحاسم أحياناً - في هداية الناس وضلالهم، وفي عزهم وذلهم، وإلحاق الخزي والعار بهم، لمجرد اختراع اختراعه، أو حديث وهمي ابتدعه، أو إفك صنعه، أو بهتان وضعه.

فالشاعر تاجر فاجر، يتاجر بأعراض الناس، ويتزهم، ويعتدي على كراماتهم بالظلم والطغيان، وبالإفك والبهتان عليهم في وضح النهار، من دون أن يرمش له جفن، أو أن يتكدر له خاطر..

والشاعر يوقظ غرائز الناس ويثيرها، ويستخف عقولهم، ويتلاعب بأهوائهم، والشاعر معتد أثيم، وعتل زنيم. يقول ما لا يفعل، ويخوض مع الخائضين، ويهيم في ظلمات الجهل، وهم الهوى مع الهائمين..

قال تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَأَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَمِيمُونَ

٩٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦
وَأَنْتُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ^(١).

وكان كعب بن زهير قد شرع يحرك حربة شعره التضليلي، الذي يرتكز إلى الإفك والبهتان، وينضح بالإثم والعدوان ليسددها إلى قلب الهدى، وعنوان السداد والرشاد، ليختطف منه نوره الباهر، ووضوحه وبهاء الظاهر، ليجعله أسيراً بأيدي الأهواء، حيث تتحكم به النفوس الطامعة وهي غارقة في حمأة شهواتها، ورهينة لدى الغرائز الجاحدة في نزواتها.

وقد كان خُلِقَ رسول الله «صلى الله عليه وآله» آية من آيات الجمال والكمال، الذي شهد به القاصي والداني، واعترف به العدو والصديق.

ورغم كل الحقد الذي كان يعتلج في صدورهم، فإن ذلك الخلق الرضي كان يجتنبهم إلى هذا الدين، ويزيل غيظهم، ويذهب بحقدهم، لأنه كان يلامس وجدانهم، ويخاطب عقولهم، وينسجم مع فطرتهم.

وقد حاول كعب بن زهير: أن يستخف عقول الناس، ويستثير فيهم أهواءهم وغرائزهم، لكي يهيمن على مشاعرهم، ويقيم الحواجز والسدود التي تعزل ضمائرهم وفطرتهم، وتحجبها عن ملاسة ذلك الخلق الرضي، حتى لا يبقى للناس سبيل هداية، ولا بصيص نور رشاد، ولا سداد، من دون أن يقدم أي مبرر لفعله هذا، مهما كان تافهاً وسخيفاً، سوى أن خُلِقَ النبي «صلى الله عليه وآله» يخالف خُلِقَ الآباء ومن تابعهم، فقال:

على خلق لم تلق (تلف) أمأً ولا أبأً عليه ولم تدرك عليه أخأً لكا
إن كعب بن زهير قد اقترف بفعله الرخيص هذا أعظم الجرائم،

وأقبحها، من حيث إنه يريد أن يحرم الناس من الحياة ويسوقهم إلى البوار والهلاك، في الدنيا والآخرة، فلماذا لا يهدر النبي «صلى الله عليه وآله» دمه؟! ويأمر كل من رآه بأن ينفذ حكم الله فيه؟! إلا أن يتوب وينيب إلى الله، ويتخلى عن هذا الظلم الظاهر، والعدوان السافر على الناس في أعز شيء لديهم.. فإن ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾^(١).

معاوية.. وبردة كعب:

وقد ذكرت النصوص المتقدمة: شراء معاوية من ولد كعب بن زهير تلك البردة التي كساها النبي «صلى الله عليه وآله» كعباً. وأن الخلفاء كانوا يلبسونها في الأعياد.

ولكن مما لا شك فيه: أن معاوية لم يكن من أهل الاعتقاد برسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى الحد الذي يدعوهُ للتبرك بآثاره، والإهتمام بشرائها وتوريثها لمن بعده.. كيف!! وهو الذي أقسم على دفن اسم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإسقاطه من الأذان.. فقال حين سمع الأذان: لا والله، إلا دفناً دفناً^(٢).

(١) الآية ٣٢ من سورة المائدة.

(٢) الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ١ ص ٣٨ والبحار ج ٣٣ ص ١٦٩ و ١٧٠ والغدير ج ١٠ ص ٢٨٣ و ٢٨٤ ووضوء النبي «صلى الله عليه وآله» ج ١ ص ٢٠٨ وعن مروج الذهب ج ٣ ص ٤٥٤ و (ط أخرى) ج ٢ ص ٣٤١ والموفقيات للزبير بن بكار ٥٧٦ - ٥٧٧ والنصائح الكافية ص ١١٦ وشرح =

وقد كان معاوية من الطلقاء، ومن طلاب الدنيا، وقد تأمر على عثمان حتى قتل، وحارب وصي رسول الله «صلى الله عليه وآله»..
ويكفيه: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» دعا عليه؛ بأن لا يشبع الله له بطناً^(١).

= النهج للمعتزلي ج ٩ ص ٢٣٨ و (ط دار إحياء الكتب العربية) ج ٥ ص ١٢٩ و ١٣٠ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ١ ص ٤٧ و ٤٨ وكشف الغمة ج ٢ ص ٤٥ و ٤٦ وكشف اليقين للعلامة الحلي ص ٤٧٤ و ٤٧٥ وقاموس الرجال ج ٩ ص ٢٠ و بهج الصباغة ج ٣ ص ١٩٣.

(١) الوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ١ ص ٥٨ ومستدرك الوسائل ج ١ ص ٢٢ وشرح الأخبار ج ٢ ص ٤٧ و ١٦٦ و ٥٣٦ والمناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ١٤٠ والعمدة لابن البطريق ص ٤٥٦ والطرائف لابن طاووس ص ٥٠٤ وعين العبرة لأحمد ابن طاووس ص ٥٩ والصراط المستقيم ج ٣ ص ٤٧ ووصول الأخيار إلى أصول الأخبار لوالد البهائي ص ٧٨ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٦٣٢ والبحار ج ٢٢ ص ٢٤٨ وج ٣٣ ص ١٩٠ و ١٩٤ و ١٩٥ و ٢٠٩ وج ٤٤ ص ٧٦ و ٧٧ ومناقب أهل البيت للشيرازي ص ٤٦٥ و ٤٦٦ والغدير ج ٢ ص ١٤٤ وج ١١ ص ٧٩ و ٨٩ ومستدرك سفينة البحار ج ٥ ص ٣٣٩ ومكاتب الرسول ج ١ ص ١١٨ و ١٦١ و ٦٥٠ وصحيح مسلم ج ٨ ص ٢٧ وشرح مسلم للنووي ج ١٦ ص ١٥٢ وتحفة الأحوذى ج ٤ ص ١٢٨ ومسنند أبي داود الطيالسي ص ٣٥٩ وخصائص أمير المؤمنين «عليه السلام» للنسائي ص ٢٣ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ١٧٦ وأبو هريرة لشرف الدين ص ٩٨ و ٢٠٢ وشيخ المضيرة لأبي رية ص ٢٠٨ ومعجم رجال الحديث ج ١٩ ص ٢١٥ وطبقات المحدثين بأصبهان ج ٣ ص ٣٤ و تهذيب الكمال ج ٢٢ ص ٣٤٤ وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٣٤٠ وسير =

وقد لعنه ولعن أباه وأخاه، فقال: لعن الله الراكب، والقائد، والسائق^(١).
فشراء معاوية للبردة إنما هو لأجل أن يتخذ منها شركاً يصطاد به
قلوب الناس، ويعمّي عليهم الأمور، وليوحي لهم: بأنه يقدّس الرسول،
ويحفظ آثاره، ويتبرك بها.

كعب وقريش.. لا الأنصار:

وقد تقدم: أن كعب بن زهير مدح قريشاً في قصيدة بانث سعاد، ولم يذكر
الأنصار، فلم يرق ذلك للأنصار، فكلّموه في ذلك، فقال فيهم شعراً..
وما نريد أن نشير إليه هنا هو: أن ذكر كعب لقريش في قصيدته، وهو
يعلم: أن قريشاً لم تزل تحارب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى فتح مكة،
يشير إلى هيمنة قريش على عقول الناس في المنطقة، وإلى أن أحداً منهم لا
يجرؤ على تخطئها.

= أعلام النبلاء ج ٣ ص ١٢٣ وفتوح البلدان ج ٣ ص ٥٨٢ وتاريخ الأمم والملوك
ج ٨ ص ١٨٦ والبدية والنهاية ج ٦ ص ١٨٩ وج ٨ ص ١٢٨ ووقعة صفين
للمنقري ص ٢٢٠ والشفا بتعريف حقوق المصطفى ج ٢ ص ١٩٧ والمناقب
للخوارزمي ص ١١ وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن
الدمشقي ص ٢١٨ وسبل الهدى والرشاد ج ١٠ ص ٢١٥ والنصائح الكافية لمحمد
بن عقيل ص ١٢٣ و ٢٠٢ و ٢٦١.

(١) تذكرة الخواص ص ٢٠١ والغدير ج ١٠ ص ١٦٩ عنه، والبحار ج ٣٠ ص ٢٩٦
وج ٣٣ ص ٢٠٨ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ١٠٣ و ٣٧٤ وعن ربيع
الأبرار للزخشري ج ٤ ص ٤٠٠ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني
ص ٤٦٥ و ٤٦٧ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ١٧٥.

ولعله إنما ذكر قريشاً في قصيدته لكي يأمن جانبها، ويسلم من غوائل غضبها عليه، حين يمدح عدوها.. كما أن إهمال الأنصار ربما يكون لإرضاء قريش أيضاً، لكي لا يثير حفيظتها ضده..

وهذا يشير أيضاً: إلى أن ما حققه المسلمون بقيادة رسول الله «صلى الله عليه وآله» من انتصارات هائلة على اليهود والمشركين وقريش، لم يستطع أن يزيل كل آثار ذلك الإنبهار والضعف أمام الهيمنة القرشية.. ولعل هذه الآثار قد بقيت إلى ما بعد عشرات السنين من ذلك التاريخ.

مثلهم في ذلك كمثل الذي يكون عبداً لرجل، ثم يعتقه، فإن شعوره بالضعف أمام الذي كان سيده لا يزول بسهولة، بل يبقى عبر السنين والأحقاب، بعد حصوله على حريته.

وقد لاحظ الإسلام هذه الخصوصية وراعاها في أحكامه التي شرعها لهذه الحالات كما يعلم بالمراجعة..

عمر.. والصلاة على ابن أبي:

وفي السنة التاسعة، في شهر ذي القعدة، وبعد أن رجع النبي «صلى الله عليه وآله» من تبوك مات عبد الله بن أبي، بعد أن مرض عشرين يوماً^(١).
وقيل: قتل في السنة الخامسة من الهجرة^(٢).

فمن عمر بن الخطاب، وابن عباس: أنه لما مات عبد الله بن أبي بن

(١) سبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٧٣ وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ٩٠ والعبر وديوان

المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٥٢.

(٢) تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٤٠.

سلول سأل ابنه عبد الله النبي «صلى الله عليه وآله» أن يعطيه قميصه ليكفنه فيه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه.

فلما قام رسول الله «صلى الله عليه وآله» وثب عمر، فأخذ ثوبه «صلى الله عليه وآله»، وقال: أعلى عدو الله عبد الله بن أبي القائل كذا وكذا والقائل كذا وكذا الخ...؟!

(أو قال: يا رسول الله، أتصلي على ابن أبي، وقد قال يوم كذا وكذا وكذا؟! ثم عدد عليه قوله).

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أخر عني يا عمر! فلما أكثرت عليه قال: إني خيَّرت فاخترت، لو أعلم أني إن زدت على السبعين غفر له لزدت عليها^(١).

(١) راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٤٠ وصحيح البخاري باب ما يكره من الصلاة على المنافقين من كتاب الجنائز ج ٢ ص ١٠٠ وج ٥ ص ٢٠٦، ومسند أحمد ج ١ ص ١٦ وكتر العمال ج ١ ص ٢٤٧ ح (٤٤٠٣) و (ط مؤسسة الرسالة) ج ٢ ص ٤١٨ و ٤١٩ ح (٤٣٩٢) عمن تقدم، وعن ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه وغيرهم. وراجع: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٩٩ والدر المنثور ج ٣ ص ٢٦٤ عن أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن أبي حاتم، والنحاس، وابن حبان، وابن مردويه، وأبي نعيم في الحلية، وابن المنذر، وأبي الشيخ، والبيهقي في الدلائل وراجع: الميزان للطباطبائي ج ٩ ص ٣٥٣ وفتح القدير للشوكاني ج ٢ ص ٥٤٢ و ٥٤٥ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٣٧٩ والمحلى لابن حزم ج ١١ ص ٢٠٩ وعين العبرة في غبن العترة للسيد أحمد آل طاووس ص ٢٠ والبحار ج ٣٠ ص ٥٧٢ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرازي ص ٣٤٠ و ٣٨٥ والنص والإجتهاد للسيد شرف الدين =

وفي نص آخر: ومشى معه حتى قام على قبره حتى فرغ منه، فعجبت لي ولجراتي على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والله ورسوله أعلم، فوالله ما كان إلا يسيراً حتى نزلت هاتان الآيتان ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّا تَأْتِيهِمْ عَلَيْهِ﴾. «وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ»^(١).

وفي نص آخر للبخاري: «فلما أراد أن يصلي جذبه عمر، فقال: أليس الله هناك أن تصلي على المنافقين؟ فقال: أنا بين خيرتين»^(٢).

= ص ١٨٨ وسنن الترمذي ج ٤ ص ٣٤٣ وسنن النسائي ج ٤ ص ٦٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ١٩٩ وفتح الباري ج ٨ ص ٢٥٣ وعمدة القاري لليعني ج ٨ ص ١٩٢ وج ١٨ ص ٢٧٣ ومنتخب مسند عبد بن حميد ص ٣٦ والسنن الكبرى للنسائي ج ١ ص ٦٣٨ وج ٦ ص ٣٥٧ وكنز العمال ج ١ ص ١٧٠ وج ٢ ص ٦ و ٤١٩ وجامع البيان للطبري ج ١٠ ص ٢٦١ وأسباب نزول الآيات للواحدي النيسابوري ص ١٧٣ وتفسير البغوي ج ٢ ص ٣١٧ وأحكام القرآن لابن العربي ج ٢ ص ٥٥٦ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي ج ٣ ص ٦٧ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٢ ص ٣٩٣ وتفسير الألوسي ج ١٠ ص ١٥٤ وتاريخ المدينة لابن شبة النميري ج ٣ ص ٨٦٤ وإمتاع الأسماع للمقرئ ج ٢ ص ٩٠ و ٢٣٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤.

(١) الآية ٨٤ من سورة التوبة.

(٢) راجع: صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج ٢ ص ٧٦ وراجع: سنن النسائي ج ٤ ص ٣٧ ومسند أحمد ج ٢ ص ١٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ١٩٩ وعمدة القاري ج ٨ ص ٥٣ والسنن الكبرى للنسائي ج ١ ص ٦٢١ وج ٦ ص ٣٥٧ وصحيح ابن حبان ج ٧ ص ٤٤٧ والإستيعاب ج ٣ ص ٩٤١ وتفسير ابن أبي =

وفي نص آخر: فقال «صلى الله عليه وآله»: وأين؟ فقال: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ...﴾^(١).

فقال: فإني سأزيد على سبعين.

فأنزل الله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ...﴾ الآية.. فأرسل إلى عمر فأخبره^(٢).

وفي نص آخر: لما توفي عبد الله بن أبي بن سلول جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فسأله أن يعطيه قميصه ليكفنه فيه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليصلي عليه، فقام عمر، فأخذ بثوب رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: يا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي على المنافقين. فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إنما خيرني الله تعالى، وقال:

= حاتم ج ٦ ص ١٨٥٧ وسبب نزول الآيات للواحدي النيسابوري ص ١٧٣ وأحكام القرآن لابن العربي ج ٢ ص ٥٥٧ وزاد المسير ج ٣ ص ٣٢٦ وأسد الغابة ج ٣ ص ١٩٨ والوافي بالوفيات ج ١٧ ص ١٠.

(١) الآية ٨٠ من سورة التوبة.

(٢) راجع: صحيح البخاري باب الكفن في القميص (أبواب الجنائز) وراجع كتاب اللباس. وراجع: الكامل لابن الأثير (ط دار الكتاب العربي) ج ٢ ص ١٩٩ والدر المشور ج ٣ ص ٢٦٦ عن الطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل، والبخاري، ومسلم، وابن أبي حاتم، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وراجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٤٠ وراجع: الميزان (تفسير) ج ٩ ص ٣٧٧.

١٠٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦
﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً...﴾ وسأزيد على
السبعين.

قال: إنه منافق.

فصل في رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ
عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ...﴾ فترك الصلاة عليهم^(١).
وفي نص آخر عن عمر: «فلما وقف عليه يريد الصلاة تحولت حتى
قمت في صدره»^(٢).

وفي بعض الروايات: أن ابن أبي هو الذي طلب من النبي «صلى الله

(١) راجع: صحيح البخاري باب: استغفر لهم أو لا تستغفر، ودلائل الصدق ج ٣
ق ٢ ص ٦٥ عن الجمع بين الصحيحين، والدر المنثور ج ٣ ص ٢٦٦ عن
البخاري، ومسلم، وابن أبي حاتم، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن مردويه،
والبيهقي في الدلائل وراجع: إعانة الطالبين ج ٢ ص ١٥٣ والبحار ج ٣٠
ص ٣٤٢ وفتح القدير ج ٢ ص ٣٩٠ والأحكام لابن حزم ج ٣ ص ٢٧٣ وتاريخ
الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٦٦٠ وراجع: البداية والنهاية ج ٥ ص ٤٢ وإمتاع
الأسماع ج ٢ ص ٢٣١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٦٥ ونهج الحق وكشف
الصدق ص ٣٣٨ وإحقاق الحق (الأصل) ص ٢٨٤.

(٢) مسند أحمد ج ١ ص ١٦ والمحلى لابن حزم ج ١١ ص ٢٠٩ وسنن الترمذي ج ٤
ص ٣٤٢ ومتنخب مسند عبد بن حميد ص ٣٥ وكنت العمال ج ٢ ص ٤١٨ وجامع
البيان للطبري ج ١٠ ص ٢٦١ وأسباب نزول الآيات للواحدي النيسابوري
ص ١٧٣ وأحكام القرآن لابن العربي ج ٢ ص ٥٥٦ وتفسير القرآن العظيم ج ٢
ص ٣٩٣ وتاريخ المدينة لابن شبة ج ٣ ص ٨٦٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤
ص ٩٧٩.

الفصل الثالث: أحداث وقضايا ١٠٥
عليه وآله « قميصه ليكفن فيه، وأنه «صلى الله عليه وآله» نفث في جلده،
ودلاه (ونزل) في قبره^(١).

وربما يكون قد طلب من النبي «صلى الله عليه وآله» ذلك في حياته، ثم
أكد ولده هذا الطلب بعد وفاته، وكذلك الحال بالنسبة لما قيل: من أن ابن
أبي: أوصى أو طلب من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يكفنه وأن يصلي
عليه^(٢).

ونقول:

أولاً: إن سياق رواياتهم المزعومة تلك يعطي: أن القرآن قد نزل
بموافقة عمر، وتخطئة رسول الله «صلى الله عليه وآله».. ولا شك في أن هذا
من ترهاتهم وأباطيلهم الجريئة، التي تهدف إلى الخط من مقام رسول الله
«صلى الله عليه وآله» من أجل رفع شأن عمر بن الخطاب، فما أشبههم
بذلك الذي يحرق البلاد والعباد من أجل أن يشعل سيجارة.

ثانياً: لقد تحدثت الروايات أن عمر يواجه رسول الله «صلى الله عليه
وآله» بأمر ليس له واقع، وهو: أن الله تعالى قد نهاه عن الصلاة على المنافقين..

(١) راجع: الدر المنثور ج ٣ ص ٢٦٦ عن أبي الشيخ، وابن ماجه، والبخاري، وابن
جرير، وابن مردويه، والطبراني، والبيهقي في الدلائل، وراجع: تاريخ الخميس
ج ٢ ص ١٤٠ وتفسير الميزان ج ٩ ص ٣٦٥ وعمدة القاري ج ٨ ص ٥٦ وتخريج
الأحاديث والآثار ج ٢ ص ٩٣ وجامع البيان ج ١٠ ص ٢٦٢.

(٢) راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٤٠ والدر المنثور ج ٣ ص ٢٦٦ عن أبي الشيخ،
وابن ماجه، والبخاري، وابن جرير، وابن مردويه، والطبراني، والبيهقي في الدلائل.
وراجع: تفسير السمرقندي ج ٢ ص ٧٩.

وقد رد النبي «صلى الله عليه وآله» ذلك: بأن الله تعالى لم ينهه، وإنما خير بين أمرين..

بل تقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» سأل عمر، فقال: أين؟
فلما قرأ آية الإستغفار لهم بيّن له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أن الآية لا تدل على ذلك.

ونحن لا يمكن أن نقبل بأن يكون النبي «صلى الله عليه وآله» قد أخطأ في فهم الخطاب الإلهي، ففسره بغير معناه..

والصحيح هو: أن الذي أخطأ في فهم الخطاب الإلهي، هو عمر بن الخطاب نفسه.. وأخطأ خطأ آخر يمس جوهر العقيدة، حين نسب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» الخطأ في فهم وحي الله تبارك وتعالى، أو حين واجهه باتهامه بأنه يخالف أمر الله تعالى له بعدم الصلاة على المنافقين.
ثالثاً: إن الأخطر من ذلك كله.. أنه لم يقبل من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بل أصر على منعه، وأخذ بثوبه، وقام في صدره يصدّه عما يريد فعله.

بل إن النبي «صلى الله عليه وآله» أمره بأن يؤخر عنه، فلم يفعل، بل أصرّ وأصرّ حتى أكثر عليه، حتى أخبره بأن الله تعالى قد خيره..
فلماذا لا يمثل أمر النبي «صلى الله عليه وآله»، ويصرّ على فرض رأيه عليه؟!!

أم أنه يرى أن الله تعالى قد أخطأ حين خير نبيه، وأن عليه سبحانه وتعالى أن يبدل أمره هذا ليوافق رأي عمر؟!!

ولماذا يقدم بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والله تعالى يقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(١).

فهل كان يرى نفسه أعلم من النبي «صلى الله عليه وآله»، أو أن رأيه أصوب من رأيه؟!!

أم أنه يرى أن النبي «صلى الله عليه وآله» يفعل المنكر، ويريد أن ينهاه عنه؟!!

رابعاً: إن قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً..﴾ لا يقصد به النهي عن الاستغفار، بل المقصود هو: بيان أن هذا الاستغفار لا ينفع المنافقين، ولا يوجب المغفرة لهم من الله في الآخرة. ولكن ذلك لا يعني أن لا تكون له فوائد ومنافع أخرى، كما سنشير إليه عن قريب.

خامساً: إن النهي عن الصلاة على المنافقين إنما نزل بعد قصة الصلاة على ابن أبي بالاجماع^(٢).

فكيف يتهم النبي «صلى الله عليه وآله» بأنه منهي عن الصلاة عليهم. سادساً: فإنهم يقولون: إنه قد كانت لابن أبي يد عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(٣). وأحب أن يكافئه عليها.

وقد تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» يطلب من الله أن لا يكون

(١) الآية ٢ من سورة الحجرات.

(٢) النص والاجتهاد ص ١٨٨.

(٣) صحيح البخاري (ط دار المعرفة) ج ٤ ص ١٩ وعمدة القاري ج ٨ ص ١٦٥ وج ١٤

ص ٢٥٧ وتحفة الأحوذني ج ٨ ص ٣٩٧ وتخريج الأحاديث والآثار ج ٢ ص ٩٤

وتفسير البغوي ج ٢ ص ٣١٧ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٤٠ عن ابن عينة.

١٠٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦
لكافر ولا لمشرك عليه يد يستحق عليها الشكر والمكافأة، فلو كان منافقاً
لكان مشركاً، فكيف تكون له يد عند رسول الله «صلى الله عليه وآله».

عمر يندم على ما صدر منه:

وقد روي عن الشعبي: أن عمر كان بعد ذلك يقول: أصبت في الإسلام
هفوة ما أصبت مثلها قط. أراد رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يصلي على
عبد الله بن أبي، فأخذت بثوبه، فقلت له: والله، ما أمرك الله بهذا، لقد قال الله
لك: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ۖ﴾.
قال: «فقال رسول الله: خيرني ربي، فقال: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ
لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ۖ﴾»^(١).

واللافت هنا: أن الأمر لا يقتصر على ابن أبي إذ إن الروايات تتحدث
عن اعتراضات أخرى على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في صلاته على
آخرين من الصحابة أيضاً، فراجع..^(٢).

لماذا يصلي النبي ﷺ على ابن أبي؟!

وقد ذكرنا فيما سبق: أنه يبدو أن ثمة تضخياً لشأن ابن أبي في موضوع

(١) النص والاجتهاد ص ١٨٩ عن كنز العمال برقم (٤٤٠٤) عن ابن أبي حاتم،
ومنتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد)، وراجع: الدر المنثور ج ٣ ص ٢٦٤
وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج ٢ ص ٤١٩ وتفسير الميزان ج ٩ ص ٣٥٥ و
٣٦٥ وتفسير ابن أبي حاتم ج ٦ ص ١٨٥٣.

(٢) راجع: الإصابة ج ٤ ص ١٣٤ و ١٨٥.

النفاق، حتى لقد اعتبروه رأس المنافقين في المدينة، لكي يهونوا بذلك من شأن نفاق غيره.

والذي يظهر لنا من هذه الواقعة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يريد بصلاته هذه تحقيق عدة أمور، نذكر منها:

١ - أن يكرم عبد الله بن عبد الله بن أبي «رحمه الله»، ويدفع عنه أذى بعض الناس، الذين كان يروق لهم إذلال أهل الإيمان، بذكر آبائهم بما يراه الناس من أسباب التنقص للأبناء.

٢ - روي: «أنهم ذكروا القميص، فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: وما يغني عنه قميصي وصلاتي؟ والله، إني لأرجو أن يسلم به أكثر من ألف من الخزرج الخ...»^(١).

وهذا النص يشير إلى: أن الخزرج لم يكونوا كلهم قد دخلوا في الإسلام إلى ذلك الوقت.

٣ - إن المروي بسند صحيح عن الحلبي، عن أبي عبد الله «عليه السلام»: أن النبي «صلى الله عليه وآله» دعا عليه، ولم يدع له^(٢).

(١) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٦٦ عن أبي الشيخ، وراجع: فتح الباري ج ٨ ص ٢٥٤ وعمدة القاري ج ١٨ ص ٢٧٣ وتحفة الأحوذى ج ٨ ص ٣٩٨ وتخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ج ٢ ص ٩٣ وجامع البيان ج ١٠ ص ٢٦٢ وتفسير الثعلبي ج ٥ ص ٧٩ وأسباب نزول الآيات للواحدي النيسابوري ص ١٧٤ وتفسير البغوي ج ٢ ص ٣١٧ وتفسير الألويسي ج ١٠ ص ١٥٤ وزاد المسير ج ٣ ص ٣٢٦ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٤٠ و ١٤١.

(٢) الوسائل (ط دار الإسلامية) ج ٢ ص ٧٧٠ و (ط مؤسسة آل البيت) ج ٣ ص ٧١ =

١١٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

ولعلك تقول: إن الدعاء عليه لا ينسجم مع ما ذكر آنفاً من أن الغرض هو تكريم ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي..

ولا مع منع ألسنة السوء من أن تؤذي ابنه.

ولا مع ترغيب الخزرج بالإسلام، حتى إنه «صلى الله عليه وآله»

ليرجو أن يسلم بسبب إلباسه قميصه أكثر من ألف منهم!!

والجواب: إن الدعاء لا يجب أن يكون بصورة معلنة وظاهرة، بحيث

يسمعه سائر الناس، فلعله أخفت في صلاته، أو في دعائه عليه فقط.

= والبحار ج ٢٢ ص ١٢٥ وجامع أحاديث الشيعة ج ٣ ص ٣٢٥ وجواهر الكلام

ج ١٣ ص ٥٠ والمعتبر ج ٢ ص ٣٥١ والكافي ج ٣ ص ١٨٨ وتهذيب الأحكام ج ٣

ص ١٩٦ ومنتقى الجمان ج ١ ص ٢٧٦.

الفصل الرابع:

من سرايا السنة الثامنة

وہابیہ الحفظ

مدرسہ اسلامیہ دارالعلوم دیوبند

بداية ضرورة جداً:

قد نبهنا أكثر من مرة، ونعود على تأكيد التنبيه على أن السرايا التي كان يرسلها رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مختلف الاتجاهات لم تكن سرايا غازية، تهدف إلى قتل الناس وقهرهم، وتقويض أمنهم، أو سلب حريتهم، وسبي ذراريهم ونسائهم، والإستئثار بأموالهم والإستيلاء على ديارهم..

لأنه «صلى الله عليه وآله» كان قبل كل شيء نبياً رسولاً، ومن أهم واجبات الأنبياء والرسل، هو: إبلاغ الناس بأمر نبوتهم، وإيقافهم على حقيقة دعوتهم، وإقامة الحجة عليهم، فإذا حالت فئة ظالمة بينهم وبين هذا الأمر، فلا بد من ردعها عن ظلمها وبغيها هذا، فإذا لجأت إلى العنف والقتال، ولم يكن بد من التصدي ورد التحدي، فلا بد من إسقاط مقاومتها، إذا توفرت القدرة على ذلك.

وهذا بالذات هو ما كان يجري مع سرايا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقد كانت في أكثرها سرايا دعوة، لا سرايا حرب وقتال، وكان باقيها عمليات وقائية، تهدف إلى صد عدوان قد أعد الآخرون له العدة، وجمعوا الجموع للقيام به..

وهذا حق مشروع؛ إذ لا مجال للإنتظار والتراخي حتى يورد العدو ضربته، ويرتكب جريمته، ويحقق أهدافه، فإن هذا سوء في الرأي، وعجز

في التدبير، وفشل في السياسة، وتفريط في الأمانة، يصل إلى حد الخيانة..
وقد صرحت النصوص في الموارد المختلفة: بأن السرية الفلانية كانت سرية بلاغ ودعوة، وسنجد في هذا الفصل بعضاً من هذه التصريحات أيضاً.. فإلى ما يلي من أحداث ومطالب.

سرية الطفيل إلى ذي الكفين:

قال ابن سعد: قالوا: لما أراد رسول الله «صلى الله عليه وآله» المسير إلى الطائف، بعث الطفيل بن عمرو إلى ذي الكفين، صنم من خشب، كان لعمر بن حُمَمة الدَّوسِي، ليهدمه.
وأمره أن يستمد قومه، ويوافيه بالطائف.

فخرج سريعاً إلى قرية، فهدم ذا الكفين، وجعل يحش النار في وجهه ويحرقه، ويقول:

يا ذا الكَفَيْنِ لست من عبّادكا ميلادنا أقدم من ميلادكا

إنسي حشوت النار في فؤادكا

وانحدر معه من قومه أربعمائة سراعاً، فوافوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالطائف، بعد مقدمه بأربعة أيام، وقدم بدبابة ومنجنيق.

وقال: «يا معشر الأزد من يحمل رايتكم؟»

فقال الطفيل: من كان يحملها في الجاهلية، النعمان بن الرازية اللهي.

قال: «أصبتم»^(١).

وقد كان ذلك في شوال سنة ثمان^(١).

ونقول:

١ - قد تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أرسل في حنين علياً «عليه السلام» لهدم الأصنام، فهدمها، ثم وافاه في الطائف.. فلماذا لم يهدم ذا الكفين؟

وهذا يجعلنا نشك كثيراً في صحة هذه المزاعم.

٢ - قولهم: إنه قدم معه أربع مائة رجل سراعاً. لو فرضنا أنه صحيح، فهو لا يعني أنهم قد أسلموا، فقد قال مغلطاي: «وقدم معه أربعة مسلمون»^(٢).

بل كلام مغلطاي هذا يدل على: أن جميع من قدم معه هو أربعة نفر فقط، لا أربع مائة..

٣ - وبعد أن أورد النبي «صلى الله عليه وآله» ضربته بغطفان، على يد علي أمير المؤمنين «عليه السلام»، وانقسمت فلولهم إلى ثلاثة أقسام، فإنه

= ج ٢ ص ١٠٩ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١١٢ ومعجم البلدان ج ٤ ص ٤٧١ و ٤٧٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٥٧ وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج ٢٥ ص ١٧ وعيون الأثر لابن سيد الناس ج ٢ ص ٢٢٩ والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٢٤ وإمتاع الأسعاع ج ٢ ص ٢١ والسيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٢٥٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٧٥.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢١٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٥٧ وعيون الأثر لابن سيد الناس ج ٢ ص ٢٢٩.

(٢) تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٠٩ عن المواهب اللدنية.

١١٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

«صلى الله عليه وآله» لم يكن بحاجة إلى المدد، خصوصاً من قوم مشركين؟! ما دام أن المشركين أصبحوا في حالة ضعف وانكسار، ولم يتكبد المسلمون في تلك الحرب خسائر يحتاجون معها إلى طلب المدد من غيرهم..
٤ - قد أظهرت حرب حنين:

أن الجيش الذي كان يزيد على عشرة آلاف مقاتل لم يغن شيئاً، بل انهزم كله عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»..
وأن هزيمة المشركين إنما كانت على يد رجل واحد، وهو علي بن أبي طالب «عليه السلام» وحده.. فلماذا يصبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» على طلب المدد من الدوسيين المشركين؟!

سرية ذات أطلاح:

وذكروا في جملة أحداث سنة ثمان: سرية كعب بن عمير إلى ذات أطلاح من الشام، فأصيب هو وأصحابه^(١).
وبما أننا قد تحدثنا عن هذه السرية في الجزء الثامن عشر من هذا الكتاب، فإننا نحيل القارئ على ذلك الجزء، إن أحب الإطلاع على تفاصيل ما جرى..

بعث قيس بن سعد إلى صداء:

قال ابن إسحاق: لما رجع رسول الله «صلى الله عليه وآله» من الجعرانة

(١) البحار ج ٢١ ص ١٨٤ ومستدرک سفينة البحار ج ٥ ص ٣٦ ومكاتيب الرسول ج ١ ص ٤٠ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٧٢ و ٢٧٣ وراجع: معجم ما استعجم للبكري الأندلسي ج ٣ ص ٨٩٣.

سنة ثمان بعث قيس بن سعد بن عبادة إلى ناحية اليمن، وأمره أن يطأ صداء، فعسكر بناحية قناة في أربع مائة من المسلمين.

فقدم رجل من صداء، فسأل عن ذلك البعث، فأخبر به، فجاء رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: «يا رسول الله، جئتكم وافداً على من ورائي فاردد الجيش، فأنا لك بقومي».

فردهم من قناة.

وخرج الصدائي إلى قومه، فقدم منهم بعد ذلك خمسة عشر [رجلاً] فأسلموا.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إنك مطاع في قومك يا أخا صداء».

فقال: بل الله هداهم. ثم وافاه في حجة الوداع بمائة منهم.

وهذا الرجل هو الذي أمره رسول الله «صلى الله عليه وآله» في سفر أن يؤذن، ثم جاء بلال ليقيم، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إن أخا صداء هذا أذن، ومن أذن فهو يقيم»^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢١١ عن ابن إسحاق، وقال في هامشه: أخرجه أبو داود (٥١٤) والترمذي (١٩٩) وابن ماجه (٧١٧) وابن سعد في الطبقات ج ١ ق ٢ ص ٦٣ والطحاوي في معاني الآثار ج ١ ص ١٤٢ والبيهقي في الدلائل ج ٤ ص ١٢٧ وراجع: الإستيعاب (ط دار الجليل) ج ٢ ص ٥٣١ وأسد الغابة ج ٢ ص ٢١٣ والوافي بالوفيات ج ١٥ ص ٦ وراجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ١٦٣ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٩٨.

واسم أخي صداء هذا: زياد بن الحارث^(١).

وفي سياق آخر ذكروا: أنه بعد أن ضمن زياد بن الحارث للنبي «صلى الله عليه وآله» إسلام قومه كتب إليهم كتاباً، فقدم وفدهم بإسلامهم^(٢).
وذكروا أيضاً عن زياد هذا: أنه قال للنبي «صلى الله عليه وآله»: «وقلت: ألا تؤمرني عليهم؟»

فقال: بلى.

فكتب إلي كتاباً يؤمرني.

قلت: مر لي بشيء من صدقاتهم، فكتب.

وكان في سفر له، فترك منزلاً، فأناه أهل ذلك المنزل يشكون عاملهم،
فقال: لا خير في الأمانة لرجل مؤمن.
ثم أناه آخر، فقال: اعطني.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢١١ وتحفة الأحوزي ج ١ ص ٥٠٨ وفيض القدير ج ٢ ص ٥٣٠ وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٧ ص ٥٠٣ والمعجم الكبير ج ٥ ص ٢٦٣ وناسخ الحديث ومنسوخه ص ٢٦٣ والمجموع للنووي ج ٣ ص ١٢١ ومكاتب الرسول ج ١ ص ٢١٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٤٩ والخرائج والجرائح ج ٢ ص ٥١٣ والبحار ج ١٨ ص ٣٤ ومكاتب الرسول ج ١ ص ٢٢٦ وبغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ص ١٨٧ ودلائل النبوة للأصبهاني ج ١ ص ٢٨٢ وكنز العمال ج ١٣ ص ٣٩٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٤ ص ٣٤٥ وتهذيب الكمال ج ٩ ص ٤٤٦ وفتوح مصر وأخبارها للقرشي المصري ص ٥٣٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ١٦١ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٩٧ وإمتاع الأسعاع ج ١٠ ص ١٣٦.

فقال: من سأل الناس عن ظهر غنى، فصداع في الرأس، وداء في البطن.
فدخل في نفسي من ذلك شيء، فأتيته بالكتابين^(١).

وهناك روايات أخرى ذكرت: أن (حبان بن بَحّ) الصدائي قال: إن قومي كفروا، فأخبرت أن النبي «صلى الله عليه وآله» جهز إليهم جيشاً، فأتيته، فقلت: إن قومي على الإسلام.

فقال: أكذلك؟

قلت: نعم.

قال فاتبعته ليلة إلى الصباح، فأذنت بالصلاة لما أصبحت، وأمرني عليهم، وأعطاني صدقتهم.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: لا خير في الأمرة.. قال: إن الصدقة

(١) راجع مكاتيب الرسول ج ١ ص ٢٢٦ وأشار في هامشه إلى المصادر التالية: البحار ج ١٨ ص ٣٤ و ٣٥ عن الخرائج، والإستيعاب ج ١ ص ٥٦٧ وأوعز إليه في الإصابة ج ١ ص ٥٥٧ / ٢٨٥٠ وراجع: أسد الغابة ج ٢ ص ٢١٣ قال: وأخرجه الثلاثة، والمطالب العالية ج ٤ ص ١١ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٦٧ و ٢٦٨ وكنز العمال ج ٧ ص ٣٨ و (في ط أخرى) ج ١٦ ص ١٢ و ١٣ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٨٣ ومجمع الزوائد ج ٥ ص ٢٠٣ و ٢٠٤ وحياة الصحابة ج ١ ص ١٨٧ و ١٨٨ عن بعض من تقدم وعن البيهقي، وأحمد، والطبراني، والبداية، والبغوي، وابن عساكر، ومسند أحمد ج ٤ ص ١٦٩ ومجموعة الوثائق السياسية: ٢٧٧ و (في ط أخرى): ٣٢٦ / ٢٤٢ عن أبي عمر، وابن الأثير، وراجع: رسالات نبوية ص ١٩ ومعجم القبائل ج ٢ ص ٦٣٦ والمعجم الكبير للطبراني ج ٥ ص ٣٠٣.
وراجع: الخرائج والجرائح للراوندي ج ٢ ص ٥١٤.

صداع في الرأس، وحرق في البطن، أو داء.

فأعطيته صحيفتي، أو صحيفة إمرتي وصدقتي^(١).

ونقول:

١ - إن الاختلافات بين هذه النصوص ظاهرة بأدنى تأمل، فلا حاجة

إلى الإفاضة فيها..

٢ - قد يقال: إنه لا مجال لقبول ما ذكر آنفاً: من أن زياداً طلب من

النبي «صلى الله عليه وآله» أن يؤمره على قومه، فأمره عليهم..

لأن النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي يقول جواباً على طلب مشابه

لرجلين من الأشعرين: إنا لا (لن) نستعمل على عملنا من أراده^(٢)، فكيف

(١) راجع مكاتيب الرسول ج ١ ص ٢٢٧ وأشار في هامشه إلى المصادر التالية: مسند

أحمد ج ٤ ص ١٦٨ و ١٦٩ والإصابة ج ١ ص ٣٠٣ / ١٥٥٥ عن البغوي، وابن

أبي شيبه، والبارودي، والطبراني، وفي الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ١

ص ٣٦٤: «حيان بن مج الصدائي» ثم أوعز إلى القصة، وأسد الغابة ج ١

ص ٣٦٥ والمطالب العالية ج ٤ ص ٦ ومجموعة الوثائق السياسية: ٣٢٦ ومجمع

الزوائد ج ٥ ص ١٩٩.

وراجع: والمعجم الكبير ج ٤ ص ٣٦ وكنز العمال ج ١٢ ص ٣٧٢ وأسد الغابة ج ٢

ص ٦٨ وفتوح مصر وأخبارها للقرشي المصري ص ٥٣٢.

(٢) مواهب الجليل ج ٨ ص ٨٥ و ميزان الحكمة ج ٤ ص ٣٦٩٢ و مسند أحمد ج ٤

ص ٤٠٩ وصحيح البخاري ج ٣ ص ٤٨ وج ٨ ص ٥٠ و صحيح مسلم ج ٦

ص ٦ وفتح الباري ج ٤ ص ٣٦٣ وج ٨ ص ٤٩ وج ١٢ ص ٢٤٢ وج ١٣

ص ١٢٠ وعون المعبود ج ٨ ص ١٠٦ وعن السنن الكبرى للنسائي ج ١ ص ١٣ و

٦٥ ومسند أبي يعلى ج ١٣ ص ٢١٤ والمعجم الأوسط ج ١ ص ٢١٦ والمعجم =

يولي زياداً هذا العمل بعد ان طلبه منه زياد؟!

إلا أن يقال: إن المقصود هو: أنه «صلى الله عليه وآله» لا يولي عمله ذلك الشخص الذي يريد أن يتخذ من منصبه ذريعة للحصول على المنافع والإمتيازات.. وأما من يطلب العمل، لأنه يرى في نفسه القدرة على حل مشكلة، أو إنجاز مهمة لا يعود نفعها إليه كشخص، فلا يقصده النبي «صلى الله عليه وآله» بكلمته تلك..

ولعل مما يشير إلى هذا المعنى: أنه «صلى الله عليه وآله» قد قال: «من يطلبه»، أي أنه يسعى جاهداً للحصول عليه ويظهر الحرص، ويجعل كل همه للوصول إليه..

وليس المقصود: من طلبه سؤاله ولو مرة واحدة، لعارض عرض اقتضى أن يتبرع بإنجاز مهمة، وتحمل مسؤولية، رأى أنه قادر على تحملها..
٣- وأما طلب زياد من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يكتب له شيء من صدقاتهم، فقد جاء مبهماً، ولم يبين إن كان المطلوب هو أن يحدد له نسبة من تلك الصدقات، مثل الربع أو النصف، أو نحو ذلك، أو أنه طلب شيئاً منها لا يزيد على نفقته، أو أجرة عمله!!

فإن كان المطلوب هو الأول - كما قد يستظهر من سياق الكلام - فإن استجابة النبي «صلى الله عليه وآله» لطلبه تصبح في منتهى الغرابة، بل

= الكبير ج ٢٠ ص ٤٢ ومسند الشهاب ج ٢ ص ١٧٧ والجامع الصغير ج ١ ص ٣٨٦ وكثر العمال ج ٦ ص ٤٧ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٩ ص ٢١٦ والأحكام لابن حزم ج ٦ ص ٧٦٤ والضعفاء للعقيلي ج ٣ ص ١٩٠ ولسان الميزان ج ٤ ص ٣٢٤.

١٢٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

طلبه هذا لا بد أن يدعو النبي «صلى الله عليه وآله» إلى إعفائه من المهمة التي رشح نفسه لها..

وإن كان المطلوب هو الثاني، فهو مقبول، ومعقول.. في بادئ الأمر، غير أننا نقول:

إن المتوقع أن يبادر النبي «صلى الله عليه وآله» إلى هذا الأمر، من دون حاجة إلى أن يطلب زياد ذلك منه.

ولعل ما ذكر في آخر الرواية: من أنه حين سمع من النبي «صلى الله عليه وآله» ما سمع جاءه بالكتابين طالباً إعفائه من مهمته، يؤيد: أن يكون قد طلب الإمارة لنفسه، وطلب من الصدقات أكثر مما يحتاج إليه، ولو على سبيل الأجر الذي يستحقه أمثاله في الأحوال المشابهة.

٤ - أما رواية حبان بن بَحّ فقد ذكرت: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كتب إليه بصدقة قومه، وبالإمارة عليهم..

وذلك غير معقول ولا مقبول، فإن الصدقة ليست للأمير، ولا للعامل وحده، فإن القرآن قد عَيّن لها مصارفها، فما معنى أن يكتب له بصدقات قومه؟!

٥ - إنه قد يستظهر من رواية حبان بن بَحّ: أن سبب إرسال الجيش إلى الصدائين أنهم ارتدّوا عن الإسلام، فأخبروا النبي «صلى الله عليه وآله» بأمرهم، فجهز لهم جيشاً ثم أخبروه بعودتهم إلى دينهم، فصرف ذلك الجيش عنهم.

ولعل سبب المبادرة إلى إرسال الجيش هو: أن شيوع ارتداد أية قبيلة من شأنه أن يترك آثاراً سلبية على غيرها، من حيث إنه يجعلهم يستسهلون أمر الإرتداد، خصوصاً إذا ظهر لهم أن ذلك لا يحمل لهم أية سلبية أو معاناة..

وتصبح قضية نشر الدين في مأزق حقيقي، ولا سيما لجهة اختلال الثقة في مجتمع أهل الإيمان، وترقب الإرتداد من أي كان من الناس، في أي وقت.. الأمر الذي يوجب ضعف، وانحلال رابطة الأخوة الدينية فيما بينهم.

وهذا يوجب المبادرة لمواجهة حالات الإرتداد، لأنها لا يمكن أن توصف بالبراءة أبداً.

فإن من يفعل ذلك، يكون مارس الخديعة أو الخيانة بأبشع مظاهرها. لأنه إما أن يكون هذا المرتد ممن قامت عليه الحجة بالأدلة البرهانية، أو بالقناعة الوجدانية عن طريق المعجزة، فآمن.. فلا مبرر لارتداده بعد هذا، بل ارتداده خيانة للدين، ولأهل الإيمان.

وإما أنه لم يبلغ درجة القناعة الوجدانية، ولا أقنعتة الحجة البرهانية، فيكون دخوله في الإسلام في هذه الحال خداعاً وتدليساً ونفاقاً. وارتداده بعد ذلك إقراراً عملياً بهذا الخداع.. فلا بد من محاسبته على هذا الأمر أيضاً، لأن الأمر خرج عن كونه مسألة شخصية، ليصبح اعتراضاً على الدين، وطعناً في حقائقه، وتكديماً لآياته، وجحوداً لمعجزاته..

٦ - على أن ثمة تساؤلاً يحتاج إلى الجواب المعقول والمقبول، وهو: أنه لماذا بادر «صلى الله عليه وآله» لتجهيز ذلك الجيش، قبل أن يستيقن الأمر بالطرق المعروفة والمألوفة..

وقد يجاب عن ذلك: بأن نفس مبادرة النبي «صلى الله عليه وآله» إلى هذا، لا يعني أنه أراد أن يوقع بأولئك الناس قبل التثبت من الأمر.. فإن تجهيز ذلك الجيش قد كان علنياً وظاهراً، ولا بد أن يبلغ خبره إليهم.. فإن كان الخبر صحيحاً، فسيكون ردهم على هذا الإجراء هو الإستنفار،

والتهبوء للحرب.

وإن كان الخبر باطلاً، فإنهم سيبادرون إلى إظهار الإسلام وتكذيب الخبر، وسيتجنبون المواجهة مع ذلك الجيش.

٧ - إن تجهيز هذا الجيش قد جاء بمثابة رسالة أريد أن يفهم مراميها ومعانيها كل من تسوّل له نفسه أمراً من هذا القبيل.

ويدل على ذلك: أنه بمجرد أن جاء رجل واحد من تلك القبيلة، وتكفل بعودة قومه إلى جادة الصواب.. أو بمجرد أن أخبره حبان بن بَحّ بأن قومه على الإسلام، صرف ذلك الجيش عنهم، وأعادته إلى قواعده بسلام وأمان..

٨ - وعن الحديث الذي يقول: من سأل الناس عن ظهر غنى، فصداق في الرأس، وداء في البطن، نقول:

إن هذا الحديث لا يبرر انصراف زياد عن أخذ ما طلبه من الصدقة، حتى لو كان غنياً.

فإن زياداً قد طلب إعطاءه نصيباً من صدقات قومه، وبما أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أجاب طلبه، فذلك يعني: أنه أعطاه ما يستحقه، فإن كان فقيراً فإنما يعطيه بمقدار ما يستحقه كما يعطي غيره مع الفقراء.. وإن كان غنياً (أو فقيراً أيضاً) فإنه يعطيه ما يستحقه من أجره على العمل، أو على المهمة التي يتصدى لها..

ولا يدخل ذلك تحت عنوان: «من سأل الناس عن ظهر غنى»، إذ المقصود بالسؤال: هو طلب ما لا يستحقه.

والمفروض: أن الأمر ليس كذلك هنا، إذ لو كان كذلك لم يكتب له،

النبي «صلى الله عليه وآله» بشيء من الصدقات، لأنه لا يعطي أحداً ما لا يستحقه.

فإذا كان قد ردّ كتاب الصدقة إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فالموقع: أن يسأله النبي «صلى الله عليه وآله» عن سبب ذلك، ثم يوضح له: أنه قد أخطأ في فهم ما يرمي إليه «صلى الله عليه وآله»، وليس فيما بأيدينا ما يشير إلى سؤال أو جواب للتصحيح أو التوضيح..

٩ - أما ما زعمه زياد: من أن أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله» بدأوا في مسيرهم مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» يستأخرون وينقطعون عنه، حتى لم يبق معه أحد غير زياد، وحتى استغرق لحوقهم به وقتاً طويلاً قد يصل إلى نحو عشر دقائق على أقل تقدير، فهو غير مقبول، بل ولا معقول أيضاً، إذ لا يمكن أن نصدق أن يُبقي المسلمون نبيهم في ذلك الليل البهيم يسير وحده في صحراء قاحلة لا يجد فيها قطرة من ماء، وليس فيها حسيس ولا أنيس. مع ما نعلمه من حرصهم على الكون بقربه، والسير في ركابه التماساً للبركة منه..

١٠ - يضاف إلى ذلك: أن تلك الروايات تضمنت: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد سار بأصحابه الليل بكامله، من العشاء حتى الفجر.. وهذا أيضاً أمر مستغرب.. لاسيما، مع عجز الروايات عن الإفصاح لنا عن وجهة سيره «صلى الله عليه وآله»، وأنها كانت إلى أي قوم!! وفي أية جهة!! فإن غزوات النبي «صلى الله عليه وآله» معروفة، ومسيره إليها ليس بالأمر المجهول، فقد وصفه الرواة لنا، وسجله المؤرخون، وحفاظ السيرة..

١١ - إن الرواية تفيد: أن الأذان قد حصل قبل طلوع الفجر، وأنه

١٢٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

«صلى الله عليه وآله» لم يرض من زياد بأن يقيم حتى تحقق «صلى الله عليه وآله» من طلوع الفجر.. فما هو الداعي إلى هذا التقديم، ما دام أن الأذان بعد تحقق طلوع الفجر لا يفوت فضيلة الصلاة في أول الوقت؟!

١٢ - إن زياداً يزعم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: «يا أخا صداء، لولا أني أستحي من ربي عز وجل لسقيننا واستقيننا ناد في أصحابي من له حاجة في الماء».

فكيف يستحي «صلى الله عليه وآله» من ربه أن يسقي ويستقي هو ومن معه، ثم يطلب من زياد أن يدعو من أصحابه من له حاجة في الماء؟! أليس هذا سقياً واستسقاء؟! فلماذا يناقض القول بالفعل، بل لماذا يكون الكلام متناقضاً في نفسه، فإن هذا وذاك مما نجلُّ عنه مقام رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

إرسال ابن العاص إلى ابني الجلندي:

وفي ذي القعدة سنة ثمان بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» عمرو بن العاص إلى جيفر وعبد ابني الجلندي، فأخذ الصدقة من أغنيائهم وردّها على فقرائهم^(١).

ونوضح ذلك كما يلي:

إن جَيْفَر وعَبْداً كانا ملكي عمان، وهما ابنا الجلندي بن المستكبر بن

(١) البحار ج ٢١ ص ١٨٤ عن الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٥ وراجع: مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٣٦٩ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٦٢ والكامل في التاريخ (ط دار صادر) ج ٢ ص ٢٧٢ وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ٣٦.

الفصل الرابع: من سرايا السنة الثامنة ١٢٧

الحراز الأزدي، ولعل الجلندي كان قد شاخ ففوض الأمر إلى ولديه هذين. وقد بعث النبي «صلى الله عليه وآله» عمرو بن العاص إلى ولديه بكتاب يدعوهما فيه إلى الإسلام، ولعل أباهما قد اطلع على هذا الكتاب، أو لعله «صلى الله عليه وآله» كان قد أرسل إلى أبيهما الجلندي نفسه كتاباً آخر، فإن ابن إسحاق قد ذكر: أن النبي «صلى الله عليه وآله» بعث ابن العاص إليه^(١).

ومهما يكن من أمر، فإن نص الكتاب الذي كتبه لهما كما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندي: سلام على من اتبع الهدى.

أما بعد، فإني أدعوكما بدعاية الإسلام، أسلما تسلما، إني رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقررا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما، وخيلي تحل بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما».

وختم رسول الله «صلى الله عليه وآله» الكتاب، وكتب أبي بن كعب^(٢).

(١) الإصابة ج ١ ص ٢٦٢ وراجع: الشفاء لعباؤ ج ١ ص ٤٨٤ ومكاتب الرسول ج ٢ ص ٣٦٤ و ٣٦٥.

(٢) مكاتب الرسول ج ٢ ص ٣٦١ وقال في هامشه: كما في زاد المعاد، ونشأة الدولة الإسلامية، والوثائق، ودحلان، وراجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٨٤ والسيرة النبوية لدحلان (بهاش الحلبية) ج ٣ ص ٧٦ وصبح الأعشى ج ٦ ص ٣٦٥ و ٣٦٦ وأعيان الشيعة ج ٢ ص ١٤ و (في ط أخرى) ج ١ ص ٢٤٥ وأعلام =

= السائلين ص ٢٦ ورسالات نبوية ص ١٣٣ وجمهرة رسائل العرب ج ١ ص ٤١
 عن: صبح الأعشى ج ٦ ص ٣٨٠ والمواهب اللدنية ج ٣ ص ٤٠٤، وراجع: نشأة
 الدولة الإسلامية ص ٣٣١ وزاد المعاد ج ٣ ص ٦٢ وشرح المواهب اللدنية
 للزرقاني ج ٣ ص ٣٥٣. وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٢ ق ١٨ و
 ج ٤ ق ٢ ص ١٨٨ وفتوح البلدان ص ٨٧ و (في ط أخرى) ص ١٠٤ والإصابة
 ج ١ ص ٥٧٦ في ترجمة زبيد بن الأعور بن جيفر الجلندي الأزدي، وص ٢٦٤ في
 ترجمة جيفر، وص ٢٦٢ في الجلندي، والتنبيه والإشراف ص ٢٤٠ والسيرة
 النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٢٥٤ والمناقب ج ١ ص ١١٤ والكامل في التاريخ ج ٢
 ص ٢٣٢ و ٢٧٢ و ٣٥٢ وتاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٢ ص ٦٤٥ وج ٣
 ص ٢٩ و ٩٥ وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٦٧ وحياة الصحابة ج ١ ص ١٠٢
 وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١١٦ و ١١٨ والبحار ج ١٨ ص ١٣٨ و ج ٢١
 ص ١٨٤ وأسد الغابة ج ١ ص ٣١٣ والشفاء للقاضي عياض ج ١ ص ٤٨٤
 ونسيم الرياض ج ٢ ص ٤٤٧ وشرح الشفاء للقاري (بهامش نسيم الرياض)
 ج ٢ ص ٤٤٧ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ١ ص ٢٦١ والبداية والنهاية
 ج ٤ ص ٣٧٤ والتراتب الإدارية ج ١ ص ٢٠١ والروض الأنف ج ٣ ص ٣٠٤
 والمنتظم ج ٤ ص ١٠ ومجموعة الوثائق السياسية ١٦١/٧٦ عن جمع من ذكرناه،
 وعن المواهب اللدنية ج ١ ص ٢٩٤ وصبح الأعشى، ومنشآت السلاطين
 لفريدون بك ج ١ ص ٣٣ والوفاء لابن الجوزي ص ٧٤١ وكتاب النبي
 للأعظمي، ونصب الراية للزيلعي ج ٤ ص ٤٢٣ والمصباح المضيء ج ٢ ص ٣٠٦
 عن الهدى المحمدي، ومدينة البلاغة ج ٢ ص ٢٩١ وقال: انظر اشهرنكر ج ٣
 ص ٣٨٢ وزاد: يقول المؤلف (حميد الله): رأيت عند بعض الإخوان في باريس
 في السنة ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م فصيلة من جريدة يومية عربية من تونس فيها تصوير
 أصل مكتوب النبي «عليه السلام» إلى جيفر وعبد ابني الجلندي، ولكن لم =

ويقولون: إن النبي «صلى الله عليه وآله» بعث أبا زيد الأنصاري (وهو قيس بن السكن، وقيل: اسمه ثابت بن قيس، وقيل غير ذلك) وعمرو بن العاص بكتاب منه إلى ابني الجلندي، يدعوهما فيه إلى الإسلام، وقال لهما: إن أجاب القوم إلى شهادة الحق، وأطاعوا الله ورسوله، فعمرو الأمير، وأبو زيد على الصلاة، وأخذ الإسلام على الناس، وتعليمهم القرآن والسنة^(١). وقال المسعودي: إن إرسال عمرو إلى جيفر وعبد ابني الجلندي قد كان في السنة الحادية عشرة^(٢).

وقيل: إنه «صلى الله عليه وآله» أرسل أبا زيد الأنصاري بكتابه إلى عبد وجيفر سنة ست، ووجه عمرو سنة ثمان. وقد أوصى النبي «صلى الله عليه وآله» أبا زيد (في سنة ثمان) بأن يأخذ

= يعرف اسم الجريدة ولا تأريخها. وفيما علقت عليه الجريدة التي نشرته: «عثر علماء الآثار على النسخة الأصلية... جاء هذا أثناء زيارة الأستاذ الإسماعيلي الرصاصي السفير العماني السابق لدى إيران لبعض البلدان العربية، وقد وجد الأصل في حوزة هاوي آثار وتحف لبناني الجنسية... الشخص المذكور رفض تسليم المخطوط لسعادة السفير إلا أنه سمح له بتصويره. ووجدنا سعادة سفير عمان في باريس أن يبحث فيه فجراه الله خيراً.

(١) فتوح البلدان ص ١٠٣ و ١٠٤ و (ط مكتبة النهضة) ج ١ ص ٩٢ وتاريخ الكوفة للسيد البراقبي ص ٢٦٥ ومكاتيب الرسول ج ٢ ص ٣٦٩.

(٢) التنبيه والإشراف (ط دار صعب) ص ٢٤٠ مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٣٩٦ عن التنبيه والإشراف.

١٣٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

الصدقة من المسلمين، والجزية من المجوس^(١).

وقد كانت النتيجة هي: إسلام جيفر وعبد ابني الجلندي، وأسلم معها خلق كثير^(٢).

عمرو.. وابنا الجلندي:

وقد حكى لنا عمرو بن العاص حواراً وتفاصيل زعم أنها جرت له مع جيفر، وعبد ابني الجلندي، والقصة هي التالية:

قال عمرو: فعمدت إلى عبد، وكان أحلم الرجلين، وأسهلها خلقاً، فقلت: إني رسول رسول الله «صلى الله عليه وآله» إليك وإلى أخيك بهذا الكتاب.

فقال: أخي مقدم عليّ بالسن والملك، وأنا أوصلك إليه حتى يقرأ كتابك. ثم قال: وما تدعو إليه؟

قلت: أدعوك إلى الله وحده، وتحلع ما عبد من دونه، وتشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال: يا عمرو إنك ابن سيد قومك، فكيف صنع أبوك - يعني العاص

(١) راجع: فتوح البلدان ص ١٠٥ ونشأة الدولة الإسلامية ص ١٧٨.

(٢) راجع: تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٢ ص ٥٢٠ وج ٣ ص ٢٥٨ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣٥٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ق ٢ ص ١٨ ونسيم الرياض ج ٢ ص ٤٤٨ والسيرة النبوية لدحلان ج ٣ ص ٧٨ والفتوح لابن أعمش ص ١٠٤ ونشأة الدولة الإسلامية ص ١٩٧ والإصابة ج ١ ص ٢٦٤ وج ٣ ص ٢٣٤ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٨٣.

الفصل الرابع: من سرايا السنة الثامنة ١٣١
بن وائل - فإن لنا فيه القدرة؟^(١).

قلت: مات ولم يؤمن بمحمد «صلى الله عليه وآله»، وودت له لو كان آمن وصدق به، وقد كنت قبل على مثل رأيه حتى هداني إلى الإسلام.

قال: فمتى تبعته؟

قلت: قريباً.

فسألني أين كان إسلامي؟

فقلت: عند النجاشي، وأخبرته أنه قد أسلم.

قال: فكيف صنع قومه بملكه؟

قلت: أقروه واتبعوه.

قال: والأساقفة؟

قلت: نعم.

قال: انظر يا عمرو ما تقول، إنه ليس من خصلة في رجل أفضح من

كذب؟

قلت: وما كذبت، وما نستحله في ديننا.

ثم قال: ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشي.

قلت له: بلى.

قال: بأي شيء علمت ذلك يا عمرو؟

قلت: كان النجاشي يخرج له خراجاً، فلما أسلم النجاشي وصدق بمحمد

«صلى الله عليه وآله» قال: لا والله، ولو سألني درهماً واحداً ما أعطيته.

(١) كذا في الأصل، ولعل الصحيح هو «القدوة».

فبلغ هرقل قوله، فقال له أخوه: أتدع عبدك لا يخرج لك خراجاً،
ويدين ديناً محدثاً؟

فقال هرقل: رجل رغب في دين واختاره لنفسه ما أصنع به، والله،
لولا الظن^(١) بملكي لصنعت كما صنع.

قال: أنظر ما تقول يا عمرو.

قلت: والله صدقتك.

قال عبد: فأخبرني ما الذي يأمر به وينهى عنه؟

قلت: يأمر بطاعة الله عز وجل، وينهى عن معصيته، ويأمر بالبر وصلة
الرحم، وينهى عن الظلم والعدوان، وعن الزنى وشرب الخمر، وعن
عبادة الحجر والوثن والصليب.

فقال: ما أحسن هذا الذي يدعو إليه، لو كان أخي يتابعني لركبنا حتى
نؤمن بمحمد «صلى الله عليه وآله» ونصدق به، ولكن أخي أضنّ بملكه
من أن يدعه ويصير ذنباً.

قلت: إنه إن أسلم ملكه رسول الله «صلى الله عليه وآله» على قومه،
فأخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم.

قال: إن هذا لخلق حسن، وما الصدقة؟

فأخبرته بما فرض رسول الله «صلى الله عليه وآله» من الصدقات في
الأموال، ولما ذكرت المواشي، قال: يا عمرو، ويؤخذ من سوائم مواشينا

(١) كذا في الأصل، ولعل الصحيح هو «الضنّ»، ويشهد له قول عبد فيما يأتي: «ولكن
أخي أضنّ بملكه».

التي ترعى في الشجر وترد المياه؟

فقلت: نعم.

فقال: والله، ما أرى قومي في بعد دارهم، وكثرة عددهم يطيعون بهذا.

قال عمرو: فمكثت أياماً بباب جيفر، وقد أوصل إليه أخوه خبري،

ثم إنه دعاني، فدخلت، فأخذ أعوانه بضبعي، قال: دعوه.

فذهبت لأجلس، فأبوا أن يدعوني، فنظرت إليه، فقال: تكلم بحاجتك.

فدفعت إليه كتاباً مختوماً، ففرض خاتمه فقرأه.

ثم دفعه إلى أخيه، فقرأه، ثم قال: ألا تخبرني عن قریش كيف صنعت؟

فقلت: تبعوه، إما راغب في الدين، أو راهب مقهور بالسيف.

قال: ومن معه؟

قلت: الناس قد رغبوا في الإسلام، واختاروه على غيره، وعرفوا

بعقولهم مع هدي الله إياهم أنهم كانوا في ضلال مبين، فما أعرف أحداً بقي

غيرك في هذه الخرجة، وأنت إن لم تسلم اليوم وتتبعه تطأك الخيول، وتبيد

خضراؤك، فأسلم تسلم ويستعملك على قومك، ولا تدخل عليك الخيل

والرجال.

قال: دعني يومي هذا، وارجع إلي غداً.

فلما كان الغد أتيت إليه، فأبى أن يأذن لي، فرجعت إلى أخيه فأخبرته

أنني لم أصل إليه.

فأوصلني إليه، فقال: إني فكرت فيما دعوتني إليه فإذا أنا أضعف

العرب، إن ملكت رجلاً ما في يدي، وهو لا تبلغه خيله ههنا، وإن بلغت

خيله ألفت قتالاً ليس كقتال من لاقى.

قلت: وأنا خارج غداً.

فلما أيقن بمخرجي خلا به أخوه، فأصبح، فأرسل إلي، فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعاً، وصدقا وخلياً بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم، وكانا لي عوناً على من خالفني، وأسلما وأسلم معهما خلق كثير^(١).
وتوفي رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعمرو بعمان^(٢).

ونقول:

إن هذه الرواية التي يظهر عمرو فيها نفسه أنه أدار الحوار بصورة راقية، وقوية، وأورد لنفسه جملاً تحمل معاني جليلة، ولمعات جميلة، إنها رواية مكذوبة بلا شك، فلاحظ ما يلي:

١ - إن عمرو بن العاص لم يكن لا في ذلك الوقت، ولا قبله، ولا بعده

(١) مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٣٧٠ - ٣٧٢ وقال في هامشه: راجع في تفصيل قصة عمرو مع جيفر: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٨٤ والسيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج ٣ ص ٧٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٢٦٢ و(في ط أخرى) ج ١ ق ٢ ص ١٨ وج ٤ ق ٢ ص ١٨٨ وفتوح البلدان للبلاذري ص ١٠٤ ونسيم الرياض ج ٢ ص ٤٤٨ والتراتب الإدارية ج ١ ص ٢٠١ وزاد المعاد ج ١ ص ٦٢ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٤٥ والمصباح المضيء ج ٢ ص ٣٠٦ - ٣١١.

(٢) مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٣٧٢ وقال في هامشه: تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٢ ص ٥٢٠ وج ٣ ص ٢٥٨ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣٥٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ق ٢ ص ١٨ ونسيم الرياض ج ٢ ص ٤٤٨ والسيرة النبوية لدحلان ج ٣ ص ٧٨ وفتوح لابن أعثم ص ١٠٤ ونشأة الدولة الإسلامية ص ١٩٧ والإصابة ج ١ ص ٢٦٤ وج ٣ ص ٢٣٤ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٨٣.

من أهل هذه المعاني، ولا من الذين يقدرّون على مثلها.

٢ - إن روايته قد تضمنت بعض الأكاذيب، كقوله: إن إسلامه كان عند النجاشي في الحبشة، حين ذهب في طلب جعفر وأصحابه، أي قبل الهجرة بحوالي ثماني سنوات..

وهذا كذب واضح، فإنه أسلم سنة ثمان بعد الهجرة كما تقدم؛ بل إنه هو نفسه قد ذكر ما يناقضه قبله مباشرة، حيث قال: إنه إنما تبع النبي «صلى الله عليه وآله» قبل يسير، أي في السنة الثامنة بعد الهجرة مباشرة.. فإن كان قد أسلم منذئذٍ، فلماذا تأخر اتباعه للنبي «صلى الله عليه وآله» إلى هذا الوقت؟! وهل يمكن أن يعتقد بنبوّة النبي «صلى الله عليه وآله» ويكون مسلماً، ثم يحاربه كل هذه السنين؟!

٣ - إن ما زعمه من إسلام قوم النجاشي غير ظاهر، فإنهم قد حاربوه، وجرى له معهم أمور يطول ذكرها.

٤ - وأما حديثه عن هرقل والنجاشي، وأن هرقل لم يطالب النجاشي بالمال الذي كان قد فرضه عليه، فهو لو كان صحيحاً لشاع وذاع، وبلغ ملك عمان، ولم يخفَ عليه أمر بهذه الأهمية..

٥ - كما أنه لو صحّ قوله: إنه لولا أنه يضمن بملكه لكان قد أسلم، لا ينسجم مع حربه لرسول الله «صلى الله عليه وآله» في مؤتة وفي غيرها بتلك الشراسة والحدة..

٦ - والأهم من ذلك: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أخبر بما سيجيب به ابنا الجلندي أيضاً، ولكن مؤرخيهم تجاهلوا ذلك، ولكن ابن شهر آشوب ذكره لنا، فقال:

١٣٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

وكتب «صلى الله عليه وآله» إلى ابن جلندی وأهل عمان، وقال: أما إنهم سيقبّلون كتابي، ويصدقوني، ويسألکم ابن جلندی: هل بعث رسول الله معكم هدية؟

فقولوا: لا.

فسيقول: لو كان رسول الله بعث معكم هدية لكانت مثل المائدة التي نزلت على بني إسرائيل وعلى المسيح.
فكان كما قال «صلى الله عليه وآله»^(١).

ونقول:

إننا نذكر هنا ما يلي:

ملاحظة هامة:

ربما يقال: إن النبي «صلى الله عليه وآله» الذي كان ينظر إلى الغيب بستر رقيق كان يعلم أن عمرو بن العاص سوف يحاول الإستفادة من مهمة حمله للكتاب لابني الجلندی في تسطير بعض الفضائل لنفسه والظهور في حالات استعراضيه.. وانتفاخات بهلوانية عن ذلك ليكون إخباره «صلى الله عليه وآله» هذا من موجبات إسقاط دعاويه، وإظهار أنه كاذب مفتر فيها، وهذا ما حصل بالفعل.

(١) البحار ج ١٨ ص ١٣٨ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١١٤ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ١٠٠.

مهمات أبي زيد ومهمة عمرو:

وقد رأينا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد وزع المهمات بطريقة لها مغزاها ومرماها.

فهؤلاء أناس يدخلون في الإسلام للتو، فهم بحاجة إلى أن يتذوقوا طعم الإسلام في روحانيته، وفي إنشاء العلاقة مع الله، وأن يعرفوا شيئاً من حقائق هذا الدين، وأحكامه، وسننه، وتعاليمه.

وقد كان أبو زيد أقدر على إنجاز هذه المهمة، وأعرف بجزئياتها وتفصيلاتها، وأميل إلى تحقيق الغاية المرجوة.

أما عمرو بن العاص فقد لا يهتم بهذا الأمر كثيراً، بل قد يكون أبعد الناس عن المعرفة بتفاصيل الدين، بل وبكلياته أيضاً، لأنه قد أسلم أو تظاهر بالإسلام في نفس تلك السنة، فهو يحتاج إلى ما يحتاجون إليه.

وأما الإمارة التي تعني تدبير الأمور الدنيوية، فهو أكثر اندفاعاً إليها، ورغبة بها وحرصاً عليها..

يضاف إلى ذلك: أنه لا مجال للإطمئنان إلى أنه كان يملك المواصفات التي تخوله لحمل أمانة الصلاة بالناس.. أو أنه كان أميناً على دين الناس بالقدر الذي يسمح بإفساح المجال له لتعليمهم أحكامه، حتى لو كان على علم بها.

مهاجري وأنصاري:

وكان «صلى الله عليه وآله» - كما يقولون - كلما أرسل رجلاً من المهاجرين قرنه برجل من الأنصار، وهكذا فعل في هذه المناسبة أيضاً.

الجلندى كيف تلقى الدعوة:

وقال: ذكروا أيضاً أن الجلندى حين جاءه كتاب النبي «صلى الله عليه وآله» قال: «والله، لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول من أخذ به، ولا ينهى عن شر إلا كان أول تارك له، وأنه يغلب فلا يبطر، ويغلب فلا يضجر (يهجر)، وأنه يفي بالعهد، وينجز بالموعد (بالوعد)، وأنه لا يزال سرّاً قد اطلع عليه يساوى فيه أهله، وأشهد أنه نبي»^(١).
ثم أنشد أبياتاً منها:

أتاني عمرو بالتّي ليس بعدها من الحق شيء والنصيح نصيح
فقلت له: ما زدت أن جئت بالتّي جلندى عمان في عمان يصيح
فيا عمرو قد أسلمت لله جهرة ينادي بها في الواديين فصيح^(٢)

وقفات مع كتاب النبي ﷺ للجلندى:

وقد تضمن الكتاب المذكور: الكثير من الإشارات والدلالات التي ينبغي التوقف عندها لاستفادة السلوك والموقف، والمفهوم الإيماني والسياسي

(١) الإصابة ج ١ ص ٢٦٢ و (ط دار الكتب العلمية) ج ١ ص ٦٣٧ والروض الأنف ج ٤ ص ٢٥٠ والشفاء لعباس ج ١ ص ٤٨٤ وراجع: نسيم الرياض ج ٢ ص ٤٤٧ و ٤٤٨ وشرح الشفاء لملاً علي القاري (بهامش نسيم الرياض) في نفس الجزء والصفحة. وراجع: مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٣٦٤ و ٣٦٥.

(٢) الإصابة ج ١ ص ٢٦٢ و (ط دار الكتب العلمية) ج ١ ص ٦٣٧ وراجع: مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٣٦٤ و ٣٦٥.

الفصل الرابع: من سرايا السنة الثامنة ١٣٩
منها. وبما أن كتابنا هذا ليس محل ذكر ذلك، فإننا نكتفي بالإلماح إلى ما ذكره بعضهم منها، وهو كما يلي:

ذكر العلامة الأحمدي «رحمه الله» عدة نقاط مفيدة هنا، وهي:

١ - «وتظهر نبوتي الخ..» هذه الجملة تعطينا درساً إضافياً، ومعنى حقيقياً كاملاً عن السلطنة والفتوحات الإسلامية، إذ المستفاد منها: أن الفتوحات الإسلامية يجب أن تكون فتحاً إلهياً، وظهوراً روحانياً، تحكم على القلوب، وتفتح الضمائر والصدور، مخوفة بالإيمان، ومشفوعة بالتقوى (قبل أن تكون مغالبة القدرة الظاهرة بالقوة، ورباط الخيل) لا مغالبة على الدنيا، كما قال أمير المؤمنين «عليه السلام»:

«اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك»^(١).
وقال الحسين «عليه السلام»: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً، وإنما خرجت أطلب الإصلاح في أمة جدي محمد «صلى الله عليه وآله»، أريد أن آمر بالمعروف، وأنهي عن المنكر الخ..»^(٢).

-
- (١) مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٣٦٦ عن: نهج البلاغة (بشرح عبده) خطبة ١٢٩ وشرح النهج للمعتزلي (ط بيروت) ج ٨ ص ٢٦٤ و (البحراني) ج ٣ ص ١٤٨.
(٢) مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٣٦٦ عن: المناقب لابن شهر آشوب (ط قم) ج ٤ ص ٨٩ وراجع: مقتل الحسين «عليه السلام» للخوارزمي ج ١ ص ١٨٨ ونفس المهموم ص ٣٧ والبحار ج ٤٤ ص ٣٢٩ ومكاتيب الأنمة «عليهم السلام» ج ٢ ص ٤٠ ولمعة من بلاغة الحسين «عليه السلام» ص ١٠٦ وشرح إحقاق الحق =

وسلطنة الإسلام سلطنة عقيدة وإيمان، وروحانية ونبوة، وليست ملكاً وإمبراطورية مادية، والفرق بينهما واضح لمن عقل وتدبر، وكذلك الحكومات التي أسسها الأنبياء العظام، صلوات الله عليهم.

وإذا شئت أن تعرف الحقيقة فقس بين فتوحات ملوك العالم، والفتوحات التي وقعت في عصر النبي «صلى الله عليه وآله»، ولاحظ حكومة علي «عليه السلام» ومعاوية، هذا يعفو عن أعدى أعدائه، وذاك يقتل على الظنة والتهمة^(١).

٢ - وقال العلامة الأحدي «رحمه الله» أيضاً: «لأنذر من كان حياً» أي فهماً عاقلاً، كنى عن العاقل بالحي، إيعازاً إلى أن الذي لا يعقل ولا يفهم فهو كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾^(٢) و ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾^(٣).

٣ - في الكتاب تصريح بعموم دعوته بقوله «صلى الله عليه وآله»: «إني رسول الله إلى الناس كافة»، وأنه لا تختص نبوته بالعرب، أو أم القرى ومن حولها.

٤ - ثم وعدهما ببقاء ملكهما إن أسلما وذهابه إن لم يسلما، وأخبر بأن خيله تحل بساحتها، وتغلب نبوته على ملكها^(٤).

= (الملحقات) ج ١١ ص ٦٠٢.

(١) مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٣٦٦ و ٣٦٧.

(٢) الآية ٨٠ من سورة النمل.

(٣) الآية ٨ من سورة فاطر.

(٤) راجع ما تقدم في: مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٣٦٥ و ٣٦٦.

ونضيف إلى ما تقدم:

ألف: إنه «صلى الله عليه وآله» لم يقل لهما: إني أزيل ملككما، بل قال: إن ملككما زائل عنهما، ولم يحدد لهما من الذي سيزيله، أو هل سيزول بسبب مرور الزمان، وبسنة الموت والحياة؟! أو أنه سيزول على يد من يسلبها إياه!!

ب: ولكنه أشار إلى أن استكبارهما سوف يسقط حرمتها، ويجعلها في معرض التحدي، ولا بد أن يواجهها الحرب لإسقاط ذلك الاستكبار، وإزالة ما يمارسونه من الظلم والقهر، والتسلط على الآخرين بما يملكونه من قوة.. ج: إنه لم يقل لهما: إنه هو سيظهر عليهما، بل تجاوز الحديث عن شخصه، وعنهما كأشخاص، ليتحدث عن مقام النبوة المرتبط بالله، الذي يريدان أن يستبدلاه بموقع الملك والسلطان، وأنه إذا كان التحدي بين هذين، فإن الغلبة لا بد أن تكون للنبوة، لأنها هي التي ترتبط بالله تعالى، وتستمد قوتها منه.

د: ويلاحظ: أنه تحدث عن مقام النبوة، لا عن الرسولية، في إثارة وجدانية، وإيقاظ للشعور الفطري الصافي والصادق، النابع من أعماق النفس الإنسانية بعيداً عن المؤثرات الخارجية، والصوارف المادية والأهوائية..

بعث المصدقين:

روى الواقدي، عن الزهري، وعبد الله بن يزيد، عن سعيد بن عمرو، قالوا: لما رجع رسول الله «صلى الله عليه وآله» من الجعرانة قدم المدينة يوم

١٤٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

الجمعة لثلاث ليال بقين من ذي القعدة، فأقام بقية ذي القعدة وذو الحجة، فلما رأى هلال المحرم بعث المصدقين.

فبعث بريدة بن الحَصِيب إلى سليم ومُرَينة.

وبعث رافع بن مَكِيث إلى جُهينة.

وبعث عمرو بن العاص إلى فزارة.

وبعث الضحاك بن سفيان الكلابي إلى بني كلاب.

وبعث بسر بن سفيان الكعبي إلى بني كعب.

وبعث ابن اللثيمة الأزدي إلى بني ذبيان.

وبعث رجلاً من بني سعد إلى هذيم على صدقاتهم^(١).

سرية إلى بني العنبر:

وفي سنة ثمان بعث عيينة بن حصن الفزاري إلى بني العنبر، من تميم، فأغار عليهم، وسبى منهم نساء^(٢).

سرية الضحاك بن سفيان الكلابي إلى القرطاء:

ومن السرايا التي تذكر هنا سرية الضحاك بن سفيان الكلابي إلى القرطاء، وحيث إننا ذكرناها حين ترقيع الدلاء بكتب رسول الله «صلى الله

(١) المغازي للواقدي ج ٣ ص ٩٧٣ وراجع: تاريخ مدينة دمشق (ط دار الكتب العلمية) ج ٢٠ ص ١٤ و (ط دار الفكر) ج ١٨ ص ٢٣.

(٢) البحار ج ٢١ ص ١٨٤ عن الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٢ ومستدرك سفينة البحار ج ٥ ص ٣٦ وراجع: الكامل في التاريخ (ط دار صادر) ج ٢ ص ٢٧٣.

الفصل الرابع: من سرايا السنة الثامنة ١٤٣
عليه وآله، فإننا نكتفي بما ذكرناه هناك، فارجوا من القارئ الرجوع إلى
ذلك الموضع للوقوف على ما جرى.

سرية عكاشة بن محصن إلى الجباب (الجناب):

ويقولون: إنه في شهر ربيع الآخر من سنة تسع كانت سرية عكاشة بن
محصن إلى الجباب (وهي أرض عذرة وبلي)^(١) وهما قبيلتان من قضاة.
وقيل: إلى أرض فزارة وكلب، ولعذرة فيها شركة^(٢).
وقد ذكرها ابن سعد، وتبعه اليعمري وغيره، ولم يبينوا سببها، ولا
عدد من ذهب فيها، ولا ما جرى^(٣).

فهل كان فيها ما يوجب الطعن على بعض من يُتهم الرواة بالتستر
عليه، وإبعاد الشبهات عنه؟ أم أنه لم يكن في تلك السرية حدث يستحق
الذكر، أو نشاط يحسن التنويه به؟! أو يفيد في إعلاء شأن من يهتمهم إعلاء
شأنه؟! إلى غير ذلك من أسباب تدعو إلى الإهمال والكتمان!!
كل ذلك محتمل والله العالم بحقائق الأمور..

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٢٠ عن ابن سعد وعن العيون، والمورد. وراجع:
الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٦٤ وعيون الأثر ج ٢ ص ٢٤٠ وتاريخ
الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٦٢٤

(٢) معجم ما استعجم للبكري الأندلسي ج ٢ ص ٣٩٥.

(٣) راجع: شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٤ ص ٥٠.

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

... ..

(۱)

... ..

... ..

(۲)

... ..

الفصل الخامس:

عيينة وبنو تميم

درمینه نقاشان را بسجده

درمینه نقاشان را بسجده

سرية عيينة إلى بني تميم:

وفي سنة ثمان كانت سرية عيينة بن حصن إلى بني العنبر (أو العتير)، من بني تميم، فأغار عليهم، وسبى منهم نساء^(١).
وقيل: إن ذلك كان سنة تسع^(٢).

وسبب ذلك: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعث رجلاً من بني سعد - هذيم - على صدقاتهم، وأمره رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أن يأخذ العفو، ويتوقى كرائم أموالهم.

فخرج بشر بن سفيان الكعبي إلى بني كعب، فأمر بجمع مواشي خزاعة، ليأخذ منها الصدقة، فحشرت عليهم خزاعة الصدقة في كل ناحية، فاسكثرت ذلك بنو تميم (لكونهم لثاماً)، فقالوا: ما هذا؟! أتؤخذ أموالكم منكم بالباطل؟ فشهروا السيوف.

(١) راجع: البحار ج ٢١ ص ١٨٤ عن الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٨٢ ومستدرك
سفينة البحار ج ٥ ص ٣٦ وراجع: الكامل في التاريخ (ط دار صادر) ج ٢ ص ٢٧٣.
(٢) راجع: فتح الباري ج ٥ ص ١٢٥ وج ٨ ص ٦٦ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٦٠
وعيون الأثر ج ٢ ص ٢٣٤ وعمدة القاري ج ١٨ ص ١٨ وسبل الهدى والرشاد
ج ٦ ص ٢١٢.

فقال الخزاعيون: نحن قوم ندين بدين الإسلام، وهذا أمر ديننا.

فقال التميميون: لا يصل إلى بعير منها أبداً.

(وفي رواية: أن خزاعة وبني العنبر أعانوا بني تميم).^(١)

فهرب المصدق، وقدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأخبره

الخبر.

فوثبت خزاعة على التميميين، فأخرجوهم من محالهم، وقالوا: لولا قرابتكم ما وصلتم إلى بلادكم، ليدخلن علينا بلاء من محمد «صلى الله عليه وآله» حيث تعرضتم لرسوله، تردونه عن صدقات أموالنا، فخرجوا راجعين إلى بلادهم.

فقال «صلى الله عليه وآله»: «من هؤلاء القوم (الذين فعلوا ما فعلوا)؟»

فانتدب أول الناس عيينة بن حصن الفزاري، فبعثه رسول الله «صلى الله عليه وآله» في خمسين فارساً من العرب، ليس فيهم مهاجري، ولا أنصاري. فكان يسير الليل ويكمن النهار، فهجم عليهم في صحراء قد حلوا [بها]، وسرحوا مواشيهم.

فلما رأوا الجمع ولّوا. فأخذ منهم أحد عشر رجلاً، ووجد في المحلة إحدى وعشرين امرأة. كذا في العيون.

وقال محمد بن عمر وابن سعد، وتبعهما في الإشارة والمورد: إحدى عشرة امرأة وثلاثين صبيّاً.

فجلبهم إلى المدينة، فأمر بهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فحبسوا

في دار رملة بنت الحارث. فقدم فيهم عدة من رؤسائهم^(١).

فقدم منهم عشرة من رؤسائهم: العطار بن حاسب بن زُرارة، والزبقان بن بدر، وقيس بن عاصم، وقيس بن الحارث، ونعيم بن سعد، وعمرو بن الأهم، والأقرع بن حابس، ورياح بن الحارث بن مجاشع، فدخلوا المسجد قبل الظهر، وسألوا عَنْ سبيهم، فأخبروهم، فجأؤوهم، فبكى الذراري والنساء.

فرجعوا إلى المسجد، ورَسُولُ الله «صلى الله عليه وآله» يومئذٍ في بيت عائشة، وقد أَدْنى بلال بالظهر، والناس ينتظرون خروجه «صلى الله عليه وآله»، فعملوا خروجه، فنادوا: يا محمد، أخرج إلينا.

فقام إليهم بلال، فقال: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يخرج الآن. فاشتهر أهل المسجد أصواتهم، فعملوا يخفقون بأيديهم.

فخرج رَسُولُ الله «صلى الله عليه وآله»، وأقام بلال الصلاة، وتعلقوا به يكلمونه، فوقف رَسُولُ الله «صلى الله عليه وآله» معهم بعد إقامة بلال الصلاة ملياً، وهم يقولون: أتيناك بخطيئنا وشاعرنا، فاستمع منا.

فتبسم النبي «صلى الله عليه وآله» ثم مضى فصلى بالناس الظهر، ثم

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢١٢ عن العيون، والواقدي، وابن سعد، والإشارة والمورد، والإصابة ج ١ ص ٢٤٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٠ ص ٣٦٠ و ٣٦١ والمغازي للواقدي ج ٣ ص ٩٧٣ - ٩٧٥ وراجع: السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٢٠٨ وعن البداية والنهاية ج ٥ ص ٥١. وراجع: والطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٦٠ و ١٦١ وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ٣٧ و ٣٨ و عيون الأثر ج ٢ ص ٢٣٤ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٢١٦.

انصرف إلى بيته، فركع ركعتين، ثم خرج فجلس في صحن المسجد.

وقدّموا عطارد بن حَاجب التميمي، فخطب، فقال: الحمد لله الذي له الفضل علينا، والذي جعلنا ملوكاً، وأعطانا الأموال، (أو: ووهب لنا أموالاً عظيماً) نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعزّ أهل المشرق، وأكثرهم مالاً، وأكثرهم عدداً، فمن مثلنا في الناس؟

ألسنا رؤوس الناس وذوي فضلهم؟ فمن يفاخر فليعدد مثل ما عددنا، ولو شئنا لأكثرنا من الكلام، ولكننا نستحي من الإكثار فيما أعطانا الله، أقول هذا لأن يؤتى بقول هو أفضل من قولنا.

فقال رَسُولُ الله «صلى الله عليه وآله» لثابت بن قيس: «قم فأجب خطيبهم».

فقام ثابت، وما كان درى من ذلك بشيء، وما هياً قبل ذلك ما يقول، فقال:

الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه، قضى فيهما أمره، ووسع كل شيء علمه، فلم يك شيء إلا من فضله، ثم كان ممّا قَدَّرَ الله أن جعلنا ملوكاً، اصطفى لنا من خلقه رسولاً، أكرمهم نسباً، وأحسنهم زياً، وأصدقهم حديثاً، أنزل عليه كتابه، واتممه على خلقه، وكان خيرته من عباده، فدعا إلى الإيمان، فأمن المهاجرون من قومه، وذوي رحمه، أصبح الناس وجهاً، وأفضل الناس فعلاً، ثم كنا أول الناس إجابة حين دعا رَسُولُ الله «صلى الله عليه وآله»، فنحن أنصار الله ورسوله، نقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن آمن بالله ورسوله منع ممّا ماله ودمه، ومن كفر بالله ورسوله جاهدناه في ذلك، وكان قتله علينا يسيراً، أقول قولي هذا وأستغفر الله

للمؤمنين والمؤمنات».

ثم جلس.

فقالوا: يا رَسُولَ الله ائذن لشاعرنا.

فأذن له.

فأقاموا الزبرقان بن بدر فقال (أو أن الزبرقان أقام رجلاً، فقام فقال):

نحن الملوك فلاحي يقاربنا	فينا الملوك وفينا تنصب البيع
وكم قسرنا من الأحياء كلهم	عند النهاب وفضل الخير يُتبع
ونحن نطعم عند القحط ما أكلوا	من السديف إذا لم يؤنس القزع
وننحر الكوم عبطاً في أرومتنا	لِلنازلين إذا ما أنزلوا شبعوا

وذكر بعضهم أبياتاً أخرى معها.

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم ينكرها للزبرقان.

فقال رَسُولُ الله «صلى الله عليه وآله»: «أجبههم يا حسان بن ثابت»،

فقام، فقال:

إن الذوائب من فهر وإخوتهم	قد شرعوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريره	تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم	أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثة	إن الخلائق فاعلم شرها البدع
لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم	عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا
ولا يضمنون عن جار بفضلهم	ولا ينالهم في مطمع طبع
(إن سابقوا الناس يوماً فاز سبقهم	أو وازنوا أهل مجد بالندى متعوا)

إن كان في الناس سباقون بعدهم
أكرم بقوم رَسُول الله شيعتهم
أعفة ذكرت في الوحي عفتهم
كانهم في الوغى والموت مكتنع
لا فَرَّحْ إن أصابوا في عدوهم
وإن أصبنا لحي لم ندب لهم
نسّموا إلى الحرب نالتنا مخابها
خذ منهم ما أبوا عفا إذا غضبوا
فإن [في] حربهم فاترك عدوتهم
أهدى لهم مدحاً قلب يؤازره
وأنهم أفضل الأحياء كلهم

(وفي نص آخر: فقام شاعرهم الأقرع بن حابس، فقال:

أتيناك كيما يعرف الناس فضلنا
إذا خالفونا عند ذكر المكارم
وأن رؤوس الناس في كل معشر
وأن ليس في أرض الحجاز كوارم
فأمر النبي «صلى الله عليه وآله» حساناً أن يجيبه، فقال:

بني دارم لا تفخروا إن فخركم
هبلتم علينا تفخرون وأنتم
يعود وبالأ عند ذكر المكارم
لنا خول ما بين قن وخادم
فكان أول من أسلم شاعرهم^(١).

وكان رَسُولُ الله «صلى الله عليه وآله» قد أمر بمنبر، فوضع في المسجد ينشد عليه حسان، وقال: «إِنَّ اللهَ لِيُؤَيِّدَ حَسَانَ» (بروح القدس ما دافع عن نبيه).

وخلا الوفد بعضهم إلى بعض، فقال قائلهم (وهو الأقرع بن حابس): تعلمنَّ والله أن هذا الرجل مؤيد مصنوع له. والله، لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعرهم أشعر من شاعرنا، ولهم أحلم منا.

وأَنزل الله على نبيه «صلى الله عليه وآله» في رفع أصوات التميميين. ويذكر أنهم نادوا النبي «صلى الله عليه وآله» من وراء الحُجُرَات، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ إلى قوله: ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١)، فردَّ رَسُولُ الله «صلى الله عليه وآله» الأسرى والسبي.

(فلما فرغ القوم أسلموا، جَوَّزَهُم رسول الله «صلى الله عليه وآله» [أي أعطاهم الجوائز]، فأحسن جوائزهم).

وقام عمرو بن الأَهمَث يومئذٍ، فهجا قيس بن عاصم، وكانا جميعاً في الوفد.

وكان رَسُولُ الله «صلى الله عليه وآله» قد أمر لهم بجوائز، وكان يجيز الوفد إذ قدموا عليه، ويفضِّل بينهم من العطية على قدر ما يرى، فلما أجازهم رَسُولُ الله «صلى الله عليه وآله» قال: «هل بقي منكم مَنْ لم نجزه». فقالوا: غلام في الرحل، فقال رَسُولُ الله «صلى الله عليه وآله»: «أرسلوه نجزه».

فقال قيس بن عاصم: إنه لا شرف له.

قال رَسُولُ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله»: «وإن كان، فإنه وافدٌ وله حقٌّ».

فقال عمرو بن الأهمتم شعراً يريد قيس بن عاصم:

ظلمت مفترشاً هلباك تشتمني عند الرسول فلم تصدف ولم تصبِ

إنا وسؤددنا عود وسؤددكم مخلف بمكان العجب والذنب

إن تبغضونا فإن الروم أصلكم والروم لا تملك البغضاء للعرب

وكانت الجائزة لكل واحد منهم اثنا عشر أوقية ونشاً (أي نصفاً)^(١).

صورة أخرى لما حدث:

قال العسقلاني: عن ابن عباس، قال: أصابت بنو العنبر دماء في قومهم، فارتحلوا، فترلوا بأخواهم من خزاعة، فبعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» مصداً إلى خزاعة، فصدقهم، ثم صدق بني العنبر، فلما رأت بنو العنبر الصدقة قد أحرزها وثبوا فانتزعوها، فقدم على رسول الله «صلى الله عليه

(١) تاريخ مدينة دمشق ج ٤٠ ص ٣٦٠ - ٣٦٤ والمغازي للواقدي ج ٣ ص ٩٧٣ - ٩٨٠ وراجع: السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٢٠٨ والإصابة ج ١ ص ٢٤٦ و ٢٤٧ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٢٩٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٨٧ - ٢٩١ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١١٩ وراجع: وراجع: البداية والنهاية ج ٥ ص ٥٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٨٦ الطبقات الكبرى ج ٢ ص ١٦١ و ١٦٢ وإمتاع الأسعاع ج ٢ ص ٣٨ و ٣٩ وعيون الأثر ج ٢ ص ٢٣٤ - ٢٣٦.

وآله»، فقال: يا رسول الله، إن بني العنبر منعوا الصدقة.

فبعث إليهم عيينة بن حصن في سبعين ومائة، فوجد القوم خلوفاً، فاستاق تسعة رجال، وإحدى عشرة امرأة، وصبياناً.

فبلغ ذلك بني العنبر، فركب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» منهم سبعون رجلاً، منهم الأقرع بن حابس، ومنهم الأعور بن بشامة العنبري، وهو أحدثهم سناً، فلما قدموا المدينة بهش إليهم النساء والصبيان، فوثبوا على حجر النبي «صلى الله عليه وآله» وهو في قائلته، فصاحوا به: يا محمد، علام تسبى نساؤنا، ولم ننزع يدا من طاعتك؟

فخرج إليهم، فقال: اجعلوا بيني وبينكم حكماً.

فقالوا: يا رسول الله، الأعور بن بشامة.

فقال: بل سيدكم بن عمرو.

قالوا: يا رسول الله، الأعور بن بشامة.

فحكمه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فحكم أن يفدى شطر، وأن يعتق شطر^(١).

ونقول:

إن لنا مع ما تقدم وقفات هي التالية:

خزاعة لا تعين بني تميم:

إنه لا ريب في بطلان الرواية التي ذكرها الديار بكرى، من أن خزاعة

١٥٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

قد أعانت بني تميم على ما أرادوه من منع الصدقة التي جمعت، وأرادت أن ترسلها، وقد غضبت من بني تميم، وأخرجتهم عنها حينما فعلوا ما فعلوا.

إختلاف الروايات:

إن الصورة التي ذكرها العسقلاني تختلف عن تلك التي ذكرناها آنفاً، إذ هي تدّعي:

١ - أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أخذ الصدقة من خزاعة ثم من بني العنبر، بينما تذكر الرواية الأخرى: أنه لم يأخذ صدقته من بني العنبر.

٢ - إن هذه الرواية تدّعي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أرسل إليهم عيينة في مائة وسبعين رجلاً، بينما تقول الرواية الأخرى: إنه بعثه في خمسين رجلاً فقط.

٣ - هذه الرواية تقول: أخذ منهم تسعة رجال، وتقول تلك: بل أخذ منهم أحد عشر رجلاً.

٤ - هذه الرواية زعمت: أن وفدهم إلى النبي «صلى الله عليه وآله» كان مائة وسبعين رجلاً، وتلك تقول: كان وفدهم عشرة رجال، ولكنها ذكرت أسماء ثمانية منهم فقط.

وفي نص آخر: كانوا في وفد عظيم، يقال: كانوا سبعين (تسعين) أو ثمانين رجلاً^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٨٧ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١١٩ وراجع: الإستيعاب (ط دار الجيل) ج ٣ ص ١١٦٣.

٥ - إن هذه الرواية ذكرت طلبهم التحكيم، واستجابة النبي «صلى الله عليه وآله» لهم..

والرواية الأخرى ذكرت حديث الخطباء والشعراء ولم تشر إلى التحكيم بشيء.

٦ - إن هذه الرواية ذكرت: أن الحُكْمَ كان هو أن يفدى شطر، ويعتق شطر..

والرواية الأخرى ذكرت: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد رد الأسرى والسبي.

تاريخ هذه السرية:

إنه يبدو لنا: أنه لا مشكلة في اختلافهم في تاريخ هذه السرية، إذ لعل إرسال عينة إلى بني العنبر قد كان في سنة ثمان.. ثم كان مجيء وفدهم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» في سنة تسع، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» قد عاد إلى المدينة من غزوة الفتح وحينئذ لثلاث ليال بقين من ذي القعدة..

ومن الواضح: أن أحداث هذه السرية تحتاج إلى وقت طويل لعله امتد حتى كان بعضه في سنة تسع أيضاً، فهو «صلى الله عليه وآله» قد أرسل المصدق إلى خزاعة، ثم جمعوا له الصدقات، ثم اعترض بنو تميم على تسليمها لمبعوث النبي «صلى الله عليه وآله»، ثم عاد الرسول، ثم أرسل عينة بن حصن إليهم على رأس جيش، فأسر وسبي بعض رجالهم ونسائهم، ثم عاد إلى المدينة، ثم جاء وفدهم إلى النبي «صلى الله عليه وآله».

وذلك كله يستغرق وقتاً، وربما يكون ذلك أو بعضه قد حصل في شهر ذي الحجة، وبعضه الآخر قد حصل في شهر المحرم كما قلنا..
فنتج عن ذلك: أن أشار بعض المؤرخين إلى ما جرى في ذي الحجة سنة ثمان، وأشار بعضهم الآخر إلى ما جرى في المحرم، سنة تسع..

البغي الذميم:

ثم إن ما فعله بنو تميم هو من أقبح وأسوأ البغي، حيث تعاورت عليه عناوين السوء والخزي من جهات عديدة، فهو بغي ذوي القربى، بعد سبق الإحسان من المبغي عليهم، وهو بغي الضيوف اللثام على مضيفيهم الكرام، وهو بغي يقصد به مخالفة أحكام الشريعة، وتوفير مال لغير مستحقه، وحرمان أهله الحقيقيين منه، وأهله هم الفقراء والمساكين.. وهو بغي فيه عدوان على نبي بالعدوان على مبعوثه.. فأبي بغي ذميم أسوأ وأقبح من هذا؟!..

لا مبرر لخوف خزاعة:

وقد يقال: إذا كان البغاة المعتدون هم بنو تميم، فلا مبرر لخوف خزاعة من نشوء أية مشكلة لها مع النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله»، لأنها تعلم أنه لا يأخذ البريء بذنب المجرم.

وقد يجاب: بأنها ربما خافت من أن يكون مبعوث الرسول «صلى الله عليه وآله» لم يميز بني تميم عن خزاعة، ولا يدري أن الذين فعلوا ذلك هم ضيوف على خزاعة وليسوا منها، فظن أن الذين فعلوا ذلك هم طائفة من أصحاب الصدقة أنفسهم..

فيكون قد أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» بما رآه فيتغيظ النبي «صلى

الله عليه وآله» عليهم، ويعلن موقعاً سلبياً منهم، وفق ظواهر الأمور، التي كان يجب عليه أن يعامل الناس على أساسها..

فضول يثير القرف، ويلامس المساس بالشرف:

عن ابن عباس: أن بني العنبر التميميين كانوا قد أصابوا دماء في قومهم، فارتحلوا، فتركوا بأخوالهم من خزاعة^(١).. فما معنى أن يمنعوا مبعوث النبي «صلى الله عليه وآله» من قبض صدقة الخزاعيين؟!

وما هذه الجرأة على التدخل فيما لا يعنيهم، وما هذا التعدي على قرار قوم قبلوهم ضيوفاً عليهم، ومكّنوهم من العيش معهم بسلام وأمان؟!.. ألا يعتبر الإعتداء على قرار خزاعة اعتداء على الكرامة؟! وألا يعد هذا التصرف جبرية وتسلطاً على الآخرين بدون حق؟ رغم أن أولئك الآخرين متفضلون عليهم!!.. ومحسنون إليهم!!..

أم أنهم يتهمون الخزاعيين بسوء الرأي، أو بقلّة العقل، أو بالجن والخور والضعف؟!..

وهل الالتزام بأحكام الشرع والدين يعد ضعفاً، أو جبناً، أو يمكن اعتباره سوء رأي، وقلة تدبير؟!..

هذا شخّ! أم لؤم؟!:

إننا قد نتصور: أن يكون أحد من الناس شحيحاً، ولكننا لا نستطيع أن نقبل بأن يكون الشخّ هو الصفة المميزة لجماعة من الناس، من دون

(١) الإصابة ج ١ ص ٢٤٦ و (ط دار الكتب العلمية) ج ١ ص ٢٤٦.

١٦٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

استثناء، مع قبول تلك الجماعة كلها: بأن الشح صفة ذميمة، تجلب لهم العار، وتخط من قدرهم في جميع الأعصار والأمصار، ولا تجد أحداً يرضى بأن تنسب إليه مها كانت ظاهرة وراسخة فيه.

أما إذا شَحَّ إنسان بهال غيره، فذلك مما يستعصي على العقول فهمه، فكيف إذا ظهر ذلك من جماعة أو من عشيرة بكاملها؟

ولماذا أقدمت تلك الجماعة أو العشيرة على منع أخذ الصدقات من عشيرة غيرها، إلى حد أنها رضيت بمباشرة القتال، وركوب الأهوال من أجل ذلك؟! كما هو الحال بالنسبة لبني تميم حين شحوا بهال قبيلة خزاعة، الذي لا تريد أن تعطيه ترفاً وسرفاً، ولا جوداً وكرماً، وإنما انقياداً للحكم الشرعي، والواجب الإلهي، والأمر النبوي.

إننا لا نستطيع تفسير هذا الأمر إلا على أساس أن هؤلاء القوم قد بلغوا الغاية وأوفوا على النهاية في النذالة واللؤم.. وقدموا بذلك أوضح الأدلة والبراهين على أنهم أبعد الناس عن الأدب، وعن الإلتزام بفروض اللياقة، أو الشعور بالكرامة.

كما أن ما فعلوه يدل دلالة واضحة على إغراقهم في الجهل، والأعرابية، إلى حد يثير القرف والإشمئزاز..

أخذ العفو، لا كرائم الأموال:

ثم إن أول ما يطالعنا في هذه السرية هو وصية النبي «صلى الله عليه وآله» لمبعوثه على الصدقات بأن يأخذ عفو المال، وأن يتوقى كرائمه.

وهذا هو العدل والرفق. فإن أخذ ما فضل من المال، الذي يحبه

الفصل الخامس: عينية وبنو تميم ١٦١

الإنسان حياً جماً بصورة عفوية، ومن دون انتقاء كرائمه يسهل على صاحب ذلك المال بذله، ويجعله مما تطيب به النفوس، ولا تجد أي حرج في التنازل وصرف النظر عنه.

أما كرائم الأموال، التي يكون لأصحابها تعلق خاص بها، فليس من السهل التنازل عنها، ولا أن تطيب بها النفوس.

والمطلوب في العبادات - والصدقات منها - هو: أن يقطع الإنسان رابطته بالمال قربة إلى الله تعالى، والقربة بهذا المعنى لا تتحقق إذا بقيت القلوب متعلقة بالمال.

على أن بقاء هذه العلة سيكون من أسباب ظهور الحسد بين الناس. وحدوث درجة من التنافر فيما بينهم، ثم تنامي مشاعر الكراهية، وأن تتجه العلاقة نحو التوتر، والمزيد من الحساسية، لتصبح ثقيلة ومرهقة، وربما مؤذية أيضاً.

فالإخلاص في العبادة، المتمثل بإعطاء الناس صدقات أموالهم بطيب نفس، وقربة إلى الله تعالى، ورعاية سنن العدل، بإعطاء كل ذي حق حقه، ومن دون أدنى حيف على الشريك الآخر، وتحصين النفوس من مساوئ الشح، وغير ذلك - إن ذلك كله - يحتم أخذ العفو، وهو ما فضل، وتوقي كرائم الأموال، في استيفاء حقوق الفقراء والمساكين من أموال الناس..

تعهد عينية لرسول الله ﷺ :

وقد تعهد عينية بن حصن لرسول الله «صلى الله عليه وآله» تتبع آثار

١٦٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

«الذين فعلوا ما فعلوا»، ولو بلغوا يبرين^(١)، حتى آتيك بهم إن شاء الله، فترى فيهم رأيك، أو يسلموا^(٢).

ونقول:

إن هذا التعهد قد تضمن الأمور التالية:

١ - إن النبي «صلى الله عليه وآله» حين انتدب المسلمين هؤلاء المعتدين قد حصر هدف المواجهة بخصوص «الذين فعلوا ما فعلوا» دون سواهم، فلا يحق لأحد توسعة نطاق عمليات المواجهة لتشمل غير هؤلاء حتى لو كانوا من بني تميم، فضلاً عن غيرها.

٢ - إن عينة قد تعهد لرسول الله «صلى الله عليه وآله» بملاحقة الفاعلين، لا بهدف قتلهم، بل ليأتي بهم إليه «صلى الله عليه وآله»، ليرى فيهم رأيه..

٣ - إنه ليس لرأي عينة، ولا لرأي غيره فيهم أي قيمة أو أثر.

أعرابي أمير على أعراب:

وقد رأينا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يؤمّر عينة على مهاجري، ولا على أنصاري. بل أمره على خمسين رجلاً من الأعراب.

ويبدو أنه «صلى الله عليه وآله» لا يريد أن يجعل لعينة الذي كان أعرابياً جافياً، لم يستقر الإيمان في قلبه، سبيلاً على أحد من أهل الإيمان، أو من ذوي السابقة فيه. فإنه كان يعلم: أن أمثال عينة لا يراعون الآداب،

(١) يبرين: رمل معروف في ديار بني سعد بن تميم. راجع: معجم ما استعجم ص ٨٤٩.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ج ٤٠ ص ٢٦٠ و ٢٦١ والمغازي للواقدي ج ٣ ص ٩٧٤.

ولا يقيمون وزناً لمراتب الفضل في تعاملهم مع الآخرين..

أما حين يكون الذين تحت يد عيئته من أقرانه، وأشباهه في أعرايته، فإن تصرفاته تجاههم تأتي منسجمة مع توقعاتهم، ولا تسبب لهم تلك المرتبة من الأذى والإساءة، التي ستنشأ عنها لو كان المعني بها من هم أكثر وعياً، وأسمى أنفساً، وأنبلاً أخلاقاً..

هذا كله عدا أنه «صلى الله عليه وآله» لا يريد أن يعطي عيئته أي سبب من اسباب الإستطالة على الآخرين بما ربما يخلعه على نفسه من مظاهر النبل والعظمة، وبما يمنحها من امتيازات، بالاستناد إلى تولية النبي «صلى الله عليه وآله» له على فريق من أهل النصره والهجرة.

مدى وفاء عيئته بتعهداته:

وإذا نظرنا إلى النتائج التي انتهت إليها مهمة عيئته، فسرى أنها قد جاءت قاصرة عن بلوغ المدى الذي تعهد هو لرسول الله «صلى الله عليه وآله» بإبلاغها إياه، فقد تعهد أن يأتي بالذين اقترفوا ذلك الجرم ولو بلغوا بهرين.. ولكنه لم يأت إلا ببضع نساء، ونُقُير (تصغير نفر) من رجال كانوا قد تحلفوا في البيوت، فلما رأوا الجمع ولوا، فكان عدد الذين أخذوا منهم هو أحد عشر رجلاً، وإحد عشرة امرأة، وثلاثون صيباً..

أما سائر القوم فكانوا غائبين، ولم يأت بأحد منهم.

ولعل أولئك نفر الذين أخذوا من الرجال كانوا من المسنين والعجزة أيضاً، ولعلهم لم يشاركوا في منع رسول النبي «صلى الله عليه وآله» من أخذ صدقات خزاعة.

حبس الأسرى:

وعن مصير الأسرى والسبايا نقول:

إنه «صلى الله عليه وآله» لم يبادر إلى اتخاذ أي إجراء في حقهم، فهو لم يقسمهم بين المسلمين، ولا أطلق سراحهم، بل احتفظ بهم، بانتظار مجيء قومهم في طلبهم.

كما أنه حبسهم في دار امرأة، وهذا من شأنه أن يمنع من تطفل المتطفلين عليهم، وتعرض الناس لهم بما يوجب لهم أي أذى، أو مهانة، أو أي شيء يوجب التهمة.

وهذا يدل على: أنه «صلى الله عليه وآله» كان يريد أن يسهل عليهم قبول الحق، والخروج من المأزق الذي أوقعوا أنفسهم فيه، بطريقة التوجيه نحو أفضل الخيارات، التي تفتح لهم أبواب الهداية، وتدفع بهم نحو سبيل الصلاح والخير في الدنيا وفي الآخرة. وهذا ما حصل بالفعل، كما تقدم.

سوء أدب الرؤساء:

وقد أظهرت النصوص المتقدمة: أن رؤساء تلك القبيلة التي ارتكبت تلك الإساءة قد تصرفوا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» بصورة غير لائقة، ولا مقبولة، فصاروا ينادونه من وراء الحجرات: أن يا محمد، أخرج إلينا. وقد خلد الله تعالى سبحانه تصرفهم هذا في آية قرآنية إلى يوم القيامة، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١).

والذي تحسن ملاحظته هنا هو ما يلي:

١ - إنهم إنما جاؤوا في حاجة لهم، فالمفروض هو: أن يتبعوا سبيل التلطف، والرفق في التماسها، مع علمهم بأنهم لا قدرة لهم على مواجهة المسلمين، ولن يتمكنوا من أخذ حاجتهم عنوة.

٢ - إنهم إنما جاؤوا وافدين وضيوفاً، فالمفروض فيهم: أن يراعوا جانب مضيفهم، ولا يضايقوه، وأن يفسحوا له المجال ليفرغ لهم، وليتمكن من النظر فيما جاؤوا له.

٣ - إن مراعاة الأدب في الخطاب، وفي السلوك، وعدم اللجاج، من شأنه أن يهيئ النفوس للإستجابة للمطالب التي تضعف دوافع الإستجابة لها، بل الدواعي متوفرة لرفض الإستجابة.. إلا على سبيل التكرم، والتفضل في أجواء مفعمة بالرضا وبالأريحية.

ومن الواضح: أن هؤلاء القوم قد سبقت منهم إساءة قبيحة لمقام رسول الله «صلى الله عليه وآله»، تمثلت بالتعدي الوقح، والفضول السمج، والتدخل في أمر لا يعنيتهم، ولا يرتبط بهم.. حيث انتهى الأمر بإشهار السيوف لمنع مبعوث رسول الله «صلى الله عليه وآله» من استلام صدقة قبيلة خزاعة، لإيصالها إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حسبما تقدم.

٤ - ويلاحظ: أن الله تعالى قد ذكر سوء أدبهم هذا ليتعظ بهم غيرهم، وليقف الناس على مدى معاناة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ودرجة صبره وتحمله، وجليل عفوه، وكريم أخلاقه، وجميل صفاته، ليكون للناس أسوة وقدوة في ذلك كله.

٥ - وقد وصف الله تعالى الذين ينادون رسول الله «صلى الله عليه وآله»

من وراء الحجرات بأنهم: ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾..

وهذا معناه: أن من يملك العقل منهم، لا يملك القرار ما دام أن الأكثر لا يعقل، والذي يملك القرار، فإنه لا يعقل.. وتلك هي المصيبة العظمى التي كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يواجهها. فإنه مبتلى بقوم هذا واقعهم، وتلك هي حالهم.. فهم كالسلة التي ليس لها قعر، وهي مصنوعة من القصب أو من الشعر، ويراد لها أن تحمل الماء ليشربه العطاشى المجاهدون من أهل الثغر.

فإن من لا يملك عقلاً لا يملك أحد له خطاباً، ولا يعرف ما يلقي إليه إن كان خطأ أو صواباً..

ومن معجزات رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنه قد صنع من نفس هؤلاء أمة هي أهدى الأمم، وحضارة هي من أرقى الحضارات. وظهر منهم بفضل رسول الله «صلى الله عليه وآله» الكثير من العلماء، والحكماء، والعظماء.

٦ - وآخر كلمة نقولها هنا: إنه إذا كان الرؤساء لا يملكون العقل ولا الأدب، ولا الخلق الرضي، فما بالك بالأذنان والأتباع، والأكثر بعداً عن ممارسة الأمور، والأكثر استغراقاً في الجزئيات والصغائر، الذين يستضعفهم الرؤساء والأكابر..

بدلاً من الاعتذار:

وقد كنا نتوقع أن يأتي هؤلاء الرؤساء الوافدون بالاعتذارات التي تعيد لهم الاعتبار، وتخفف من قبح ما صدر منهم، وإذ بنا نراهم يبادرون

رسول الله «صلى الله عليه وآله» بإساءة الأدب معه، ثم يطلبون منه «صلى الله عليه وآله» أن يناظرهم، ويفاخرهم!! وأن يتبارى خطيبه وخطيبهم، وشاعره وشاعرهم!!

وكيف وبماذا يفاخر هؤلاء الأعراب الجفاة، والجهلاء القساة، وهم الذين اعتدوا بدون مبرر وتدخلوا فيما لا يعينهم بكل صلف ورعونة على أمر يعود لمضيفهم على النحو المخزي الذي سبق بيانه..

وبماذا يفخر هؤلاء الذين جاؤوا ليطالبوا بنسائهم ورجالهم، الذين أسروا بسبب رعونتهم وسوء فعلهم، فصاروا ينادون رسول الله «صلى الله عليه وآله» من وراء الحجرات، وهو أمر لا يصدر إلا عن أعرابي جاهل، لا يعرف شيئاً عن قواعد الأدب واللياقة..

وقد كان الأجدر بهم أن ينجلوا من أنفسهم، وأن يظهروا لرسول الله «صلى الله عليه وآله» الندم والتوبة، ثم يوسطون أهل الخير والكرم، والشهامة والشمم، عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليرضى عنهم، ويقبل منهم.

ولولا أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان أصبر الصابرين، وأحلم وأكرم العالمين، لطردهم من حضرته، وأعادهم أذلاء مقبوحين.. أو كان قبض عليهم، وقدمهم للعقاب على ما بدر منهم من سوء أدب، ومن تعدّ خسيس على رسوله إلى بني خزاعة من افتئات مضيفهم!!

ولكنه «صلى الله عليه وآله» تحمل كل هذا الأذى، وصبر عليهم، وعاملهم بالرفق واللين، وعفا عنهم، وأعاد إليهم رجالهم ونساءهم، وحفظ لهم ما فرطوا فيه، وأقالهم عثراتهم المتلاحقة، لأنه لا ينطلق في حركته ومواقفه

من رداد الفعل، ومن الإنفعالات النفسية، ولا من المصالح الشخصية، ولا من منطلق الرغبة في مواجهة المعتدي بما يستحقه من القصاص والعقوبة، وإنما من واجبه الإلهي، وفي دائرة مهمته كنبى ورسول.

والأهم من ذلك كله، من خلقه الرضى، وإحساسه، وميزاته وخصائصه التي جعلت نفسه تذهب حشرات على الناس، حتى وهم يجاربونه، ويسعون في سفك دمه، ودم أهل بيته وأصحابه.. فإن كل همه كان منصباً على إنقاذهم من حمأة الجهالة، ومن التيه والضلالة، وأن يغمر أرواحهم، وكل وجودهم نور الإسلام، ويعيشوا روحانيته، وقيمه، ويتخلقوا بأخلاق أهل الإيمان.. وهذا هو ما يرضيه، ويسعد به «صلى الله عليه وآله»..

الأخلاق تعطي للعقل دوره:

ولعل هناك من يتساءل عن السبب الذي يكمن وراء اقتصار الآيات الكريمة في ملامتها لهؤلاء الناس على خصوص ندائهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» من وراء الحجرات، مع انه امر يرتبط بشكليات السلوك، والآداب العامة، التي لا ترقى إلى رجة استباحة سمعة من يتخلف عنها، أو تسجيل ما يوجب له العار إلى يوم القيامة، مع أن جرمهم لا يقتصر على هذا فقد منعوا تحت طائلة التهديد بالقتل من إيصال الحق لأهله كما تقدم، بل يكفيهم سوءاً وشرأ أنهم لا يزالون يتخذون سبيل الشرك والضلال..

ويمكن ان يحاج: بأن مسألة الأخلاق والآداب في غاية الأهمية، وهي حساسة جداً وأساسية في حياة البشر، وفي تعاطيهم مع القضايا، وفي وعيهم لأسبابها، ولآثارها، وتلمس ما يرتبط بها، أو ينشأ عنها..

بل إن لها دوراً في اختيارات الإنسان، وفي حصوله على السكينة والرضا بقضايا الإيمان، وفي تفاعله معها، والتأثر بها.

كما أنها تؤثر بشكل قوي في بعث العقول وإيقاظها من سباتها، لتتولى هي هداية الإنسان في حركته في الحياة، على أساس من الإدراك والوعي، المعتمد على التدبر والتأمل..

ولأجل ذلك ربط تعالى بين ندائهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» من وراء الحجرات، وبين العقل، الذي به يزن الإنسان المتوازن أموره، ويأخذ بمشورته وبأحكامه في الإقدام والإحجام..

كما ويلاحظ: أن التعبير في الآية قد جاء بصيغة «يعقلون»، التي تشير إلى الصدور والفعل. ولم يقل: إنهم لا عقول لهم، أي أنهم لا يستعملون عقولهم.

بل إن الإبتلاء بوحدة من العاهات الأخلاقية قد يؤدي بالإنسان إلى إخراجه عن مقتضيات الفطرة وأحكام العقل، ثم إلى الإمعان في الإبتعاد والانحراف عنها، حيث قد يستمر به هذا الانحراف إلى أن يورده المهالك، وينتهي به إلى أن يصبح فرعونياً أو إبليسياً في فكره، ونظرته، وفي فهمه للقضايا، وفي سلوكياته ومواقفه..

وهذا ما يجعلنا نفهم بعمق سر اهتمام القرآن بالآداب والأخلاق المستندة إلى المفاهيم الحقة، وإلى القيم والمثل العليا..

وخلاصة القول: إن الالتزام بالأدب إنما يكون انطلاقاً من مثل وقيم تفرضها وتقضيها، وهذا الالتزام يحتاج إلى الوقوف على حقائق تلك القيم ودقائقها ومعرفة حدودها وقيودها. وهو إنما يكون بتحريك العقل وإعطائه

١٧٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

دوره وموقعه، والالتزام بأحكامه.. فإذا بلغ الإنسان هذه المرتبة، فإن أبواب الخير والفلاح ستفتح أمامه على مصاريعها في كل مجالات وشؤون الحياة، في الدين والدنيا. وتكون له السعادة الأبدية والخلود في النعيم.

مفاخر بني تميم:

ولسنا بحاجة إلى المقارنة، ولا إلى شرح ما فخر به التميميون، وما أجابهم به ثابت بن قيس.. فإن ما فخر به خطيبهم هو كثرة المال، وكثرة العدد، والزعامة.

أما خطيب الأنصار، الذي انتدبه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقد اتنى على الله بما هو أهله، وحده على أن اصطفى لهم رسولاً، متصفاً بأحمد الأوصاف وأسناها، وأفضلها، وأعلاها.

ثم اعتر بإيماؤه وتصديقه وإجابته دعوته، وبنصرته له.. ولم يذكر كثرة في الأموال ولا في العدد، ولا افتخر بزعامة ولا رئاسة، ثم تعهد بمجاهدة أهل الكفر والطغيان، وختم حديثه بالاستغفار لنفسه وللمؤمنين..

لماذا ثابت بن قيس؟!

ويلاحظ: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يطلب من رجل مهاجري أن يجيب خطيب بني تميم، ليس لأنه «صلى الله عليه وآله» لا يريد أن يرفع من شأن بني تميم حين يرون أنفسهم، ويраهم الناس مقابل رجالات قريش، فإنه «صلى الله عليه وآله» لا يتعامل بهذه الطريقة، حتى لو كان وفد بني تميم يرغب في أن يرى نفسه ويراه الناس مقابل أعظم رجل خلقه الله

الفصل الخامس: عينية وبنو تميم ١٧١

تعالى، وهو واسطة العقد في جميع مخلوقاته، فضلاً عن قريش وبنو هاشم، وبنو عبد المطلب. وهو الرجل الذي بهر الدنيا والعرب بالانتصارات الإعجازية التي حققها على العرب وتجاوزتهم إلى الروم، وهو النبي الذي ظهرت معجزاته، وسطعت آياته، وأعجزت العقول دلائله وبياناته.

وإنما الذي دعا النبي «صلى الله عليه وآله» إلى انتداب ذلك الأنصاري للإجابة على ترهات بني تميم، هو أنه أراد أن يظهر لهم بالفعل قبل القول: أنه لا يريد أن يفاخرهم بقومه وعشيرته، على الرغم من أن أحداً لا يتوهم أن لبني تميم شأنًا يذكر معهم، وما قياس بني تميم بهم، إلا كقياس حبة من خردل بالنسبة للطود العظيم!!

إنه يريد أن يجعل من استجابته هذه سبيل هداية لهم، وباب سداد ورشاد، ينقذهم مما هم فيه من جهالات وضلالات، ويعرفهم: أن العزة إنما هي لله، ومن الله، وأن الفخر إنما هو بالإيمان به، وبالإلتزام بطاعته، واجتناب معصيته، وبالجهاد في سبيله.

ولذلك اختار رجلاً من الأنصار ليجيب خطيبهم.

ومن جهة أخرى، فإنهم إذا كانوا يسيئون إلى من يضيفهم، وهم خزاعة، ويتسببون بكل هذا الذي يجري، حتى تضطر خزاعة إلى طردهم، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» الذي كان ينزل على الأنصار، قد رفع من شأن مضيفيه حتى جعلهم ملوكاً على الناس كما أعلنه خطيبه الأنصاري، وأصبح الأنصار يدافعون عنه، ويضحون بأنفسهم وبأبنائهم من أجله وفي سبيله، ثم هؤلاء هم يفاخرون عنه، ويكون جل بل كل فخرهم به ومنه..

فهل أدرك التميميون هذه الحقيقة؟! أم أن أكثرهم كانت لهم قلوب لا

يعقلون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها؟! وهل يستطيع بنو تميم أن يجدوا حتى في حلفائهم وذوي رحمهم، من خزاعة أو غيرها من يدافع ويدفع عنهم، بمستوى دفاع ودفع الأنصار عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! أم أن ذوي رحمهم قد نبذوهم، وطردهم وأخرجوهم، من أجل نفس هذا الذي جاء إليه وفد بني تميم، لينظره ويفاخره؟!

ابن الأهتم، وابن عاصم:

وقد ظهر مصداق ما ذكرناه آنفاً في نفس مجلس المفاخرة الذي أرادوا في محضر رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فيما جرى بين عمرو بن الأهتم، وقيس بن عاصم.. حينما أراد قيس أن يصرف النبي «صلى الله عليه وآله» عن إشراك ابن الأهتم في الجائزة التي أعطاها «صلى الله عليه وآله» لوفد بني تميم، بدعوى: أن ابن الأهتم صغير السن لا شرف له.. فأصر النبي «صلى الله عليه وآله» على إجازته وقال: «فإنه وافد، وله الحق»، وأعطاه مثل ما أعطى القوم اثنتي عشرة أوقية ونصفاً.

لكن الواقدي قال: إنه أعطاه خمس أواق فقط، لحداثة سنه^(١).

وروى البيهقي عن ابن عباس ما جرى بين الرجلين، فقال: «جلس إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» قيس بن عاصم، والزبرقان بن بدر، وعمرو بن الأهتم التميميون. ففخر الزبرقان وقال: يا رسول الله، أنا سيد تميم،

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٩١ وراجع: البداية والنهاية ج ٥ ص ٥٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٨٦.

الفصل الخامس: عينية وبنو تميم ١٧٣
والمطاع فيهم، والمجانب منهم، أخذ لهم بحقوقهم، وأمنعهم من الظلم،
وهذا يعلم ذلك. وأشار إلى عمرو بن الأهتم.
فقال عمرو بن الأهتم: إنه لشديد العارضة، مانع لجانبه، مطاع في أذانيه.
فقال الزبرقان: والله يا رسول الله، لقد علم مني غير ما قال، وما منعه
أن يتكلم إلا الحسد.

فقال عمرو بن الأهتم: «أنا أحسبك؟! فوالله إنك للثيم الخال، حديث
المال، أحق الولد، مبغض في العشيرة.

والله يا رسول الله، لقد صدقت فيما قلت أولاً وما كذبت فيما قلت
آخرًا، ولكني رجل إذا رضيت قلت أحسن ما علمت، وإذا غضبت قلت
أقبح ما وجدت، ولقد صدقت في الأولى والأخرى جميعاً».

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إن من البيان لسحراً»^(١).

فإذا كان رؤساء الوفد يسعون لمنع من جاؤوا يفاخرونه من إجازة
بعض رفقاتهم ببعض المال حسداً منهم لهم، وضناً بهال غيرهم، أو خشية
من أن يعد ذلك امتيازاً لذلك البعض، يرفعه بين الناس بحيث يلحقه بهم..
فهل بعد هذا يمكن أن يتوقع هؤلاء من إخوانهم الإيثار والفداء،
والتضحية بالنفس والمال لدفع الأسواء عنهم؟! أم أن عليهم أن يتوقعوا
من نفس رؤسائهم أن يقدفوا بهم في أتون المكاره والأسواء، لينعموا هم

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٩١ وراجع: الإستيعاب (ط دار الجليل) ج ٣
ص ١١٦٣ والتمهيد لابن عبد البر ج ٥ ص ١٧٢ وأسد الغابة ج ٤ ص ٨٧
والوفاي بالوفيات ج ١٤ ص ١١٧ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٢٢٠.

١٧٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦
بالجاء والمال وبالراحة، وليحصلوا على المنافع والمناصب من خلال ذلك.

الله يؤيد حسان ما دافع عن نبيه:

وقد ورد في الرواية: أنه «صلى الله عليه وآله» قال: «إن الله يؤيد حسان بروح القدس، ما دافع عن نبيه.

أو قال له: لا تزال - يا حسان - مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك»^(١).
ولسنا بحاجة إلى تذكير القارئ بأن هذا القيد الوارد في دعاء النبي «صلى الله عليه وآله» لحسان، يشير إلى علمه بأن حساناً سوف ينقطع عن هذا النصر، ويتحول عن نصرته النبي «صلى الله عليه وآله» إلى نصرته بني أمية، وغيرهم، حين يؤيد غاصبي حق علي «عليه السلام»، ويخالف أوامر الله ورسوله فيه، ويعرض نفسه لدعاء النبي «صلى الله عليه وآله» عليه بالخذلان، في قوله «صلى الله عليه وآله» في حديث الغدير: «وانصر من نصره واخذل من خذله».

وقد نظم ذلك الحديث حسان شعراً، فقال:

وقال: فمن مولاكم ووليكم فقالوا: ولم يبدوا هناك التعاديا
إلهك مولانا وأنت ولىنا ولن تجدن منا لك اليوم عاصيا

(١) راجع: الإرشاد للمفيد ج ١ ص ١٧٧ وخصائص الأئمة للشریف الرضي ص ٤٢
والفصول المختارة للشریف المرتضى ص ٤٩ و ٢٩١ والصوارم المهرقة للتستري
ص ٣٣٦ والبحار ج ١٠ ص ٢٩٣ وج ٢١ ص ٣٨٨ وج ٢٩ ص ٦٩ وج ٣٧
ص ١٦٦ والغدير ج ٢ ص ٧ و ٣٤ و ٣٧ ومجمع البيان ج ٨ ص ٢٨٧ والتفسير
الصافي ج ٤ ص ٢٦٠ وتفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٣٩٣ ومصادر كثيرة أخرى.

فقال له: قم يا علي فإني رضىتكم من بعدى إماماً وهادياً
فمن كنت مولاه فهذا ولية فكونوا له أنصار صدق موالياً
هناك دعا اللهم والٍ وليه وكن للذي عادى علياً معادياً^(١)
هذا.. وقد قال الشيخ المفيد «رحمه الله»: «وإنما اشترط رسول الله «صلى
الله عليه وآله» في الدعاء له، لعلمه بعاقبة أمره في الخلاف، ولو علم سلامته في
مستقبل الأحوال لدعا له على الإطلاق. ومثل ذلك: ما اشترط الله تعالى في
مدح أزواج النبي «صلى الله عليه وآله»، ولم يمدحهن بغير اشتراط، لعلمه أن
منهن من يتغير بعد الحال عن الصلاح الذي يستحق عليه المدح والإكرام،
فقال عز قائلاً: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾^(٢).

ولم يجعلهن في ذلك حسب ما جعل أهل بيت النبي «صلى الله عليه
وآله» في محل الإكرام والمدحة، حيث بذلوا قوتهم للمسكين واليتيم
والأسير، فأنزل سبحانه وتعالى في علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن
والحسين «عليهم السلام»، وقد آثروا على أنفسهم مع الخصاصة التي كانت
بهم، فقال جل قائلاً: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا
نُطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا

(١) الإرشاد للمفيد ج ١ ص ١٧٧ والاقتصاد للشيخ الطوسي ص ٢٢١ وخصائص
الأئمة للشريف الرضي ص ٤٢ والفصول المختارة للشريف المرتضى ص ٢٩١
وكتاب سليم بن قيس (تحقيق محمد باقر الأنصاري) ص ٣٥٦ وأقسام المولى
للشيخ المفيد ص ٣٥.

(٢) الآية ٣٢ من سورة الأحزاب.

١٧٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

عَبُوساً قَمْطَرِيراً فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً وَجَزَاهُمْ
بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا^(١)، فقطع لهم بالجزاء، ولم يشترط لهم كما اشترط
لغيرهم، لعلمه باختلاف الأحوال على ما بيناه^(٢).

ومما يشير إلى انحراف حسان قول المسعودي: «كان حسان عثمانياً
منحرفاً عن غيره. وكان إليه محسناً، وهو المتوعد للأنصار في قوله:

يا ليت شعري، وليت الطير يخبرني ما كان شأن علي وابن عفانا

لتسمعن وشيكاً في ديارهم الله أكبر يا ثارات عثمان^(٣)»

وقال ابن الأثير: «بايعت الأنصار علياً عليه السلام» إلا نفيراً يسيراً،
منهم حسان بن ثابت.. وقال رجل لعبد الله بن حسن: كيف أبى هؤلاء
بيعة علي وكانوا عثمانية؟!

قال: أما حسان فكان شاعراً لا يبالي ما يصنع؟!^(٤)

الشاعران يفتخران:

وقد افتخر شاعر بني تميم، وهو الزبرقان بن بدر بالإنتهاب عنوة من

(١) الآيات ٨ - ١١ من سورة هل أتى.

(٢) الإرشاد للمفيد ج ١ ص ١٧٧ و ١٧٨ والبحار ج ٢١ ص ٣٨٨ وأعيان الشيعة
ج ١ ص ٤٢٠.

(٣) مروج الذهب ج ٢ ص ٣٤٧.

(٤) تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٤٢٥ والكامل في التاريخ ج ٣ ص ١٩١ وموسوعة
الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ للريشهري
ج ٤ ص ٨٤ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٤٤٤.

الأحياء، وبنحر الجزور الكوماء، ويأطعام الطعام والأضياف والزلاء..
 أما حسان فافتخر برسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبالعفاف الذي ذكره
 الوحي الإلهي، وبالقناعة حين يثور الطمع المردى، وبالتقوى، وبالشجاعة في
 ساحات الوغى، من دون أن يفرحهم النصر، ومن دون أن يجزعهم أو أن
 يسقطهم عند المصاب، وبأنهم لا يدبون إلى المغلوبيين كما يدب المفترس إلى فريسته
 ليمزقها، ونحو ذلك من معان، تشير إلى عظمة الإيثار، وسمو نفوس المؤمنين
 والصالحين، وإلى الخصال الحميدة، التي تجذرت ونمت في تلك النفوس..
 وقد كان لا بد لهم أن يدركوا، ثم أن يقرؤا بهذا التفاوت الظاهر بين ما قاله
 خطيبهم وشاعرهم، وما قاله خطيب رسول الله «صلى الله عليه وآله» وشاعره.
 وهذا ما حصل بالفعل.

حديث التحكيم:

١ - وإن صح حديث التحكيم في السبايا والأسرى، فإننا نقول: إن من
 الأمور التي تزيد في وضوح سوء حال هؤلاء القوم: أن رسول الله «صلى الله
 عليه وآله» يريد تحكيم واحد منهم في الأسرى والسبايا.. فيبادرون إلى
 الرفض، ويقترحون عليه غيره.. وهذه إساءة أخرى تضاف إلى جملة إساءاتهم.
 ولعل سبب رفضهم هذا هو: أنهم لا يريدون الإقرار بزعامه ذلك
 الذي اقترحه «صلى الله عليه وآله»، أو لا يريدون تكريس زعامته عليهم،
 رغم أنه منهم!! ورغم أن الأمر يتعلق بمصير أسراهم وسباياهم.
 وهل يعلمون أن النبي «صلى الله عليه وآله» لو ألغى هذا التحكيم،
 غضباً من تصرفهم السيء هذا، فإن نساءهم سوف تتعرض لخطر

الإسترقاق، وهو الأمر الذي يدعون أنهم لا يرضون به لأنفسهم، وتأباه لهم غيرتهم وكرامتهم..

فلماذا لم يقدّروا للنبي «صلى الله عليه وآله» حلمه عنهم، وتفضله عليهم؟! بوضعه مصير رجالهم ونسائهم في يد رجل منهم، لا من قبيلة أخرى. بل إن نفس أن يبادر النبي «صلى الله عليه وآله» لإخراج هذا الأمر من يده ويرضى بالتحكيم في هذا الأمر هو فضيلة عظيمة، ومنّة، وكرامة لا مثيل لها، فإن أحداً لا يرضى مهما ألخوا عليه - وهو منتصر - بأن يجعل القرار في الأسرى والسبايا الذي هم بيده إلى غيره.. ولا سيما إذا كان هو الذي اعتدي عليه من قبل أولئك الأسرى، وقبائلهم أنفسهم..

فما بالك بمن يبادر هو إلى ذلك، بل هو يبادر إلى تحكيم نفس المعتدين عليه؟!!

والأعظم والأهم من ذلك كله، أن يكون هذا الذي رضوا به حكماً، قد حكم بأن يفدى شطر وأن يعتق شطر..

ولا ندري لماذا حكم على النبي «صلى الله عليه وآله» بأن يعتق ذلك الشطر؟! ألا يعد هذا الحكم مجحفاً وغير منصف.

ومع غض النظر عن ذلك كله، فإن هذا الحكم يمثل إقراراً من زعيم وحاكم اختاروه هم أنفسهم، بأن هؤلاء الناس رُقُّ لرسول الله «صلى الله عليه وآله».. وهو بالتالي إقرار بالعدوان واعتراف بالظلم والطغيان، فلماذا يريد هؤلاء الظالمون والمعتدون أن يفاخروا من ظلموه واعتدوا عليه، وهو يعاملهم بهذا الحلم والكرم والإباء والشمم، وذلك حين تَوَجَّ ذلك كله القرار النبوي برد الأسرى والسبي، والعفو عنهم من دون مقابل كما أوضحته الرواية الأخرى..

عينة في وفد بني تميم:

وبعد.. فإن النصوص التاريخية قد صرحت: بأن عينة بن حصن، والأقرع بن حابس كانا في وفد بني تميم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(١). مع أن عينة هو الذي تبرع للنبي «صلى الله عليه وآله» بالإتيان بهم أسرى إليه، وقد قام بذلك فعلاً.

فما معنى: أن ينضم إلى وفدهم، ويأتي معهم؟! ألا يدل ذلك على: أنه كان لا يزال على شركه، وعلى قلة وعيه للأمر، وانتهازيته، وعلى أعرابيته، وها قد حن إلى إلفه، وسعى إليهم بظلفه؟!

غرور بني تميم:

وقد قال بنو تميم لرسول الله «صلى الله عليه وآله» حين خرج إليهم: «إن مدحنا لزين، وإن ذمنا لشين، نحن أكرم العرب». فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «كذبتُم، بل مدحة الله عز وجل الزين، وذمه الشين، وأكرم منكم يوسف بن يعقوب»^(٢).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٨٧ عن ابن مردويه، وابن إسحاق. وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج ١٠ ص ٢٧٢ وتاريخ المدينة لابن شبة ج ٢ ص ٥٢٧ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٧٧ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٥١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٧٩.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٨٧ والدر المنثور ج ٦ ص ٨٧ عن ابن مردويه، وابن إسحاق. وراجع: تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ج ٣ ص ٣٣١ وتفسير الألوسي ج ٢٦ ص ١٤١ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢١٧.

ويظهر من رواية أخرى مروية عن الأقرع بن حابس، والبراء بن عازب: أن الأقرع بن حابس نفسه هو الذي قال ذلك، فقد روي: أنه جاء إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: يا محمد، اخرج إلينا. فلم يجبه.

فقال: يا محمد، إن حمدي لزين، وإن ذمي لشين.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ذاك الله عز وجل».

فقالوا: إنا أتيناك لنفاخرك، فأذن لشاعرنا وخطيبنا.

قال: قد أذنت لخطيبكم، فليقل الخ...^(١).

ونقول:

١ - يتجلى غرور هؤلاء القوم بما لا مزيد عليه، حين يضعون أنفسهم في مقام لا يجرؤ أحد على وضع نفسه فيه. فلو سلمنا - وإن كان هذا التسليم لا مبرر له - أن دافعهم للمدح أو الذم ليس هو الهوى والعصية، والرعوننة

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٨٧ و ٢٨٨ عن أحمد عن الأقرع، عن ابن جرير بسند جيد، وأبي القاسم البغوي، والطبراني بسند صحيح، والترمذي وحسنه، وابن أبي حاتم، وابن المنذر عن البراء ابن عازب، والدر المشور ج ٦ ص ٨٦ عن أكثر من تقدم. وراجع: مجمع الزوائد ج ٧ ص ١٠٨ وتحفة الأحوذ ج ٩ ص ١٠٩ وكنز العمال ج ٣ ص ٨١٠ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢٢٣ ولباب النقول للسيوطي (ط دار إحياء العلوم) ص ١٩٦ و (ط دار الكتب العلمية) ص ١٧٩ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٢٩٤ وتاريخ مدينة دمشق ج ٩ ص ١٨٤ و ١٨٥ وج ٤٠ ص ٣٥٨ والإصابة (ط دار الكتب العلمية) ج ١ ص ٢٥٣ والوافي بالوفيات ج ١ ص ٢٨٠ والبداية والنهاية لابن كثير ج ٥ ص ٥٥ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٤١ وج ٣ ص ٤٧١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٨٦.

وما إلى ذلك، وقبلنا جدلاً أنهم يتحرون الدقة والأمانة والصدق فيما يقولون، فإن الكل يعلم أنهم حين يمدحون أو يذمون، إنما يذكرون ما ظهر لهم.. ونحن نعلم علم اليقين أنهم لا يملكون القدرة على كشف الحقائق، واستكناه بواطن الأمور، بل إن الله وحده هو العالم بالسرائر، والمطلع على ما في الضمائر وقد يطلع على ذلك أنبياءه.. فكل مدح أو ذم من سواء يبقى في دائرة احتمالات الصدق والكذب، أو الخطأ والصواب، أو التمام والنقص.. فلا يمكن أن يكون زيناً، ولا شيناً.

أما حين يأتي المدح أو الذم من علام الغيوب، والواقف على ما في الضمائر والقلوب، والخالق والمدير والمهيمن والمسيطر، فلا ريب في أنه هو الحق، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا بد أن يكون مدحه زيناً، وذمه شيناً.

٢ - أما قوله «صلى الله عليه وآله»: «وأكرم منكم يوسف بن يعقوب» إن صح أنه قوله.. فلربما يكون مقصوده إلزامهم بما يلزمون به أنفسهم، والإحتجاج عليهم بمن لا سبيل لهم إلى إنكاره، مما أخذوه عن أهل الكتاب الذين كانوا يمثلون المرجعية لهم، وعن يوسف «عليه السلام»، فإنه أكرم منهم، على الرغم مما ينسب إليه أهل الكتاب من ترهات وأباطيل، فيما يرتبط بعفته، ووفائه، وحفظه للعزیز في عرضه، إلى غير ذلك مما قد يتظاهر بنو تميم بالتزهد عنه.. مع اعترافهم بنبوته.

وتسقط بذلك دعواهم الفضل والكرامة على سائر العرب. وهم يرون أن العرب أكرم الأمم.

بنو تميم، والأعور الدجال:

قال ابن إسحاق عن وفد بني تميم: وفيهم نزل من القرآن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُتَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١).

وسئل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: «هم جفأة بني تميم، لولا أنهم من أشد الناس قتالاً للأعور الدجال لدعوت الله عليهم أن يهلكهم»^(٢). ونقول:

إن هذه الرواية لم ترد في أي مصدر يتكفل برواية حديث أهل بيت العصمة، وإذا راجعنا تاريخ بني تميم، فسنجد أنهم كانوا بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» - في الأكثر - أعداء لعلي «عليه السلام»، حتى إن غالبية الخوارج كانوا من بني تميم^(٣).

ويستظهر الجاحظ: أن بني صريم - وهم من بني تميم - كانوا من الخوارج أيضاً^(٤).

وكل ذلك يجعلنا نظن - أو نحتمل - أن هذه الرواية قد وضعت مكافأة لبني تميم على بغضهم لعلي «عليه السلام»، وشكراً لهم على محاربتهم إياه. فليلاحظ ذلك.

(١) الآية ٤ من سورة الحجرات.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٩١.

(٣) فجر الإسلام ص ٢٥٦ وقضايا في التاريخ الإسلامي ص ٣٧ و ٦٨ و ٧١ عن تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٥١٦ وعن العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٣ ص ١٤٥ وضحي الإسلام ج ٣ ص ٣٣٢ والخوارج والشيعة ص ٧٤ وتاريخ الإسلام السياسي ج ١ ص ٣٩٧ ودائرة المعارف الإسلامية ج ٨ ص ٤٧٠.

(٤) البيان والتبيين ج ١ ص ٢٠٦.

الفصل السادس:

ترقيع الدلاء بكتاب رسول الله ﷺ

در بیان احوال و احوال

در بیان احوال و احوال

ترقيع الدلاء بكتاب الرسول ﷺ:

وقد ذكرت عدة سرايا أرسلت إلى جماعات، أو أشخاص، كتب إليهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» كتباً يدعوهم فيها إلى الإسلام، فرقعوا دلاءهم بكتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» استهانة منهم به، وسوء خلق وأدب لا مبرر له..

واللافت هنا: أن هذه الأحداث المتشابهة في هذا الأمر - أعني ترقيع الدلاء - قد جاءت متقاربة من حيث الزمان، فهل هذا يشير إلى أن بعض الرواة قد وهموا في تحديد من فعل ذلك؟! أو أنهم تعمدوا أن يلقوا التهمة على هذا أو ذاك، ليجنبوا الفاعل الحقيقي هذا العار؟!.. أو أن هناك من فعل هذا الأمر أولاً، ثم تناقله الناس، فراق لبعض الفئات أن تقتدي بمن سبقها إلى هذا الأمر الشنيع؟!..

إن ذلك كله ممكن، ولا مجال لاستبعاده بصورة قاطعة، فإن له نظائر في التاريخ.

وحيث إننا غير قادرين على الحسم في هذا الأمر، فلا بد لنا من اعتماد الاحتمال الأخير، الذي يدعونا للأخذ بهذه الروايات حتى يظهر لنا ما يردعنا عنها، أو يقوي الشبهة في صحة بعض أطرافها..

وقد جمعنا ما ظهر لنا منها في صعيد واحد، لأن للتفريق آفاته ومتاعبه، ومشكلاته، التي ربما يؤثر بعضها على ذهنية القارئ الكريم..
فإلى ما يلي من مطالب.. وعلى الله نتوكل، ومنه نستمد القوة والعون،
والسداد والرشاد..

بعث الضحاك الكلابي إلى القرطاء:

قال محمد بن عمر، وابن سعد: سنة تسع^(١).

وقال الحاكم: في آخر سنة ثمان^(٢).

وقال محمد بن عمر الأسلمي: في صفر^(٣).

وقال ابن سعد: في ربيع الأول وجرى عليه في المورد والإشارة^(٤).

قالوا: بعث رسول الله صلى «صلى الله عليه وآله» جيشاً إلى القرطاء،
(وهم بطن من بكر)،^(٥) عليهم الضحاك بن سفيان الكلابي، ومعه الأصيد
بن سلمة بن قرط، فلقوهم بالزُّج، زج لاوة بنجد، (موضع بناحية

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢١٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٦٢

وعيون الأثر ج ٢ ص ٢٣٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٦٢٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢١٥ و ٢١٦.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢١٥ و ٢١٦.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢١٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٦٢ وإمتاع

الأسماع ج ٢ ص ٤٣ وعيون الأثر ج ٢ ص ٢٣٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢

ص ٦٢٣ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٢٠ عن المواهب اللدنية، والإصابة ج ١ ص ٥٣.

(٥) شرح المواهب اللدنية ج ٣ ص ٥٧.

ضرية^(١)، فدعوهم إلى الإسلام، فأبوا، فقاتلوهم، فهزموهم. فلحق الأصيد أباه سلمة، وسلمة على فرس له في غدير بالزُّج، فدعا أباه إلى الإسلام وأعطاه الأمان، فسبه وسب دينه، فضرب الأصيد عرقوبي فرس أبيه، فلما وقع الفرس على عرقوبيه ارتكز سلمة على راحه في الماء، ثم استمسك به حتى جاءه أحدهم، فقتل سلمة ولم يقتله ولده^(٢). وقد ذكر ابن حبان: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كتب إلى القرطاء، فرقعوا دلوهم بكتابه^(٣).

وفي شواهد النبوة: بعث النبي «صلى الله عليه وآله» سرية إلى بني كلاب، وكتب إليهم في رق، فلم ينقادوا، وغسلوا الخط عن الرق، وخاطوه تحت دلوهم.

فلما بلغ النبي «صلى الله عليه وآله» الخبر قال: ما لهم! أذهب الله عقولهم!! فلذا لا يوجد من بني كلاب إلا مختل العقل، ومختلط الكلام، وبعضهم بحيث لا يفهم كلامه^(٤).

وعند البلاذري: أنه أرسل الضحاك بن سفيان الكلابي في شهر ربيع الأول سنة تسع إلى قوم من بني كلاب، كتب إليهم «صلى الله عليه وآله»،

(١) وفاء الوفاء ج ٢ ص ٣١٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢١٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٦٣ و

٣٥٦ وعيون الأثر ج ٢ ص ٢٣٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٦٢٣.

(٣) الثقات ج ٢ ص ٩١.

(٤) تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٢٠ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٢٢٢.

فرقعوها بكتابه دلوهم، فأوقع بهم^(١).

وقال ابن حجر في ترجمة سمعان بن عمرو الكلابي: «ذكر أبو الحسن المدائني في كتاب رسل رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأسانيده، قالوا: وبعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى سمعان بن عمرو مع عبد الله بن عوسجة، فرقع بكتابه دلوه.

ف قيل لهم: بنو المرقع. ثم أسلم سمعان، وقد قدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأنشده:

أقلني كما أمنت ورداً ولم أكن بأسوأ ذنباً إذ أتيتك من ورد
يشير بذلك إلى ورد بن مرداس^(٢).

جفينة يرقع دلوه أيضاً:

وروا أيضاً: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كتب إلى جفينة النهدي، أو الجهنني، أو الغساني كتاباً فرقع به دلوه، فقالت له ابنته: عمدت إلى كتاب سيد العرب، فرقعت به دلوك؟! فهرب فأخذ كل قليل وكثير هو له، ثم جاء بعد مسلماً^(٣).

(١) أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٨٢.

(٢) الإصابة ج ٢ ص ٨٠ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٣ ص ١٥٣ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج ١ ق ١ ص ٣١ و (ط دار صادر) ج ١ ص ٢٨٠ ورسالات نبوية ص ٢٢ ومجموعة الوثائق السياسية ص ٢٧٦ ومكاتيب الرسول ج ١ ص ١٩٥. وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٣٦٤.

(٣) مكاتيب الرسول ج ١ ص ٢٠٣ وقال في هامشه: راجع: البحار ١٩ ص ١٦٦ =

سرية إلى رعية السحيمي:

وروي أيضاً بسند جيد: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كتب إلى رعية السحيمي كتاباً في أديم أحر، فأخذ كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» فرقع به دلوه.

فبعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» سرية، فلم يدعوا له سارحة ولا رائحة، ولا أهلاً ولا مالاً إلا أخذوه، وانفلت عرياناً على فرس له، ليس عليه سترة حتى انتهى إلى ابنته، وهي متزوجة في بني هلال، وقد أسلمت وأسلم أهلها. وكان مجلس القوم بفناء بيتها، فدار حتى دخل عليها من وراء البيت. فلما رآته ألفت عليه ثوباً وقالت: مالك؟

قال: «كل الشر نزل بأبيك، ما ترك له رائحة ولا سارحة ولا أهل ولا مال. قالت: دعيت إلى الإسلام؟

قال: أين بعلك؟

قالت: في الإبل.

فأتاه. قال: مالك؟

قال: كل الشر نزل بي، ما تركت لي رائحة ولا سارحة، ولا أهل ولا

= والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ١ ص ٢٦١ والإصابة ج ١ ص ٢٤١ / ١١٧٥
 وأسد الغابة ج ١ ص ٢٩١ وكتر العمال ج ١٥ ص ٢٩٥ عن أبي نعيم، ورسالات
 نبوية ص ١٥ والأُمالي للشيخ الطوسي ج ١ ص ٣٩٧ ومجموعة الوثائق السياسية
 ١٧٤ / ٩٢ عن قسم من المصادر المتقدمة، وقال: قابل الجرح والتعديل لأبي حاتم
 الرازي ج ١ ص ٢١ الرقم (٢٢٦٣) وراجع: المعجم الكبير للطبراني ج ٢ ص ٣٢٥
 ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٠٨ والكامل لابن عدي ج ٤ ص ١٤٥٧.

مال، وأنا أريد محمداً قبل أن يقسم أهلي ومالي.

قال: فخذ راحلتي برحلتها.

قال: لا حاجة لي فيها.

قال: فخذ قعود الراعي. وزوده إداوة من ماء.

قال: وعليه ثوب إذا غطى به وجهه خرجت استه، وإذا غطى استه خرج وجهه، وهو يكره أن يعرف، حتى انتهى إلى المدينة، فعقل راحلته. ثم أتى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فكان بحذائه حيث يقبل. فلما صلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» الصبح قال: يا رسول الله، ابسط يدك أبياعك، فبسطها. فلما أراد أن يضرب عليها قبضها إليه رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قال: ففعل ذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثلاثاً ويفعله.

فلما كانت الثالثة قال: «من أنت؟»

قال: أنا رعية السحيمي.

قال: فتناول رسول الله «صلى الله عليه وآله» عضده، ثم رفعه، ثم قال: «يا معشر المسلمين، هذا رعية السحيمي الذي بعثت إليه كتابي فرقع به دلوه». فأخذ يتضرع إليه.

قلت: يا رسول الله، أهلي ومالي.

قال: «أما ما لك فقد قسم، وأما أهلك فمن قدرت عليه منهم».

فخرج، فإذا ابنه قد عرف الراحلة وهو قائم عندها، فرجع إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: يا رسول الله، هذا ابني.

قال: «يا بلال، أخرج معه فسله أبوك هو؟ فإذا قال: نعم، فادفعه إليه».

فخرج إليه، فقال: أبوك هذا؟

قال: نعم.

فرجع إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: يا رسول الله، ما رأيت أحداً منها استعبر لصاحبه.
قال: «ذاك جفاء الأعراب»^(١).

سرية إلى بني حارثة بن عمرو:

وفي مستهل شهر ربيع الأول سنة تسع بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» عبد الله بن عوسجة [إلى بني حارثة بن عمرو] يدعوهم إلى الإسلام. فأخذوا الصحيفة، فغسلوها ورقعوا بها أسفل دلوهم، وأبوا أن يجيبوا، فرفع ذلك إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: «ما لهم ذهب الله بعقولهم؟»

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٤١ و ٢٤٢ عن أحمد، وابن أبي شيبة، ومسنَد أحمد ج ٥ ص ٢٨٥ و ٢٨٦ وراجع: مكاتيب الرسول ج ١ ص ٢١٠ عن الإصابة ج ١ ص ٢٦٥٩/٥١٦ في رعية وص ٢٤١ في جفينة الجهني، وأسَد الغابة ج ٢ ص ١٧٦ و ١٧٧ والاستيعاب (بها مش الإصابة) ج ١ ص ٥٣٦ وكنز العمال ج ٤ ص ٣٤٠ عن أحمد، وعبد الرزاق بأسانيد وص ٣٤١ عن ابن أبي شيبة، وص ٣٤٢ عن الطبراني، وأعلام السائلين ص ٣١ ورسالات نبوية ص ١٨ والمصنف لابن أبي شيبة ج ١٤ ص ٣٤٤ وراجع: مجموعة الوثائق السياسية ص ٢٧٥ و (في ط أخرى) ص ٣٢٣/٢٣٥ عن جمع ممن تقدم وعن: إمتاع الأسماع للمقرئ ج ١ ص ٤٤ وتعجيل المنفعة لابن حجر ص ٣٢١ وأنساب الأشراف للبلاذري ج ١ ص ٣٨٢. وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ق ٢ ص ٣١ والكامل لابن عدي ج ٤ ص ١٤٥٧ والمعجم الكبير للطبراني ج ٥ ص ٧٧/٤٦٣٥ و ص ٧٨/٤٦٣٦ وجمع الزوائد ص ٢٠٥ - ٢٠٦.

فهم إلى اليوم أهل رعدة، وعجلة، وكلام مختلط وأهل سفه.
قال محمد بن عمر: قد رأيت بعضهم عيباً لا يحسن بين الكلام.
وقالت أم حبيب بنت عامر منكراً عليهم:
إذا ما أنتهم آية من محمد محوها بماء البثر فهو عصير^(١)
ونقول:
لا بأس بملاحظة ما يلي:

سرايا دعوة:

قد صرحت النصوص المتقدمة بما لم نزل نشير إليه، ونذكر القارئ به، وهو: أن سرايا رسول الله «صلى الله عليه وآله» كانت إما استباقية، حينما كان يبلغه «صلى الله عليه وآله» أن جماعة قد جمعوا وتهاؤا لمباغثة المسلمين بالحرِب، وإما لأجل الدعوة إلى الإسلام، فإذا واجهوا الدعاة بالعنف،

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢١٣ عن أبي سعيد النيسابوري في الشرف، وعن دلائل النبوة، وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٨٢ والإصابة ج ٢ ص ٣٥٥ وج ٤ ص ٤٤٦ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٨ ص ٣٨٤ وأسد الغابة ج ٣ ص ٢٣٩ والمغازي للواقدي ج ٣ ص ٩٨٢ و ٩٨٣ والإمتاع ص ٤٤١ والبحار ج ١٨ ص ١٦ والمناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٨١ والثقات لابن حبان ج ٢ ص ٩١ ومعجم قبائل العرب ص ٨٣ عن المواهب اللدنية، ومجموعة الوثائق السياسية ص ٢٧٥ ورسالات نبوية ص ١٢ وعن السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٣٦٥ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٢٠ عن سيرة مغلطاي، وعن شرف المصطفى للنيسابوري، وعن المواهب اللدنية.

الفصل السادس: ترقية الدلاء بكتاب رسول الله ﷺ ١٩٣
دافعوا عن أنفسهم، وهو حق مشروع لهم.

دعاء النبي ﷺ يناسب منطقهم:

وقد لاحظنا: أن رد بني حارثة بن عمرو، وسائر من تقدم ذكرهم، على كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إليهم قد اتسم بالاستهتار والخفة، وبالصلف، وبالسفه والوقاحة، حيث كانوا يأخذون الصحيفة، وبعد أن يغسلوها، يرقعون بها أسفل دلائهم.. فدعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» عليهم بأن يبتليهم الله بما يتناسب مع نفس فعلهم، وهو خفة العقل، وظهور الإختلاط والسفه.

وقد أظهر الله كرامة نبيه باستجابة دعائه فيهم.. ليكون ذلك عبرة لهم، ولغيرهم ممن يسير في طريق الإستكبار، والعنجهية، والإستهتار بالحق، والإستخفاف بأهله.

نعم، لقد جاءت هذه الدعوة النبوية، واستجابتها منسجمة مع طبيعة المنطق الذي واجهوا به النبي «صلى الله عليه وآله»، فإنه كان يتسم بالإستخفاف المتمثل بترقية دلائهم بكتابه «صلى الله عليه وآله».. فإن تصرفهم هذا تجاه دعوة الحق والخير والهدى قد جاء مجانباً للمنطق، وللإنصاف، يتسم بالخفة والصيبانية، وعدم التعقل، حيث لم يواجهوا الحجة بالحجة، ولا استجابوا لنداء الضمير والوجدان، الذي يفرض عليهم الخضوع للحق، والأخذ بأحكامه، والإستسلام لقضاء الفطرة، وحكم الوجدان. فاستحقوا أن يكونوا في نفس هذا الموقع الذي ارتضوه لأنفسهم، فكانت الدعوة النبوية، التي أعقبتها الإستجابة الإلهية.. تماماً كما كان الحال بالنسبة لقوم ثمود، الذين قال الله تعالى

١٩٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦
عنهم: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى..﴾^(١).

لا يوجد إلا مختل:

وقد صرحت الروايات المتقدمة: بأنه لم يوجد في أولئك القوم، إلا مختل العقل، فيه رعدة وسفه، واختلاط..

بل لقد زعم الواقدي: أنه رأى بعضهم عيباً لا يحسن الكلام.
ونحن لا نبالغنا شك في أن الله تعالى قد استجاب لنبيه «صلى الله عليه وآله» دعوته فيهم.. غير أننا نقول:

إنه «صلى الله عليه وآله» إنما يدعو على من أذنب دون سواه.. فما معنى أن يستمر العي والاختلاط و.. و.. الخ.. في أعقابهم؟!

ويمكن أن يقال في الجواب: إن ذلك يخضع للسنن الإلهية المودعة في المخلوقات، ولعل منها: أن تبقى آثار العي في أعقابهم من خلال قانون الوراثة للخصال، وللأمراض والعاهات، وانتقال بعض ذلك إلى الذرية بنحو أو بآخر، فإن العرق دساس..

وليكن هذا من جملة العقوبات التي يستحقها من يستهينون برسول الله تبارك وتعالى.

جفاء الأعراب:

وقد تعجب بلال من عدم استعبار الولد لأبيه، والعكس، فأخبر النبي «صلى الله عليه وآله» بما رآه، وكأنه يريد أن يعبر للنبي «صلى الله عليه وآله»

(١) الآية ١٧ من سورة فصلت.

الفصل السادس: ترقية الدلاء بكتاب رسول الله ﷺ ١٩٥
عن شكه في أن يكونا أباً وابتناً، متخذاً من عدم اعتبار أحدهما للآخر،
وهما في محنة دلالة تؤكد شكه هذا..

ولكن النبي «صلى الله عليه وآله» الذي كان يعرف طبائع الناس
وحالاتهم قد أوضح لبلال أن سبب ما رآه، وهو جفاء الأعراب، حيث إن
طبائعهم تختلف عن طبائع غيرهم، فإنهم يعيشون قسوة الناس عليهم، بما
يارسونه ضد بعضهم البعض من سلب ونهب، وأسر، وقتل. ويواجهون
قسوة الطبيعة عليهم في حرها وبردها، وفي شحها بالماء والكلأ، وقسوة
الجهل، وعدم المعرفة بنتائج وآثار كثير من أعمالهم، وبواقعهم.

نعم، إنهم يشاهدون ويعانون من ذلك كله، فيقسمونه على بعضهم
البعض، ويهون على الوالد رؤية ولده في مشقة وتعب وجهل وتخلُّف، وأن
يرى الولد أباه على نفس هذه الحال، ما دام أن الجهد والتعب، ومواجهة
المصائب والبلايا يشمل الجميع، وهو جزء من حياتهم اليومية.. فلا غرابة
في أن نراهم جفاة قساة في حياتهم العادية، مع القريب والبعيد من دون
استثناء.

قتال من يأبى الإسلام:

تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أرسل الضحاك الكلابي مع جيش
إلى القرطاء، فدعاهم إلى الإسلام، فأبوا، فقاتلوهم.
فقد يستظهر من قوله في سرية القرطاء: «فقاتلوهم، فهزموهم»: أن
الإستعداد للقتال كان قائماً من كلا الطرفين.

وقد قلنا أكثر من مرة: إن مجرد عدم قبول فئة من الناس الإسلام لا

يدفع الدعاة إلى القتال، لو لم تكن تلك الفئة قد تصرفت بصورة عدوانية تجاه أولئك الدعاة، وقد قال الله تعالى لنبيه: ﴿اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(١).

وقال جل وعلا: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(٢).

ومما يدل على أن سرايا رسول الله «صلى الله عليه وآله» كانت سرايا دعوة أنها كانت قليلة العدد، ضعيفة العدد، وكانت تتعرض للتحدي وللقتل في كثير من الأحيان، وكثيراً ما يكون إرسال سرايا القتال لمعالجة الموقف، أو للرد على العنف والعدوان الذي تعرضت له سرايا الدعوة.

الأصيد.. لا يقتل أباه:

١ - وقد ظهرت المباينة بين سلوك الأصيد من جهة، وبين سلوك أبيه من جهة أخرى، حيث إن الأصيد يريد لأبيه النجاة، فيعطيه الأمان في الدنيا، ويطلب منه المبادرة لقبول ما ينجيه في الآخرة، وهو الإسلام..

ولكن أباه يقابله على ذلك بالشتيمة والسب له ولدينه.. وقد صدق الشاعر حيث يقول:

أريد حباءه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

(١) الآية ١٢٥ من سورة النحل.

(٢) الآية ٣٤ من سورة فصلت.

الفصل السادس: ترقيع الدلاء بكتاب رسول الله ﷺ ١٩٧

٢ - وحين أصر سلمة على موقفه، لم يبادر ولده إلى إيصال الأذى إليه، بل اكتفى بعرقبة فرسه، أمسك عنه تأديباً، فلحقه المسلمون، فقتلوه..

٣ - ولا ندري ما المبرر لسب سلمة لولده، وهو إنها يدعوه إلى ما فيه نجاته ونجاحه، وفلاحه وصلاحه، كما أننا لا ندري ما الذي دعاه لأن يسب دينه، وهو دين الخير والبركات، والقول السديد، والرأي الحميد، وهو دين الحق والهدى، والرشاد والسداد؟! فهل نظر في هذا الدين فوجد فيه ما يوجب هذا السب؟! أم أنه اللجاج والعناد، والإستكبار والجحود؟!

ترقيع الدلاء:

وقد أظهرت النصوص المتقدمة: أن الذين رقعوا دلاءهم بكتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد تعددوا، فهل كان عامة العرب يعانون من أزمة في دلائهم، فلا يجدون ما يرقعونها به؟! حتى جاءتهم كتب النبي «صلى الله عليه وآله»، فاغتنم بعضهم الفرصة، واجترأ على مقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» دون أن يفكر بالعواقب. وخاف الآخرون من الإقدام على هذا الأمر؟!..

إن الحقيقة هي: أن الأمر لم يكن كذلك، وإنما هو سوء أدب، وأعرابية وقحة، ومتجرئة ولا مبالية، تنقاد للهوى، ولا تعيش معنى القيمة والكرامة الإنسانية إلا في عناوين تتلاءم مع عقلياتها، وعصبياتها، وجهلها، وحاجاتها الشهوانية والأهوائية.

السحيمي وابنته:

وقد قرأنا في النصوص المتقدمة قصة السحيمي، وما جرى بينه وبين

ابنته حينما وصل إليها على تلك الحال المزرية، والمتناهية في السوء والذلة والخزي. حتى إنه لم يجروا على دخول بيتها من بابه، بل دخل من وراء البيت، كي لا يرى الناس حاله..

وقد أدركت ابنته بمجرد رؤيتها إياه: أنه اتخذ سبيل العناد واللجاج، وواجه الدعوة إلى الحق بالرد اللثيم والحاقد، الذي يحتقر حتى أنبياء الله وأصفياءه، من دون ذنب أتوه إليه، سوى الرغبة في إخراجهم من الظلمات إلى النور، ومن النار إلى الجنة، ومن الضلال إلى الهدى..

والظاهر: أن ابنته كانت تعرف طبيعة تصرفاته، وترى أنها بعيدة عن الإيزان، والسداد. فسألته عن حاله، فظهر لها من حاله ومقاله: أن ظنها قد أصاب كبد الحقيقة. ولعل ذلك هو السبب في أننا لا نجد ما يظهر لنا أنها اهتمت لما حصل له..

جفينة أو رعية:

ثم إننا لا ندري إن كان جفينة هو رعية، والسحيمي هو الجهني. وقد صحف النساخ الكلمات والأسماء.. أم أنها شخصان مختلفان؟!

وفي جميع الأحوال نقول:

إن استغراب بنت جفينة من فعل أبيها بكتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» يشير إلى: أن ما فعله جهينة لم يكن مستساغاً حتى عند الأعراب، البعيدين عن الوعي والثقافة، والمعروفين بالجفاء وسوء الأدب. بل إن ذلك كان مستهجنأ حتى عند النساء منهم، فلا مجال لادعاء أن يكون جفينة أو غيره قد فعلوا أمراً مستساغاً ومرضياً عندهم..

الفصل السادس: ترفيع الدلاء بكتاب رسول الله ﷺ ١٩٩

ولذلك نلاحظ: أن لحن كلام ابنة جهينة يدل دلالة واضحة على إدراكها قبح هذا الأمر، حيث قالت له على سبيل الإنكار: «عمدت إلى كتاب سيد العرب، فرقعت به دلوك»؟!.

وقد أدرك جفينة قبح وخطورة ما صدر منه، فبادر إلى الهرب..
حتى جاء بعد ذلك مسلماً..

مَشْرُوعًا هَذَا يَحْتَوِي عَلَى كَثِيرٍ مِنْ أَسْئَلَاتِ الْحَقِيقَةِ

وَأَمَّا الْإِجَابَةُ عَلَى هَذِهِ السُّؤَالَاتِ فَتَكُونُ كَالْآتِي:

السُّؤَالُ ١: مَاذَا يُقَالُ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ؟

الجواب: هو رَسولُ اللَّهِ ﷺ

السُّؤَالُ ٢: مَاذَا يُقَالُ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ؟

الجواب: هو رَسولُ اللَّهِ ﷺ

الفصل السابع:

علي عليه السلام في اليمن

مجلس العلماء

مجلس العلماء

سرية خالد وعلي عليه السلام، وإسلام همدان:

عن البراء بن عازب قال: بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام. قال البراء: فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد، فأقمنا ستة أشهر ندعوهم إلى الإسلام، فلم يجيبوا.

ثم إن النبي «صلى الله عليه وآله» بعث علي بن أبي طالب مكان خالد وأمره أن يقفل خالداً، وقال: «مر أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقب معك فليعقب، ومن شاء فليقبل».

قال البراء: فكنت فيمن عقب مع علي، فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا، فصلى بنا علي، ثم صفنا صفاً واحداً، ثم تقدم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأسلمت همدان جميعاً.

فكتب علي إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بإسلامهم. فلما قرأ رسول الله «صلى الله عليه وآله» الكتاب خر ساجداً، ثم رفع رأسه وقال: «السلام على همدان»، مرتين.

زاد في نص آخر أنه قال أيضاً: نعم الحبي همدان ما أسرعها إلى النصر!

٢٠٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦
وأصبرها على الجهد ! فيهم أبدال، وفيهم أوتاد^(١).
وعند البخاري عن البراء قال: «فغنمت أواق ذوات عدد»^(٢).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٣٥ و ٤٢٧ عن البيهقي في السنن بإسناد صحيح، والدلائل، والمعرفة، وعن البخاري مختصراً، وقال في الهامش: أخرجه البيهقي في السنن ج ٢ ص ٣٦٦ و ٣٦٩ وفي الدلائل ج ٥ ص ٣٦٩ و البخاري ج ٧ ص ٦٦٣ (٤٣٤٩) وراجع: المواهب اللدنية للزرقاني ج ٥ ص ١٧٦ و ١٧٧. وأشار في مكاتيب الرسول ج ٣ ص ٣٨٧ إلى المصادر التالية أيضاً: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٥٩ و السيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج ٣ ص ٣١ والكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٢ ص ٣٠٠ وتاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٣ ص ١٣١ و ١٣٢ وأنساب الأشراف للبلاذري ج ١ ص ٣٨٤ وعن فتح الباري ج ٨ ص ٥٣ وينايع المودة ص ٢١٩ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ص ٨٣٣ و (في ط أخرى) ج ٢ ق ٢ ص ٥٥ والبحار ج ٢١ ص ٣٦٠ و ٣٦٣ عن إعلام الوري، وغيره، وج ٣٨ ص ٧١ والمناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ١٢٩ والإرشاد للمفيد «رحمه الله» ص ٢٨ والبداية والنهاية ج ٥ ص ١٠٥ وزاد المعاد ج ٣ ص ٣٦ ومجموعة الوثائق السياسية ص ١٣٢/ ٨٠ عن إمتاع الأسماع للمقريزي ج ١ ص ٥٠٤ و ٥٠٩ و ٥١٠، وحياة الصحابة ج ١ ص ٩٥ والعدد القوية ص ٢٥١ والتنبية والإشراف ص ٢٣٨ وذخائر العقبى ص ١٠٩ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٤٥ وملحقات إحقاق الحق ج ١٨ ص ٦٤ وج ٢١ ص ٦٢٠ عن: الجامع بين الصحيحين ص ٧٣١ ونثر الدر المكنون ص ٤٣ و السيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٢٠١ من طرق كثيرة، والتدوين للقرطبي ج ٢ ص ٤٢٩ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٤ ص ٣٤.

(٢) صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج ٥ ص ١١٠ وراجع: عمدة القاري ج ١٨ ص ٦.

وعن البراء قال: بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى اليمن جيشين، وأمر علياً على أحدهما. وعلى الآخر خالد بن الوليد. وقال: «إذا كان قتال فعلي رضي الله تعالى عنه الأمير». قال: فافتتح علي حصناً، فغنمت أواقي ذوات عدد، وأخذ علي منه جارية.

قال: فكتب معي خالد إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» - الذي في جامع الترمذي «يشي به». قال الترمذي: يعني النميمة - يخبره.

قال: فلما قدمت على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقرأ الكتاب رأيته يتغير لونه، فقال: «ما ترى في رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله تعالى ورسوله؟»

فقلت: أعوذ بالله من غضب الله تعالى وغضب رسوله، إنما أنا رسول. فسكت^(١).

وعن بريدة بن الحصيب قال: «أصبنا سبياً، فكتب خالد إلى رسول الله

(١) سبل الهدى ج ٦ ص ٢٣٥ عن الترمذي، وقال في هامشه: أخرجه الترمذي ج ٤ ص ١٨٠. وراجع: نهج السعادة للمحمودي ج ٥ ص ٢٨٥ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ١٩٦ والبحار ج ٣٩ ص ١١ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرازي ص ١٤٢ وسنن الترمذي ج ٣ ص ١٢٤ وينابيع المودة لذوي القربى للقندوزي ج ١ ص ١٦٩.

٢٠٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦
«صلى الله عليه وآله»: «أبعث إلينا من يخمسه». وفي السبي وصيفة هي من
أفضل السبي.

فبعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» علياً إلى خالد ليقبض منه
الخمس، وفي رواية: ليقسم الفيء، فقبض منه، فخمس وقسم، واصطفى
علي سبية، فأصبح وقد اغتسل ليلاً.

وكنت أبغض علياً بغضاً لم أبغضه أحداً، وأحببت رجلاً من قريش لم
أحبه إلا لبغضه علياً.

فقلت لخالد: ألا ترى إلى هذا؟

وفي رواية: فقلت: يا أبا الحسن، ما هذا؟

قال: ألم تر إلى الوصيفة، فإنها صارت في الخمس، ثم صارت في آل
محمد، ثم في آل علي، فوقعت بها.

فلما قدمنا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذكرت له ذلك^(١).

(١) سبل الهدى ج ٦ ص ٢٣٥ و ٢٣٦ عن أحمد، والبخاري، والنسائي، والإسماعيلي،
وفي هامشه قال: أخرجه البخاري في كتاب النكاح (٥٢١٠). وراجع: فتح
الباري ج ٨ ص ٥٢ ونيل الأوطار ج ٧ ص ١١٠ والعمدة لابن البطريق ص ٢٧٥
ونهج السعادة ج ٥ ص ٢٨٤ ومسند أحمد ج ٥ ص ٣٥١ ومجمع الزوائد ج ٩
ص ١٢٧ وخصائص أمير المؤمنين «عليه السلام» للنسائي ص ١٠٢ وتاريخ
مدينة دمشق ج ٤٢ ص ١٩٦ و البداية والنهاية ج ٥ ص ١٢٠ وج ٧ ص ٣٨٠
والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٢٠٢ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب
«عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ للريشهري ج ١١ ص ٢٦٠ وشرح
إحقاق الحق ج ٢١ ص ٦٣٠ وج ٢٣ ص ٥ و ٢٧٤ و ٢٧٦ وج ٣٠ ص ٢٧٢.

وفي رواية: فكتب خالد إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقلت: ابعثني، فبعثني، فجعل يقرأ الكتاب وأقول: صدق، فإذا النبي «صلى الله عليه وآله» قد احمر وجهه، فقال: «من كنت وليه فعلي وليه».

ثم قال: «يا بريدة أتبغض علياً؟»

فقلت: نعم.

قال: «لا تبغضه، فإن له الخمس أكثر من ذلك»^(١).

وفي رواية: «والذي نفسي بيده لنصيب علي في الخمس أفضل من وصيفة، وإن كنت تحبه فازدد له حباً»^(٢).

(١) سبل الهدى ج ٦ ص ٢٣٦ وراجع: نيل الأوطار ج ٧ ص ١١٠ والعمدة لابن البطريق ص ٢٧٥ ونهج السعادة ج ٥ ص ٢٨٣ ومسند أحمد ج ٥ ص ٣٥٩ وصحيح البخاري (ط دار المعرفة) ج ٥ ص ١١٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ٣٤٢ وفتح الباري ج ٨ ص ٥٣ وعمدة القاري ج ١٨ ص ٦ وتحفة الأحوذى ج ١٠ ص ١٤٥ وخصائص أمير المؤمنين «عليه السلام» للنسائي ص ١٠٢ ومعرفة السنن والآثار ج ٥ ص ١٥٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ١٩٤ و ١٩٥ وأسد الغابة ج ١ ص ١٧٦ وتهذيب الكمال ج ٢٠ ص ٤٦٠ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٣٨٠ وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن الدمشقي ج ١ ص ٨٨ وشرح إحقاق الحق ج ٦ ص ٨٦ وج ١٦ ص ٤٥٣ ج ٢١ ص ٥٣٢ وج ٢٣ ص ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٢٧٧ و ٢٧٨ وج ٣٠ ص ٢٧٨.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٣٦ ونيل الأوطار ج ٧ ص ١١١ والعمدة لابن البطريق ص ٢٧٥ والبحار ج ٣٩ ص ٢٧٧ ونهج السعادة ج ٥ ص ٢٨٥ ومسند أحمد ج ٥ ص ٣٥١ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٧ وفتح الباري ج ٨ ص ٥٣ وعمدة القاري ج ١٨ ص ٧ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١٣٦ =

وفي رواية: «لا تقع في علي، فإنه مني وأنا منه، وهو وليكم بعدي»^(١).
قال بريدة: فما كان في الناس أحد أحب إلي من علي.
وعن بريدة: بعث «صلى الله عليه وآله» علي بن أبي طالب «عليه السلام»، وخالد بن الوليد كل واحد منهما وحده، وجمعهما، فقال: إن اجتمعتما فعليكم علي.

= وخصائص أمير المؤمنين «عليه السلام» للنسائي ص ١٠٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ١٩٦ والبداية والنهاية ج ٥ ص ١٢١ وج ٧ ص ٣٨١ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٩٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٢٠٢ وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن الدمشقي ج ١ ص ٨٧ وشرح إحقاق الحق ج ٦ ص ٨٥ وج ١٦ ص ٤٥١ ج ٢١ ص ٦٣٠ وج ٢٣ ص ٦ و ٢٧٥ و ٢٧٦ وج ٣٠ ص ٢٧٢.

(١) سبل الهدى ج ١١ ص ٢٩٧ وج ٦ ص ٢٣٦ وقال في هامشه: أخرجه أحمد في المسند ج ٥ ص ٣٥٦، وذكره الهيثمي في المجمع ج ٩ ص ١٢٨، والمتقي الهندي في الكنز (٤٢٩٤٢). وراجع: ذخائر العقبى ص ٦٨ والبحار ج ٣٧ ص ٢٢٠ وج ٣٨ ص ٣٢٦ والنص والإجتهد للسيد شرف الدين ص ٥٦٠ وفتح الباري ج ٨ ص ٥٣ وعمدة القاري ج ١٨ ص ٧ وتحفة الأحوزي ج ١٠ ص ١٤٦ و ١٤٧ وكنز العمال ج ١١ ص ٦٠٨ وفيض القدير ج ٤ ص ٤٧١ وطبقات المحدثين بأصبهان ج ٣ ص ٣٨٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ١٩٠ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٣٨٠ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٩٤ وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن الدمشقي ج ١ ص ٨٧ وينابيع المودة ج ٢ ص ١٥٩ وشرح إحقاق الحق ج ٥ ص ٢٨٨ و ٢٩٠ و ٢٩٢ وج ١٥ ص ١٠٣ و ١٠٦ و ١٠٧ وج ٢٠ ص ٥٢٧ وج ٢٣ ص ٥٤٤.

الفصل السابع: علي عليه السلام في اليمن ٢٠٩

قال: فأخذ يميناً ويساراً، فدخل علي، وأبعد وأصاب سبياً، وأخذ جارية من السبي، قال بريدة: وكنت من أشد الناس بغضاً لعلي.

قال: فأتى رجل خالد بن الوليد فذكر أنه أخذ جارية من الخمس، فقال: ما هذا؟

ثم جاء آخر، ثم تابعت الأخبار على ذلك، فدعاني خالد، فقال: يا بريدة قد عرفت الذي صنع، فانطلق بكتابي هذا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فكتب إليه، فانطلقت بكتابه حتى دخلت على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأخذ الكتاب بشماله، وكان كما قال الله عز وجل: لا يقرأ ولا يكتب، وكنت إذا تكلمت طأطأت رأسي حتى أفرغ من حاجتي، فطأطأت رأسي، فرأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» غضب غضباً لم أره غضب مثله إلا يوم قريظة والنضير.

فنظر إليّ، فقال: يا بريدة أحبّ علياً، فإنما يفعل ما أمر به، فقمت وما من الناس أحد أحب إليّ منه^(١).

(١) مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٨ عن الطبراني في الأوسط.

وراجع روايات بريدة على اختلافها في المصادر التالية: شرح الأخبار ج ١ ص ٩٤ والعمدة لابن البطريق ص ١٩٨ والطرائف للسيد ابن طاووس ص ٦٦ وذخائر العقبى ص ٦٨ والصراط المستقيم ج ٢ ص ٥٩ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ١١١ والبحار ج ٣٧ ص ٢٢٠ وج ٣٨ ص ٣٢٦ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ٣٢ وخلاصة عبقات الأنوار ج ٩ ص ٣٠٦ و ٣٠٧ والمراجعات للسيد شرف الدين ص ٢٢٣ والنص والإجتهاد للسيد شرف الدين ص ٣٣٩ و ٥٦٠ والغدير =

٢١٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

عن بريدة: أنه لما استلم علي «عليه السلام» الغنائم من خالد بن الوليد في غزوتهم لبني زبيد، حصلت جارية من أفضل السبي في الخمس، ثم

= ج ٣ ص ٢٤٤ ومكاتب الرسول ج ١ ص ٥٦٤ ونهج السعادة ج ٥ ص ٢٧٧ و ٢٧٨ ومسند أحمد ج ٥ ص ٣٥٦ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٨ وفتح الباري ج ٨ ص ٥٣ وعمدة القاري ج ١٦ ص ٢١٤ وعمدة القاري ج ١٨ ص ٧ وتحفة الأحوذ ج ١٠ ص ١٤٦ و ١٤٧ وكنز العمال ج ١١ ص ٦٠٨ وفيض القدير ج ٤ ص ٤٧١ وطبقات المحدثين بأصبهان ج ٣ ص ٣٨٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ١٨٩ و ١٩٠ ومناقب علي بن أبي طالب «عليه السلام» لابن مردويه الأصفهاني ص ١١٩ والبدية والنهاية ج ٥ ص ١٠٤ وج ٧ ص ٣٤٢ و ٣٤٤ و ٣٨٠ وكشف الغمة للشعراني ج ٢ ص ١١٤ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٩٤ ومجمع الفوائد ج ٢ ص ٦٨ والمنهل العذب المورد ج ١ ص ١١٤ ومشكل الآثار ج ٤ ص ١٦٠ ونهج الإيمان لابن جبر ص ٤٨٣ و ٤٨٣ وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن الدمشقي ج ١ ص ٨٧ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٣٨ ونبائع المودة ج ٢ ص ١٥٩ والشافي في الإمامة للشريف المرتضى ج ٣ ص ٢٤٣ وغاية المرام للسيد هاشم البحراني ج ٥ ص ٢٦ ونظرة في كتاب البداية والنهاية للشيخ الأميني ص ٩٣ وشرح إحقاق الحق للمرعشي ج ٥ ص ٢٨٨ و ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٩٢ وج ١٥ ص ١٠٣ و ١٠٦ و ١٠٧ وج ١٦ ص ١٥٧ وج ٢٠ ص ٥٢٧ وج ٢١ ص ٢٣ و ١٤٤ وج ٢٢ ص ٥٨٢ وج ٢٣ ص ١٦١ و ٥٤٤ وج ٣٠ ص ٤١٥ والفضائل لأحمد بن حنبل ج ٢ ص ٣٥١ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ٣٤٢ وخصائص أمير المؤمنين علي «عليها السلام» للنسائي (ط التقدم بمصر) ص ٢٥ وتيسير الوصول ج ٢ ص ١٣٢ ومناقب علي «عليها السلام» للعيني الحيدرآبادي ص ٤٨ وإزالة الخفاء ج ٢ ص ٤٤٩ وقرة العين في تفضيل الشيخين ص ١٦٩ والتاج الجامع للأصول ج ٣ ص ٢٩٨.

صارت في سهم آل علي، فخرج عليهم علي «عليه السلام» ورأسه يقطر، فسألوه؛ فأخبرهم: أنه وقع بالوصيفة التي صارت في سهم آل علي.

فقدم بريدة في كتاب من خالد على النبي «صلى الله عليه وآله»، وصار يقرؤه عليه بريدة، ويصدق (أي بريدة) ما فيه، فأمسك «صلى الله عليه وآله» بيده، وقال: يا بريدة أتبغض علياً؟

قال: نعم.

فقال «صلى الله عليه وآله»: لا تبغضه، وإن كنت تحبه فازدد له حباً، فوالذي نفسي بيده لنصيب آل علي في الخمس أفضل من وصيفة.

وفي نص آخر: فتكلم بريدة في علي عند الرسول، فوقع فيه، فلما فرغ رفع رأسه، فرأى رسول الله غضباً لم يره غضب مثله إلا يوم قريظة والنضير، وقال: يا بريدة، أحب علياً، فإنه يفعل ما أمره. وكذا روي عن غير بريدة^(١).

(١) راجع: مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٨ عن الطبراني، وخصائص النسائي ص ١٠٢ و ١٠٣، ومشكل الآثار ج ٤ ص ١٦٠، ومسند أحمد ج ٥ ص ٣٥٩ و ٣٥٠ و ٣٥١، وسنن البيهقي ج ٦ ص ٣٤٢ وقال: رواه البخاري في الصحيح، وحلية الأولياء ج ٦ ص ٢٩٤، وسنن الترمذي ج ٥ ص ٦٣٢ و ٦٣٩، وكنتز العمال ج ١٥ ص ١٢٤ و ١٢٥ و ١٢٦ - ٢٧١، ومناقب الخوارزمي الحنفي ص ٩٢، ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١١٠ و ١١١ على شرط مسلم، وتلخيص المستدرك للذهبي بهامشه وسكت عنه، والبداية والنهاية ج ٧ ص ٣٤٤ و ٣٤٥ عن أحمد والترمذي، وأبي يعلى وغيره بنصوص مختلفة. والغدير ج ٣ ص ٢١٦ عن بعض من تقدم، وعن كنتز العمال ج ٦ ص ١٥٢ و ١٥٤ و ٣٠٠، وعن نزل الأبرار =

وفي الرواية التي عند المفيد رضوان الله عليه: «فسار بريدة، حتى انتهى إلى باب النبي «صلى الله عليه وآله»، فلقية عمر، فسأله عن حال غزوتهم، وعن الذي أقدمه؛ فأخبره: أنه إنما جاء ليقع في علي، وذكر له اصطفاءه الجارية من الخمس لنفسه، فقال له عمر: امض لما جئت له؛ فإنه سيغضب لابنته مما صنع علي»^(١).

قال الصالحى الشامي:

تنبيهات:

الأول: قال ابن إسحاق وغيره: غزوة علي بن أبي طالب إلى اليمن مرتين، قال في العيون: ويشبه أن تكون هذه السرية الأولى، وما ذكره ابن سعد هي السرية الثانية كما سيأتي.

الثاني: قال الحافظ: كان بعث علي بعد رجوعهم من الطائف، وقسمة الغنائم بالجعرانة.

الثالث: قال الحافظ أبو ذر الهروي: إنما أبغض بريدة علياً، لأنه رآه أخذ من المغنم، فظن أنه غل.

فلما أعلمه رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنه أخذ أقل من حقه أحبه.

قال الحافظ: وهو تأويل حسن، لكن يبعده صدر الحديث الذي رواه

= للبديخي ص ٢٢، والرياض النضرة ج ٣ ص ١٢٩ و ١٣٠، وعن مصابيح

السنة للبغوي ج ٢ ص ٢٥٧. والبحر الزخار ج ٦ ص ٤٣٥، وجواهر الأخبار

والآثار المستخرجة من لجة البحر الزخار للصعدي (مطبوع بهامش المصدر

السابق) نفس الجلد والصفحة، عن البخاري والترمذي.

(١) إرشاد المفيد ص ٩٣، وقاموس الرجال ج ٢ ص ١٧٣ عنه.

الفصل السابع: علي عليه السلام في اليمن ٢١٣
أحمد، فلعل سبب البغض كان لمعنى آخر وزال، ونهى النبي «صلى الله عليه وآله» عن بغضه.

الرابع: استشكل وقوع علي رضي الله تعالى عنه على الجارية.
وأجيب: باحتمال أنها كانت غير بالغ، ورأى أن مثلها لا يستبرأ، كما صار إليه غيره من الصحابة.
أو أنها كانت حاضت عقب صيرورتها له، ثم طهرت بعد يوم وليلة، ثم وقع عليها.
أو كانت عذراء.

الخامس: استشكل أيضاً قسمته لنفسه.
وأجيب: بأن القسمة في مثل ذلك جائزة ممن هو شريكه فيما يقسمه، كالإمام إذا قسم بين الرعية وهو منهم، فكذلك ممن نصبه الإمام، فإنه مقامه^(١).

ثلاث سرايا أم سرية واحدة؟!

قد ذكر بعض كتّاب السيرة النصوص المتقدمة في موضع واحد، وتحت عنوان واحد.. وقد تابعناه في ذلك مع بعض الإضافات التي رأيناها مفيدة، وسديدة..

فكان هذا البعض قد فهم أنها تتحدث عن أحداث سفرة واحدة وهي في سفرة علي «عليه السلام» وخالد إلى اليمن..

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٣٦.

وربما يكون ذلك صحيحاً بالنسبة لخالد، فإنه هو الذي بقي ستة أشهر في اليمن دفعة واحدة، أما علي «عليه السلام» فربما يكون قد سافر أكثر من مرة، تارة لأجل بني زبيد كما ذكره في الإشارة، أو لمعالجة أمور خالد، أو لغير ذلك..

ويمكننا أن نعرض فهماً لما جرى كما يلي:

كان خالد قد سار إلى اليمن، ليدعو أهلها إلى الإسلام، ولعله قد خاض حرباً مع بعض الفئات، فأصاب منهم سبياً، فطلب من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يرسل إليه من يقبضه منه، فأرسل علياً «عليه السلام»، فاصطفى علي «عليه السلام» جاريته من السبي، فأرسل خالد بريدة إلى النبي «صلى الله عليه وآله» ليشتكيه.. حسبما تقدم.. أو أنه «عليه السلام» اصطفاها بعد أن أوغل في داخل البلاد وأبعد، وافتتح في طريقه حصناً، وأصاب سبياً، وانضم السبي بعضه إلى بعض، فاصطفى «عليه السلام» من مجموع السبي تلك الجارية، فشكاه بريدة إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأجابه بما تقدم.

ولعل علياً «عليه السلام» قد عاد إلى النبي «صلى الله عليه وآله» على الظاهر، وبقي خالد في بلاد اليمن، لكي يسعى لأسلمة أهلها، فلم يفلح. ولعله قد أساء إلى أولئك الناس، فلم يستجيبوا له - كما سنرى - وبعد ستة أشهر أرسل «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» إليه، ليقلعه، ويمضي هو إلى اليمن ليدعو أهلها، ففعل ذلك، فأسلمت همدان في ساعة واحدة^(١).

(١) راجع: السنن الكبرى للبيهقي ج ٢ ص ٣٦٩ وفتح الباري ج ٨ ص ٥٢ وتاريخ =

قبلوا من علي عليه السلام ورفضوا دعوة خالد:

ثم إنه قد يثور هنا سؤال يقول:

لا شك في أن الإسلام الذي دعا إليه علي «عليه السلام» أهل اليمن، هو نفس الإسلام الذي دعا إليه خالد بن الوليد، فلماذا لم يقبلوا من خالد، رغم أنه بقي هو ومن معه ستة أشهر يدعونهم إلى الإسلام؟! بينما لما أرسل «صلى الله عليه وآله» علياً أمير المؤمنين «عليه السلام»، فأقبل خالداً ومن معه، ثم ذهب إليهم وصلى بأصحابه، وقرأ عليهم كتاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أسلمت همدان كلها في ساعة واحدة؟!!

فما هذه المفارقة التي ظهرت في فعل هؤلاء؟!!

وقد حاول البعض أن يجيب على هذا السؤال بما يلي:

«كانت التجريدات العسكرية تقف على أهبة الاستعداد لمواجهة المقاومة التي يبدئها أولئك الذين يرفضون الإستجابة للنداءات المتكررة لقبول الإسلام من قبل الدعاة. وبذلك تحمل القوة الحربية رسالة هؤلاء الدعاة السلمية.

وقد بعث خالد بن الوليد في العام العاشر إلى اليمن للقيام بهذا الواجب، واستمر في ذلك ستة أشهر، ولكن جهوده لم تثمر النجاح الذي

= الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٦٩٠ والبداية والنهاية ج ٥ ص ١٢١ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٤١٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٢٠٣ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٣٥ و ٤٢٧ السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٣١٩ وشرح إحقاق الحق ج ٢١ ص ٦٢٢ و ٦٢٦.

كا يريده محمد «صلى الله عليه وآله»، فعززت قوات خالد بجيش يقوده علي بن أبي طالب. وزحف في رمضان من ذلك العام.

وكان لذلك أثره الحاسم الذي برز في النتائج السريعة التي نجمت عنه، فقد قيل: إن كل همدان أسلمت في يوم واحد^(١).

ونقول:

إن ما ذكره هذا البعض لا يمكن الموافقة عليه، وذلك لما يلي:

أولاً: إن هذا الرجل يريد أن يدّعي: أن هؤلاء الناس قد أسلموا تحت وطأة التهديد، والجبر، والقهر، وأن الإسلام كان يفرض على الناس بقوة السيف.. وهذا باطل جزماً، فإنه ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(٢)، و﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾^(٣)، و﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(٤)، وغير ذلك كثير.. والقتال الذي كان يجري، إنما كان دفاعياً، أو استباقياً حين يتآمر المشركون، ويتجمعون للانقضاض على المسلمين على حين غرة.

ثانياً: قد تقدم: أن ذهاب خالد وعلي «عليه السلام» إلى اليمن إنما كان سنة ثمان بعد فراغ النبي «صلى الله عليه وآله» من الفتح وحنين، حيث أرسلهما حين كان «صلى الله عليه وآله» لا يزال بالجرعانة، ولم يكن سنة عشر.

(١) راجع: نشأة الدولة الإسلامية، تأليف عون شريف قاسم ص ٢٢٧ و ٢٤٠.

(٢) الآية ٢٥٦ من سورة البقرة.

(٣) الآية ٢٩ من سورة الكهف.

(٤) الآية ٩٩ من سورة يونس.

ولعل الأجدر الإجابة على السؤال المتقدم، بما يلي:

أولاً: الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب^(١)، وإنما أسلم خالد في السنة الثامنة، وهي نفس السنة التي أرسله النبي «صلى الله عليه وآله» فيها إلى اليمن.. في حين أنه هو نفسه بقي يحارب الله ورسوله طيلة أكثر من عشرين سنة، رغم أنه يرى المعجزات الإلهية، ويشاهد محاسن الإسلام وهي تتجلى في سلوك المؤمنين، وفي أقوالهم، وأفعالهم.

ثم إنه لما رأى سطوع نجمه، وظهوره على الدين كله وأقول نجم الشرك، وتهاوي أركانه واحداً تلو الآخر، وطمس أعلامه، وسقوط دعائه في حماة الخزي والذل والعار، أثر أن يكون مع الكفة الراجحة والناجحة، ليضمن له موقعاً قبل فوات الأوان.

فأظهر الإسلام ولكنه بقي يحمل مفاهيم الشرك، وعقلية الجاهلية، ويعيش طموحاته الشخصية والفتوية والعشائرية كما أظهرته ممارساته، وسيرة حياته.

فراجع ما فعله بهالك بن نويرة لمجرد رفضه بيعة أبي بكر، فإنه خدعه، ثم قتله وزنى بزوجته في نفس ليلة قتله..

فستان بين من يريد الإسلام، ليكون وسيلة للوصول إلى أهدافه وتحقيق مآربه، ونيل غاياته التي يرى أنها هي الأهم والأعلى عليه.. وبين علي بن أبي طالب «عليه السلام» الذي يرى أن الإسلام هو الأعلى

(١) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج ٢٠ ص ٢٨٧ وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج ٢ ص ٨ وشرح اللمعة للشهيد الثاني ج ١ ص ٦٦١.

والأعلى، وأن عليه أن يضحي بنفسه وماله وولده من أجله..

فإذا دعا خالد الناس إلى الإسلام، فإنه لن يكون الداعي الصادق، والمخلص في دعوته، ولن تخرج كلماته عن الإسلام من قلبه، لتجد سبيلها إلى قلوب الآخرين، وفقاً لما قيل: «من القلب إلى القلب سبيل»^(١).

ثانياً: لقد خاطب الله نبيه بقوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٢).

وهذا يدلنا على: أن خالداً لم يدعُ أهل اليمن بالحكمة، والموعظة الحسنة، ولا جادلهم بالتّي هي أحسن. ولذلك لم يستجيبوا له رغم مرور ستة أشهر على محاولاته، كما أن الناس لم يروا محاسن الإسلام على تصرفات خالد، ومن معه، ولم تظهر لهم حقائقه ودقائقه، ولا تلمسوا أهدافه، ومراميه..

أي أنه لم يكن داعياً إلى الله بأفعاله وسلوكه، ليكون مصداقاً لقول أهل بيت العصمة: «كونوا دعاة إلى الله بغير ألسنتكم».

بل ربما يكون قد أساء إليهم، وحاول أن يبتزهم في أموالهم أو في أعراضهم، أو أن يفرض عليهم الإستسلام، والخضوع لأوامره ونواهيهم، ليكون إسلامهم مجرد قلقلة لسانية ليس وراءها إيمان ولا اعتقاد..

أي أنه لم يزد على أن قدم لهم مجرد دعوة لسانية، ولعلها كانت تحمل في ثناياها الكثير من التحديات، والمنفرات لهم.

(١) راجع: تفسير الآلوسي ج ٢٣ ص ٢١٤.

(٢) الآية ١٢٥ من سورة النحل.

أما علي «عليه السلام» فقد بادر إلى إظهار عبوديته ومن معه لله تعالى، وأظهر لهم أيضاً أن الإسلام يجعل من جميع الناس، الذين هم متفرقون عشائرياً، ومناطقياً وطبقاتياً في مجتمعاتهم، من الناحية الاقتصادية، والثقافية، والعرقية وغير ذلك من عناوين أراد الله أن تكون من أسباب التكامل والتعاون فيما بين البشر، فجعلت منها الأهواء أسباباً للتمزق، والتفرق، والتشتت والتفتت - أظهر لهم أن الإسلام يجعل منهم - صفأً واحداً كأنهم بنيان مرصوص، لهم قائد واحد، وهدف واحد، واتجاه واحد. ثالثاً: قد نجد في النصوص المتقدمة ما يشير إلى أن خالداً كان هو المشكلة والعائق، حيث إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أمر بإرجاعه، دون جميع من عداه.. فإنه قد خيرهم بين الرجوع معه، والمضي مع علي «عليه السلام»، وإن كنا لم نستطع أن نتبين طبيعة الإساءة التي صدرت منه، ولا بينت لنا النصوص حقيقة ما صدر منه بالتفصيل.. فلاحظ ما سنشير إليه فيما يلي أيضاً..

إرجاع خالد دون من عداه:

وقد ذكرت النصوص المتقدمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أمر علياً «عليه السلام» أن يقفل خالداً إليه، أما من معه، فهم بالخيار بين أن يقفلوا معه، وأن يلحقوا بأمر المؤمنين «عليه السلام».. وهذا يشير أكثر من علامة استفهام حول خالد، وحول طبيعة أذائه فيما يرتبط بالمهمة التي انتدبه النبي «صلى الله عليه وآله» إليها. وتؤكد هذه الشبهة إذا لوحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يلزم أحداً

من كانوا مع خالد بالمضي، أو بالرجوع..
ولعل عدم الإلزام هذا يهدف إلى تحقيق فرز طبيعي، وطوعي لمن كان
يوافق على مسلكية خالد عمن كان لا يوافقه رأيه، ولا يرضى مسلكيته.
ويكون الذين يلتحقون بعلي «عليه السلام» هم هذا الفريق الأخير..
غير أن النصوص المتوفرة لنا لا تخولنا تحديد طبيعة الخلل الذي ظهر
من خالد ومن مؤيديه.. ونحن لا نستغرب شحة النصوص هنا، فإن الأمر
يتعلق من جهة بخالد بن الوليد سيف السلطة الذي أشهرته في وجه
معارضيه، ممن رفض البيعة لأبي بكر..
ويرتبط بنحو أو بآخر بعلي «عليه السلام»، الذي غُصِبَ حقه،
ومورست ضده مختلف أساليب القهر والتزوير، وغير ذلك، ولم يزل
مبغضاً لكل الذين تعاقبوا على مقام الخلافة منذ وفاة رسول الله «صلى الله
عليه وآله»، وإلى ما بعد المئات من السنين..

فغنمت أواقى ذوات عدد:

والذي يقرأ سياق القصة، الذي ذكرناه آنفاً وفقاً لما ذكره الصالحى
الشامى لا يجد فيها ما يشير إلى أن المسلمين قد خاضوا حرباً، فما معنى قول
البراء: فغنمت أواقى ذوات عدد..

بل المذكور فيها هو: أن علياً «عليه السلام» صلى بأصحابه، ثم قرأ
الكتاب على الناس، فأسلمت همدان.. فممن غنم البراء تلك الأواقى ذات
العدد الكثير؟ وأين جرى ذلك القتال؟ ومع من؟ ومن الذي قُتل أو أسر
فيه؟ ومن هم السبايا؟ وما مصيرهم؟

فالظاهر الذي تعطيه مراجعة النصوص في المصادر الروائية والتاريخية:

أن ثمة خلطاً بين الروايات، والصحيح هو: أن علياً «عليه السلام» قد ذهب في سرية وذهب خالد في سرية أخرى، وقال لهما رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إن التقيتما فعلي هو الأمير..

ثم جرى فتح بعض الحصون على يد علي «عليه السلام»، ولعل خالداً أيضاً قد حصل بعض السبايا بسبب قتال في مجال آخر.. ثم اصطفى علي «عليه السلام» جاريته، واشتكى عليه بريدة بتحريض من خالد. أو بمشاركة منه كما تقدم..

ولعل هذا قد حصل في سرية كانت إلى بعض أطراف اليمن، أو القرية منها، وهي غير إرسال علي «عليه السلام» وخالد لدعوة أهل اليمن.. حسبما فصلناه..

سرور النبي صلى الله عليه وآله بإسلام همدان:

إن سرور النبي «صلى الله عليه وآله» بدخول الناس في الإسلام هو أمر طبيعي يفرضه حرصه «صلى الله عليه وآله» على إخراج الناس من الظلمات إلى النور. بالإضافة إلى أن يشعر كل من ينجز عملاً يتضمن نجات النفوس من الهلاك بنشوة خاصة، ولذة غير عادية.

ولكن ما أظهره النبي «صلى الله عليه وآله» من سرور حين بلغه إسلام قبيلة همدان كان غير عادي أيضاً إذا قيس بما رأيناه منه حين إسلام جماعات أخرى من الناس قد تكون أكثر عدداً، ولها موقع قد يترأى أنه أشد حساسية، وأعظم أهمية..

فقد سجد «صلى الله عليه وآله» ثم رفع رأسه وقال: السلام على همدان.. أكثر من مرة. وأطلق كلمات هامة في حق همدان أيضاً..

ونحن نعلم: أن اهتمام النبي «صلى الله عليه وآله» بأمر، يعكس أهمية ذلك الأمر في تأييد الدين، ونيل رضا رب العالمين، فهل تراه كان ينظر إلى الغيب، وتكشف له الحجب عن موقف مميز لهذه القبيلة، يكون له أثر هام في تأييد دين الله، وفي نصرة وصيه «صلى الله عليه وآله»، ووليه تبارك وتعالى؟!!

وإذا راجعنا التاريخ، فإننا لا نجد لهما همدان هذا الموقف المميز في حياة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بل كانت لها مواقف عظيمة بعد وفاته «صلى الله عليه وآله» طافحة بالتأييد والنصرة في ساحات الجهاد لوصي علي أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام، في صفين وفي غيرها، حتى قال «عليه السلام» مادحاً لها:

فلو كنت بواباً على باب جنة لقللت لهما همدان ادخلوا بسلام^(١)

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٣٩٤ والبحار ج ٣٢ ص ٤٧٧ وج ٣٨ ص ٧١ وأصدق الأخبار للسيد محسن الأمين ص ٩ والغدير ج ١١ ص ٢٢٢ ومستدرک سفينة البحار ج ١٠ ص ٥٥٢ والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» للرحماني الهمداني ص ٧٧٠ ومكاتيب الرسول ج ٢ ص ٥٥٦ و ٥٧٥ ومواقف الشيعة ج ١ ص ٣٩٠ ونهج السعادة للمحمودي ج ٥ ص ٤٣ وشرح النهج للمعتزلي ج ٥ ص ٢١٧ وج ٨ ص ٧٨ وتفسير الألوسي ج ١٩ ص ١٤٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٥ ص ٤٨٧ والأعلام للزركلي ج ٨ ص ٩٤ وأنساب الأشراف للبلاذري ص ٣٢٢ والأنساب للسمعاني ج ٥ ص ٦٤٧ =

ونذكر مثالين آخرين هنا أيضاً من مواقف همدان في نصرته الحق وأهله، وهما:

١ - إنه حين أراد أهل الكوفة بعد موت يزيد «لعنه الله» أن يؤمروا عليهم الخبيث المجرم عمر بن سعد لعنه الله واخزاه، جاءت نساء همدان، وربيعة، وكهلان، والأنصار، والنخع إلى الجامع الأعظم صارخات، باكيات، معولات، يندبن الحسين «عليه السلام» ويقلن: أما رضي عمر بن سعد بقتل الحسين حتى أراد أن يكون أميراً علينا على الكوفة؟! فبكى الناس وأعرضوا عنه^(١).

٢ - إنه حين طعن الإمام الحسن «عليه السلام» دعا ربيعة وحمدان. فأطافوا به ومنعوه، فسار ومعه شوب من غيرهم^(٢).

= والجوهرة في نسب الإمام علي وآله للبري ص ٢٥ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ١ ص ٢٥٢ وتاريخ الكوفة للسيد البراقبي ص ٢٣٤ و ٥٣١ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٤١٠ و ٤٨٩ و ٥٠٥ و ٥٥٣ و ج ٢ ص ٥١٥ و ج ٤ ص ١٦٠ و ٣٦٦ و ج ٧ ص ٤٣ و ٢٤٣ و ٢٤٥ و ج ٩ ص ٢٣٤ و وقعة صفين للمنقري ص ٢٧٤ و ٤٣٧ والفصول المهمة لابن الصباغ ج ١ ص ٦٠٤ وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن الدمشقي ج ٢ ص ٢٥٥ والخصائص الفاطمية للشيخ الكجوري ج ٢ ص ١١٠.

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ١٠٥ ومقتل الحسين للمقرم ص ٢٤٦ عنه. وأنصار الحسين «عليه السلام» للشيخ محمد مهدي شمس الدين ص ١٩٩ عن المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد): الكامل (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة - مطبعة نهضة مصر) (غير مؤرخة) ج ١ ص ٢٢٣.

(٢) كشف الغمة للأربلي ج ٢ ص ١٦٣ وراجع: الأخبار الطوال ص ٢١٧ والإرشاد=

لعله يغضب لابنته:

وقد ذكرت بعض نصوص حديث بريدة المتقدم: أنه لما ارتد عمرو بن معديكرب أرسل النبي «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» إلى بني زبيد، فغتم وسبى، واصطفى «عليه السلام» جارية، وذهب بريدة ليشكي على علي «عليه السلام».

فسار حتى انتهى إلى باب النبي «صلى الله عليه وآله»، فلقيه عمر بن الخطاب، فسأله عن حال غزوتهم، وعن الذي أقدمه. فأخبره أنه إنما جاء ليقع في علي «عليه السلام»، وذكر له اصطفاؤه الجارية من الخمس لنفسه.

فقال له عمر: امض لما جئت له، فإنه سيغضب لابنته مما صنع علي. ثم ذكرت الرواية: أن بريدة دخل على النبي «صلى الله عليه وآله» وجعل يحدثه بما جرى، فتغير وجه النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال له بريدة: إنك إن رخصت للناس في مثل هذا ذهب فيؤهم..

فقال له «صلى الله عليه وآله»: ويحك يا بريدة، أحدثت نفاقاً!!

إن علي بن أبي طالب يحل له من الفيء ما يحل لي.

إن علي بن أبي طالب خير الناس لك ولقومك، وخير من أخلف بعدي لكافة أمتي.

يا بريدة، احذر أن تبغض علياً فيبغضك الله.

قال بريدة: فتمنيت أن الأرض انشقت لي فسخت فيها الخ...^(١).

والذي يثير الإنتباه في هذا النص هو الأمور التالية:

١- إن بريدة قدم خصيصاً ليقع في علي «عليه السلام».

والسؤال الظاهر هنا هو: ألم يكن بإمكانه هو وخالد بن الوليد أن

يصبرا حتى يقدموا مع السرية على رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟

أم أنهما أرادا أن يتخذ رسول الله «صلى الله عليه وآله» إجراءً غريباً في

حق علي «عليه السلام» من دون أن يتمكن علي «عليه السلام» من الدفاع عن نفسه؟

أم أن الذي دعاها للعجلة هو شدة بغضهما لعلي «عليه السلام»، وقد

وجدا الفرصة للتنفيس عن هذا الحقد؟

أم أنهما خافا أن يحزن رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى صهره، وابن

عمه، لو أن الشكوى كانت بحضوره؟!

أما في حال غيبته، فإن وطأة هذا الحنين ستكون أخف، ولعل رسول

الله «صلى الله عليه وآله» يسارع إلى إصدار حكمه ضده، وسيكون التراجع

عنه صعباً، أو سيكون تراجعاً ضعيفاً وترقيعياً، لا يفي بالغرض، ولا يزيل

جميع الآثار والندوب والتشوهات؟!

٢- إن علياً «عليه السلام» قد بين لهم الحكم الشرعي، فلماذا، وما هو

(١) الإرشاد للمفيد ج ١ ص ١٦٠ و ١٦١ وراجع: قاموس الرجال ج ٢ ص ٢٨٨

عنه. وراجع: المستجد من الإرشاد (المجموعة) ص ٩٨ والبحار ج ٢١ ص ٣٥٨

وكشف الغمة ج ١ ص ٢٣٠.

٢٢٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

المبرر للوقعة به عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد أن اتضح لهم أنه «عليه السلام» لم يخالف حكم الله، فإن كانوا يرون خطأ علي «عليه السلام» فيما قال فلماذا لم يعترضوا عليه، ويفندوا أقواله؟!

ثم ألم يخطر في بالهم أن يجيبهم النبي «صلى الله عليه وآله» بنفس ما أجابهم به علي «عليه السلام»؟

وهذا ما حصل بالفعل، فإنه «صلى الله عليه وآله» قد أكد ما قاله لهم علي «عليه السلام» وزاد عليه: أن نصيب علي في الخمس كان أكثر من وصيفة.

٣ - ما هذا الحرص من عمر بن الخطاب على رؤية النبي «صلى الله عليه وآله» يغضب على علي بن أبي طالب «عليه السلام»، من أجل ابنته فاطمة الزهراء «عليها السلام»..

فهل كان يرى أن النبي «صلى الله عليه وآله» يبيع للناس أمراً.. ثم إنه حين يكون الأمر متعلقاً بابنته، يغضب ويمنع منه، انطلاقاً من هواه والعياذ بالله؟

ولماذا لم يقل عمر لبريدة: إن وقيعته بعلي «عليه السلام» لا تجدي، لأن علياً «عليه السلام» قد فعل ما يحل له.. إلا إذا كان عمر بن الخطاب أيضاً يجهل هذا الحكم الشرعي؟! وهذا ما لا يرضى فريق كبير من الناس بنسبته إلى عمر!!

٤ - إن علياً «عليه السلام» كان رجلاً حياً وستيراً ولم يكن من عادته أن يظهر للناس أي شيء يدهم على طبيعة ممارساته الجنسية، إلا إذا قتضت ضرورات دينية ذلك منه، وقد رأيناه هنا وكأنه يعتمد دفعهم إلى معرفة ما فعله، حيث يخرج على الناس ورأسه يقطر، فدعاهم ذلك إلى سؤاله عن

الفصل السابع: علي عليه السلام في اليمن ٢٢٧

ذلك، وإذ به يجيهم بالتفصيل، مصرحاً لهم: بأنه قد وقع بتلك الوصفة التي هي من أفضل السبي، على حد تعبير الروايات، وقد رأوها وعرفوها ولعلمهم كانوا يرغبون بها أيضاً.

مع أنه كان يستطيع أن يتجنب التصريح بهذا الأمر، فإن الإغتسال قد يكون لأكثر من سبب، أو أن يمتنع عن الإجابة، ويقول: ما أنتم وهذا السؤال؟

خير الناس علي عليه السلام:

وقد ذكرت رواية المفيد «رحمه الله»: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد قال لبريدة عن علي «عليه السلام»: إنه خير الناس لبريدة ولقومه، بل هو خير من يخلف بعده لكافة أمته «صلى الله عليه وآله».

وبذلك يكون «صلى الله عليه وآله» قد أدخل علياً «عليه السلام» إلى قلب بريدة عن طريق الرغبة الطبيعية لكل إنسان باستجلاب المنافع لنفسه ولقومه، ودرء المضار والأسواء عن نفسه وعنهم..

ثم أطلق «صلى الله عليه وآله» دعوته الشاملة لكافة أمته إلى محبة علي «عليه السلام»، مرتكزاً في دعوته تلك على نفس هذه المعادلة التي قدمها لبريدة..

ويديهي: أن الناس قبل تصفية أرواحهم، والسمو بنظرتهم، وإطلاق عقولهم من أسر الأهواء والشهوات، ينطلقون في مواقفهم من حبهم وبغضهم، وارتباطاتهم، ويكون إقدامهم وإحجامهم من منطلقات محسوسة أو قريبة من الحس بالنسبة إليهم، ولا يتفاعلون بعمق مع المثل والقيم الشريفة، والمفاهيم والمعاني الإيمانية العالية، ذات القيمة الروحية والمعنوية.

من أجل ذلك كان لابد من الرفق بهم، وتيسير الأمور عليهم، بإبراز الجانب الحسي، أو القريب من الحس لتقريبهم من خط الإستقامة على طريق تصفية قلوبهم، وأرواحهم، ليتمكنوا من نيل المعاني السامية، والتفاعل الروحي معها، والإنصهار في بوتقة الإيمان، والإنشداد إلى كل حقائقه ودقائقه، والتفاعل معها بكل وجودهم.

ما المبرر لهذا البغض؟!

وقد دلنا بريدة على بغضه الشديد لعلي «عليه السلام»، حتى لقد ذكر أنه كان يحب البعض لمجرد معرفته بشدة بغضه لأمر المؤمنين «عليه السلام».. ولكنه لم يذكر لنا أي مبرر لهذا البغض، رغم أن بريدة قد أسلم في أول سني الهجرة، حين مرَّ النبي «صلى الله عليه وآله» به - مهاجراً - من مكة، ثم قدم إلى المدينة بعد بدر وأحد^(١).

وقيل: إنه أسلم بعد منصرف النبي «صلى الله عليه وآله» قبل بدر^(٢).

(١) الإصابة ج ١ ص ١٤٦ والإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ١ ص ١٧٣ و ١٧٤ و ١٧٥ ومكاتب الرسول ج ٣ ص ٢٣٥.

(٢) سبل السلام ج ١ ص ١٠٧ وتحفة الأحوذى ج ١ ص ٤٠٠ وج ٢ ص ١٩١ وشرح مسند أبي حنيفة للملا علي القاري ص ١٠٣ وفيض القدير ج ١ ص ٤٢١ والإكمال في أسماء الرجال للخطيب التبريزي ص ٢٧ وتقريب التهذيب ج ١ ص ١٢٤ و ٣٧٨ والأعلام للزركلي ج ٢ ص ٥٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٥ ص ٧٦ وأعيان الشيعة ج ٣ ص ٥٦٠ وسبل الهدى والرشاد ج ١١ ص ٣٧٧ والإصابة ج ١ ص ١٤٦ والإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ١ ص ١٧٣ و ١٧٤ و ١٧٥.

فبريدة إذن قد عاش مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومع علي «عليه السلام» سنوات عديدة، يرى فيها تضحيات علي «عليه السلام» وسلوكه المثالي، وعبادته، واستقامته، ويرى حب النبي «صلى الله عليه وآله»، وتقديمه له، ويسمع أقواله فيه، فلماذا استمر على بغضه، ولم يؤثر فيه شيء من ذلك؟! ثم جاء هذا التحول الذي يتحدث عنه بريدة، بعد أن وجد نفسه أمام غضب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وغضب الله سبحانه، الأمر الذي جعله أمام خيار خطير جداً لا قبَلَ له به، فأثر أن يعلن توبته عن هذه الموبقة الكبرى، على الرضا بأن يكون في دائرة الكفر والنفاق، الذي انتقل - بما سمعه من رسول الله «صلى الله عليه وآله» - من الخفاء إلى العلن، وكاد أن يجد نفسه أمام فضيحة مرعبة وهائلة.. تجعله في مواجهة الخزي والعار، وفي موضع غضب الله ورسوله في الدنيا والآخرة.

وقد كان بريدة قبل هذه الحادثة يرى أنه قادر على التعلل فيما بينه وبين نفسه بأن له الحق في أن يبغض علياً «عليه السلام»، إن كان لم يسمع قول النبي «صلى الله عليه وآله» فيه: لا يبغضك إلا منافق، أو ابن زنا، أو نحو ذلك.. ثم أن يزين لنفسه أن جهاد وتضحية علي «عليه السلام» وما يراه من مواقف له، وما يسمعه من ثناء نبوي عليه، إنما يجري وفق ظواهر الأمور، وربما تكون البواطن على خلاف ذلك..

ولكنه بعد هذا الحدث - الصدمة - لم يعد قادراً على السير في هذا الاتجاه، لأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أخبره - وهو كما قال الله عز

٢٣٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

وجل: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾^(١): أن الله يبغض مبغض علي «عليه السلام»، وأن حبه واجب عليه، وأنه ولي كل مؤمن، فلم تعد القضية مقتصرة على ظواهر الأمور، بل هي قد كشفت بواطنها أيضاً..

إختلاف أقوال النبي ﷺ:

وقد ظهر من الروايات التي ذكرناها فيما سبق: أنها تتضمن نصوصاً متعددة كلها منسوبة إلى النبي «صلى الله عليه وآله» في حق علي «عليه السلام»..

ونبادر إلى القول:

إن ذلك الإختلاف لا يقلل من قيمتها، ولا يسيء إلى صديقتها، وإختلافها لا يؤيد الحكم باختلافها. لأن من القريب جداً أن يكون النبي «صلى الله عليه وآله» قد قال ذلك كله، لكن الرواة قد اختزلوا أقواله لدواع مختلفة.

ولعل بعض الإختلاف قد كان بسبب النقل بالمعنى أحياناً، كما أن نسيان الراوي لبعض الفقرات، قد يكون له دور في اقتصار روايته على فقرات دون غيرها. فليلاحظ ذلك.

علي ﷺ قابض أم قاسم:

قد اختلفت الروايات المتقدمة في المهمة التي أرسل النبي «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» لإنجازها، هل هي قبض الخمس من خالده؟

(١) الأيتان ٣ و ٤ من سورة النجم.

الفصل السابع: علي عليه السلام في اليمن ٢٣١
أم قسمة الفيء؟

ولعل الأرجح: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أرسله ليغنم، وليقبض، ويقسم، إذ لو كان المقصود هو مجرد قبض الخمس، فقد كان بإمكان خالد أن يرسله، أو أن يوصله هو إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» من دون حاجة إلى الطلب من رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأن يرسل إليه من يقبضه منه..

وقد كانت السرايا تقتسم الغنائم، وتحتفظ بالخمس إلى حين قدومها على رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

ولم نعهد في أية سرية سوى هذه السرية أن قائد سرية أرسل إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يطلب منه أن يبعث إليه من يقبض منه خمس الغنائم، وما أكثر السرايا التي أسر وسبى فيها المسلمون الشيء الكثير، العشرات والمئات، وغنموا في بعضها المئات والألوف، من الإبل، والغنم، وغير ذلك..

فما جرى في هذه الحادثة يعطينا: أنه «صلى الله عليه وآله» - لسبب ما - كان قد منع خالداً من التصرف بشيء من السبي والغنائم. إما لأنه كان يهتمهم في أمانته، أو لأنه أراد أن ينبه الناس على أن تأميره على السرية لا يعني صلاحيته لأي أمر آخر قد يحاول أن يرشح نفسه، أو يرشحه محبوه له.
أو لغير ذلك من مقاصد..

تتابع المخبرين:

وقد صرح النص المذكور عن الطبراني: بأن المخبرين قد تتابعوا على

٢٣٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

خالد بما صنعه علي «عليه السلام»، ثم تابعت الأخبار.
وهذا يدل على: أن المهتمين بإيصال أخبار علي «عليه السلام» إلى خالد كانوا على درجة كبيرة من الكثرة، وفي ذلك إشارة إلى كثرة المتعاطفين مع خالد، والمتحاملين على علي «عليه السلام»..

ولابد أن ينتج ذلك أيضاً: أن يكون الذين سوف يطلعون على موقف رسول الله «صلى الله عليه وآله» من هذا الأمر سيكونون كثيرون جداً، خصوصاً بعد انضمام كثير من أهل المدينة إليهم.. وسوف يزداد انتشار خبر بريدة، حين يرى الناس تبدل أحواله تجاه علي «عليه السلام» وتحوله من مبغض حاقد إلى محب مادح وحامد. ولابد أن يكون ذلك مفيداً جداً في تعريف الناس على ولاية علي «عليه السلام»، التي أنشأها النبي «صلى الله عليه وآله» في قوله لبريدة: من كنت وليه فعلي وليه.

أخذ الكتاب بشماله:

وعن أخذ رسول الله «صلى الله عليه وآله» كتاب خالد من بريدة بشماله نقول:

إن لهذا الحديث مغزى عميقاً، ودلالة هامة جداً، لأن المروي عنه «صلى الله عليه وآله» أنه: «كان يمينه لطعامه وشرابه، وأخذه وإعطائه، فكان لا يأخذ إلا بيمينه، ولا يعطي إلا بيمينه، وكان شماله لما سوى ذلك من بدنه، وكان يحب التيمن في كل أموره»^(١).

(١) مكارم الأخلاق ص ٢٣ والبحار ج ١٦ ص ٢٣٧ وسنن النبي للسيد الطباطبائي ص ١٢٠ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للشيخ هادي النجفي =

فأخذه كتابه بشماله - وهو ما لم نقرأ ولم نسمع أنه فعله في أي مورد آخر - يدلنا على: أن الله سبحانه قد كشف لنبيه «صلى الله عليه وآله» عن مضمون تلك الرسالة، وعرفه أنها تحمل في طياتها أموراً لا خير ولا يمن فيها، بل هي بمثابة قاذورات لا بد من التنزه عنها قولاً، وفعللاً، وممارسة، كما لا بد من إرفاقها بدلالات عملية، من شأنها أن تتجذر في عمق الذاكرة، لتبقى العلامة

= ج ١ ص ١٤٤ ومستدرك سفينة البحار ج ١٤ ص ١٥٤ وتفسير الميزان ج ٦ ص ٣١٣ ومعجم المحاسن والمساوي لأبي طالب التبريزي ص ٤٧١.

وراجع: سنن النسائي ج ٨ ص ١٣٣ ومنتهى المطلب (ط ق) ج ١ ص ٣٠٦ ومغني المحتاج للشربيني ج ١ ص ٥٥ وفتح المعين ج ١ ص ٦٥ والمغني لابن قدامة ج ١ ص ٩٠ والشرح الكبير لابن قدامة ج ١ ص ١٩ و ١١٠ و ج ٢ ص ٨٧ وتلخيص الحبير ج ١ ص ٤١٩ ومسند أحمد ج ٦ ص ٩٤ و ١٣٠ و ١٤٧ و ٢١٠ وصحيح البخاري ج ١ ص ١١٠ و ج ٦ ص ١٩٧ و ج ٧ ص ٤٩ وصحيح مسلم ج ١ ص ١٥٦ وسنن أبي داود ج ٢ ص ٢٧٧ وشرح مسلم للنووي ج ٣ ص ١٦٠ و ١٦١ ومسند أبي داود الطيالسي ج ١ ص ٢٠٠ ومجمع الزوائد ج ٥ ص ١٧١ و ج ١٠ ص ١٣٩ وجامع الأحاديث والمراسيل ج ٥ ص ٥١٩ ومشكاة المصابيح للهيتمي ج ٢ ص ١١١ والفتح الكبير ج ٢ ص ٣٦٤ وعمدة القاري ج ٣ ص ٣١ و ج ٤ ص ١٧١ و ج ٢١ ص ٣١ ومسند ابن راهويه ج ٣ ص ٨٢٠ و ٨٢١ ومسند أبي يعلى ج ٤ ص ٤٧٨ والجامع الصغير ج ٢ ص ٣٥١ وكنز العمال ج ٧ ص ١٢٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٣٨٦ و ٤٨١ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٤١١ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤ ص ٦١ وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ٢٥٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٨ ص ٩٣ و ج ٩ ص ٣٥٤ والنهية في غريب الحديث ج ٥ ص ٣٠٢ ولسان العرب ج ١٣ ص ٤٥٨ ومجمع البحرين ج ٤ ص ٥٨٣.

٢٣٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

الفارقة، التي لا مجال للتلاعب بها، أو التحايل عليها، والتي تشير إلى أن ثمة معنى سلبياً لا يتمكن أصحاب الأهواء من التعمية عليه، وتضييع سبل الوصول إليه.

من كنت مولاه فعلي وليه:

ويأتي قوله «صلى الله عليه وآله» لبريدة في هذه المناسبة بالذات: «من كنت وليه، فعلي وليه»، ليدل على أن ما يفعله علي «عليه السلام» في الشأن العام وكل ما يرتبط بالناس، فإنما هو من موقع الولاية، التي بيّن النبي «صلى الله عليه وآله» فيها ثلاثة أمور:

الأول: أنها من سنخ ولايته «صلى الله عليه وآله»..

الثاني: أن سعتها وامتدادها يوازي سعة وامتداد ولاية رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

الثالث: أنها ولاية فعلية، وفي عرض ولاية رسول الله «صلى الله عليه وآله» وليست إنشائية، بحيث تكون فعليتها بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، كما ربما يتوهمه البعض.

علي ﷺ يفعل ما أمر به:

وقد صرحت رواية الطبراني المتقدمة: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد قال لبريدة حينما وقع في علي «عليه السلام» بسبب الجارية: «أحب علياً، فإنما يفعل ما أمر به».

وهذا معناه: أن النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه هو الذي دبر هذا الأمر، وذلك بأمر من الله تبارك وتعالى، ربما ليمهد السبيل إلى التقرير

الواضح والصريح: في أن ولاية علي «عليه السلام» على الناس على حد ولاية النبي «صلى الله عليه وآله» عليهم.

فإن استدراج خالد وحزبه لإظهار دخائل نفوسهم تجاه علي «عليه السلام» كان مطلوباً.. لتعريف الناس بأن ذلك يغضب الله ورسوله.. وليكون كل موقف يتخذه هؤلاء، ومن هم على شاكلتهم إذا كان يتضمن الطعن في علي «عليه السلام»، والإنتقاص منه، فإنما يمثل تمرداً منهم على وليهم الذي تبلغ حدود ولايته نفس ما بلغت ولايته رسول الله «صلى الله عليه وآله» عليهم..

وبذلك تكون الحجة قد أقيمت وتمت على هؤلاء وعلى غيرهم، من الله ورسوله، قبل اتخاذهم أي موقف. الأمر الذي يجعل مواقفهم المخالفة قبل حدوثها مدانة ومرفوضة، وساقطة سلفاً، وهي من موجبات غضب الله ورسوله، ولا مجال لأي بحث، ولا يصح أي جدل فيها وحوها.

الغضب العظيم:

وقد صرح بريدة: بأنه رأى رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد غضب غضباً لم يره غضب مثله إلا يوم قريظة والنضير..

وكيف لا يغضب «صلى الله عليه وآله» وهو يرى أن هؤلاء يصرون على الطعن في علي «عليه السلام»، وعلى عدم الاستسلام لأمر الله ورسوله فيه، رغم مرور السنوات على رؤيتهم لجهاده وتضحياته، وكراماته الظاهرة، وآياته الباهرة، في بدر وفي أحد، وفي خيبر، والخنديق، والفتح، وحنين، وذات السلاسل وغير ذلك، ورغم سماعهم مباشرة، أو من خلال الشيعاء في الآفاق

٢٣٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦
ما كان ينزله الله تعالى فيه من آيات، وما يقوله رسوله «صلى الله عليه وآله» في
حقه «عليه السلام».

فلماذا يصمون آذانهم، ويطبقون أعينهم، فلا يرون، ولا يسمعون، ولا
يعقلون ذلك كله، ولا يستجيبون لما يريد الله ورسوله «صلى الله عليه
وآله»؟! وذلك هو سر تناهي غضب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى
هذا الحد، فإن من الواضح: أن عدم الإنقياد للإمام «عليه السلام» وعدم
الرضا بالإمامة يوازي هدم أساس الإسلام، وتقويض أركانه.

وفد همدان:

وفي سنة تسع، وبعد مرجع النبي «صلى الله عليه وآله» من تبوك جاء
وفد همدان إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» مع وفود وملوك حمير.
قالوا: «وكان الوافدون من كل بطن سيدهم، فكتب لهم «صلى الله
عليه وآله» كتاباً، وجعل لهم بعض الأراضي «ما أقاموا الصلاة، وآتوا
الزكاة»، فأسلموا، واستعمل مالك بن نمط على من أسلم من قومه، وأمره
بقتال ثقيف، فكان لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه»^(١).

(١) الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ٣ ص ٣٧٩ و (ط دار الجيل) ج ٣
ص ١٣٦٠ والإصابة ج ٣ ص ٣٥٦ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٥ ص ٥٥٩
وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٩٥ شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٤ ص ٣٤ وأسد
الغابة ج ٤ ص ٢٩٤ وزاد المعاد ج ٣ ص ٣٤ وعن السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٥٩
وراجع: السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٢٤٤ - ٢٤٥ ومكاتيب الرسول ج ٣
ص ٣٩١ وتاريخ مدينة دمشق ج ٥٦ ص ٤٨٢.

الفصل السابع: علي عليه السلام في اليمن ٢٣٧

وذكروا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال حين قدوم وفد همدان: «نعم الحلي همدان، ما أسرعها إلى النصر، وما أصبرها على الجهد، وفيهم أبدال، وفيهم أوتاد الإسلام»^(١).
ونقول:

إن لنا ملاحظات على ما سبق هي التالية:

١ - قالوا: «لم تكن همدان تقاتل ثقيفاً، ولا تغير على سرحهم، فإن همدان باليمن، وثقيف بالطائف»^(٢).

ولذلك رجحوا بل صححوا الحديث المتقدم، عن أن إسلام همدان كان على يد علي «عليه السلام» في اليمن نفسها، لا أنهم وفدوا إلى المدينة وأسلموا فيها^(٣).

٢ - استدل الزرقاني على بطلان حديث وفود همدان وإسلامها بنفس حديث إرسال خالد ثم علي «عليه السلام» إلى اليمن، إذ لو كانوا وفدوا إلى المدينة وأسلموا لم يرسل النبي «صلى الله عليه وآله» خالدًا ولا علياً «عليه

(١) أسد الغابة ج ٢ ص ٥١ ومكاتب الرسول ج ٣ ص ٣٧٧ و ٣٨٧ وكنز العمال ج ١٢ ص ٦٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٣٤١ وتاريخ مدينة دمشق ج ١٥ ص ١٨٦ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٤٣ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤٢٧ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٢٦٥.

(٢) تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٩٥ عن هدى العباد لابن القيم، وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٤ ص ٣٤ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٣٠ و (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٢٦٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٤٢٧ ومكاتب الرسول ج ٣ ص ٣٩١.

(٣) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٤ ص ٣٤ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٣٠.

السلام» إليهم.

وهناك مفارقة أخرى، وهي: أن في حديث البراء: أن بعث خالد وعلي «عليه السلام» قد كان في السنة الثامنة بعد قسمة غنائم حنين في الجعرانة، والوفد إلى المدينة إنما كان في التاسعة بعد تبوك.

فكيف يقال: إنهم أسلموا حين وفدوا إلى المدينة؟

ثم جمع بين القولين: بأنه قد يكون الذين أسلموا طائفة من همدان، والوفد إلى المدينة كان من طائفة أخرى منها، وإن اتحدا في الاسم^(١).
ونقول:

إن هذا الجمع لا يصح، لأن النص المتقدم يقول: «فأسلمت همدان جميعاً». إلا أن يقال: لعل المقصود: أن جميع من حضر منها قد أسلم بدعوة علي «عليه السلام».

ولكن هذا الإحتمال خلاف ظاهر النص، فلا يصار إليه..

ولعل الأقرب إلى الإعتبار أن يقال: قد تضمن كلام مالك بن نمط في محضر رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما يدل على أنهم كانوا مسلمين قبل وفودهم إليه، لا أنهم قد وفدوا، ثم أسلموا عنده، فقد قال مالك:
«أتوك على قلص نواج، متصلة بحبال الإسلام، لا تأخذهم في الله لومة لائم، من مخلاف خارف، ويام، وشاكر، أهل السّود، والقود. أجابوا دعوة الرسول، وفارقوا الآلهات والأنصاب، الخ..»^(٢).

(١) راجع: شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٤ ص ٣٤.

(٢) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٢٤٤ و (نشر مكتبة علي صبيح بمصر) =

الفصل السابع: علي عليه السلام في اليمن ٢٣٩

ومما يدل على ذلك دلالة واضحة أيضاً: قولهم: إن النبي «صلى الله عليه وآله» كتب إلى عمير ذي مرّان ومن أسلم من همدان كتاباً جاء فيه:

«أما بعد ذلك، فإنه بلغنا إسلامكم، مرجعنا من أرض الروم (أي من غزوة تبوك) فأبشروا، فإن الله قد هداكم بهداه...».

إلى أن قال: «إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل بيته، إنما هي زكاة تزكونها عن أموالكم لفقراء المسلمين...».

إلى أن قال: «وكتب علي بن أبي طالب»^(١).

= ج ٤ ص ١٠١٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٢ ص ١٠١ وغريب الحديث لابن قتيبة ج ١ ص ٢٣٩ ومكاتب الرسول ج ٣ ص ٣٨٩ والفايق في غريب الحديث ج ٣ ص ٢٩٩ ومعجم ما استعجم ج ٣ ص ٨٤٨ والنهية في غريب الحديث لابن الأثير ج ١ ص ٣٣٣.

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٧٠ ونقله في مكاتب الرسول ج ٣ ص ٣٩٣ عن اليعقوبي، وعن: المعجم الكبير ج ١٧ ص ٤٧ و ٤٨ وأسد الغابة ج ٤ ص ١٤٧ ورسالات نبوية ص ٢٠٢ وإعلام السائلين ص ٢٤ والإصابة ج ٣ ص ١٢١ في ترجمة عمير وج ٣ ص ٣٥٤ والمصنف لابن أبي شيبة ج ١٤ ص ٣٣٩ و ٣٤٠/١٨٤٧٩ ونشأة الدولة الإسلامية ص ٣٤٦. ومجموعة الوثائق السياسية ص ٢٣٠/١١١ عن جمع ممن تقدم، وعن: معجم الصحابة لابن قانع خطية كوبرلو ملخصاً ورقة: ١٢١ - ألف، ثم قال: قابل المعارف لابن قتيبة ص ٢٣٤ وراجع ص ٧١٩ عن سبل الهدى والرشاد للشامي خطية باريس/ ١٩٩٢ ورقة: ٦٧ - ألف. وأوعز إليه في: أسد الغابة ج ٢ ص ١٤٥ في «ذي مران» وج ٣ ص ٨٣ في عامر بن شهر، والإصابة ج ٢ ص ٢٥١ في عامر بن شهر، والإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ٢ ص ٤٩٣ والطبقات الكبرى ج ٦ ص ١٨ و ٤٢ =

فيلاحظ في هذا الكتاب:

١ - إنه يذكر: أن إسلام همدان قد بلغه بعد رجوعه من تبوك، وهو يدل على أنهم قد أسلموا في بلادهم قبل وصول وفدهم إليه، بل إن هذا الكتاب نفسه يدل على أنهم قد أسلموا أولاً، فبلغ ذلك النبي «صلى الله عليه وآله»، فكتب لهم هذا الكتاب، ولعلمهم قد أرسلوا إليه وفداً بعد وصول هذا الكتاب إليهم..

٢ - إن هذا الكتاب كان بخط علي «عليه السلام»، فلعله كان هو الذي أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» بإسلامهم.

ولكن السؤال هنا هو: إذا كان علي «عليه السلام» قد ذهب إليهم فور الفراغ من حرب حنين، فإنه قد عاد قبل غزوة تبوك قطعاً، لأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد خلفه في المدينة في هذه الغزوة قائلاً له: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى..»، فلماذا أخر إخبار النبي «صلى الله عليه وآله» بإسلامهم إلى ما بعد عودته من تبوك؟!

بل إن النصوص المتقدمة قد صرحت: بأنه لما أسلمت همدان كتب «عليه السلام» إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بإسلامهم، فلما قرأ الكتاب خر «صلى الله عليه وآله» ساجداً، وقال: السلام على همدان الخ.. ويمكن أن يجاب: بأن ذلك وإن كان صحيحاً، لكن لعله «صلى الله

= والكامل لابن عدي ج ٦ ص ٢٤١٤ والإكلیل ج ١٠ ص ٤٩. وفي رسالات نبوية: قال الحافظ وابن الأثير: أخرج الطبراني - ثم ساق الكتاب، فقال - قال ابن الأثير: أخرجه ابن مندة، وأبو نعيم، وابن عبد البر، وأخرجه ابن سعد في الطبقات.

الفصل السابع: علي عليه السلام في اليمن ٢٤١

عليه وآله» كان ينتظر تأكد إسلامهم عملياً، بحيث يظهر ذلك، ويرى الناس صدقهم فيه، وأنه لم يكن عن خوف من علي «عليه السلام».. فلما بلغه ذلك كتب إليهم بهذا الكتاب.

٣ - لقد لاحظنا: أنه «صلى الله عليه وآله» يستبق الأمور فيما يرتبط بدفع الوسوس والشبهات عن الناس، وتحصينهم من سوء الظن الذي يسيء إلى صفاء العقيدة، بل قد يسوقهم إلى التشكيك بالنبوة، والخروج من الإسلام، أو يجعل إسلامهم مشوباً بالنفاق، حين يظنون برسول الله «صلى الله عليه وآله» حب الدنيا، والطمع بأموالهم..

فأفهمهم «صلى الله عليه وآله» بما كتبه إليهم عن الصدقات التي تؤخذ منهم: أنه لا مجال لتلك التوهّمات في حقه، لأن ذلك مما لا يمكن حصوله، فقد أعلمهم أن هذه الأموال التي يأخذها منهم محرمة عليه وعلى أهل بيته أيضاً.

يضاف إلى ذلك: أنها ملك الغير، وليس مطلق الغير، بل خصوص الفقراء منهم.

فيتعاضد الحاجز الشرعي المتمثل بحرمة ذلك، مع المانع العاطفي والإنساني، ما دام أن ذلك المال هو للفقراء، الذين يكون نفس فقرهم حاجزاً للإنسان عن العدوان على أموالهم، الأمر الذي يجعل من أي وسوسة شيطانية ظاهرة الفساد، ولا يمكن إفساح المجال لها، إلا ممن يكون في قلبه مرض.

الفصل الثامن:

عودة علي عليه السلام إلى اليمن

نہ لٹا کر رکھو:

نہ لٹا کر رکھو:

سرية علي بن أبي طالب عليه السلام إلى اليمن المرة الثانية:

قال محمد بن عمر، وابن سعد، واللفظ للأول: بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» علياً إلى اليمن في شهر رمضان، وأمره أن يعسكر بقناة، فعسكر بها حتى تتام أصحابه. فعقد له رسول الله «صلى الله عليه وآله» لواءً، وأخذ عمامته فلفها مثنية مربعة، فجعلها في رأس الرمح، ثم دفعها إليه. وعممه بيده عمامة ثلاثة أكوار، وجعل له ذراعاً بين يديه، وشبراً من ورائه، وقال له: «امض ولا تلتفت».

فقال علي «عليه السلام»: يا رسول الله، ما أصنع؟

قال: «إذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك، وادعهم إلى أن يقولوا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فإن قالوا: نعم، فمرهم بالصلاة، فإن أجابوا، فمرهم بالزكاة، فإن أجابوا فلا تبغ منهم غير ذلك، والله، لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت».

فخرج علي «عليه السلام» في ثلاثمائة فارس، فكانت خيلهم أول خيل دخلت تلك البلاد. فلما انتهى إلى أدنى الناحية التي يريد من مذحج فرق أصحابه، فأتوا بنهب وغنائم وسبايا، نساء وأطفالاً، ونعماً وشاء، وغير ذلك. فجعل علي «عليه السلام» على الغنائم بريدة بن الحصيب الأسلمي،

فجمع إليه ما أصابوا قبل أن يلقي لهم جمعاً. ثم لقي جمعهم، فدعاهم إلى الإسلام، فأبوا، ورموا أصحابه بالنبل والحجارة.

فلما رأى أنهم لا يريدون إلا القتال صف أصحابه، ودفع اللواء إلى مسعود بن سنان السلمي، فتقدم به، فبرز رجل من مذحج يدعو إلى البراز، فبرز إليه الأسود بن خزاعي، فقتله الأسود، وأخذ سلبه.

ثم حمل عليهم علي «عليه السلام» وأصحابه، فقتل منهم عشرين رجلاً، فتفرقوا وانهزموا، وتركوا لواءهم قائماً، وكفَّ علي «عليه السلام» عن طلبهم، ثم دعاهم إلى الإسلام، فأسرعوا وأجابوا.

وتقدم نفر من رؤسائهم، فبايعوه على الإسلام وقالوا: نحن على من وراءنا من قومنا. وهذه صدقاتنا، فخذ منها حق الله تعالى.

وجمع علي «عليه السلام» ما أصاب من تلك الغنائم، فجزأها خمسة أجزاء، فكتب في سهم منها لله، ثم أقرع عليها، فخرج أول السهمان سهم الخمس، وقسم علي «عليه السلام» على أصحابه بقية المغنم. ولم ينفل أحداً من الناس شيئاً، وكان من كان قبله يعطون خيلهم الخاص دون غيرهم من الخمس، ثم يخبرون رسول الله «صلى الله عليه وآله» بذلك فلا يرده عليهم، فطلبوا ذلك من علي «عليه السلام»، فأبى، وقال: الخمس أحمله إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يرى فيه رأيه^(١).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٣٨ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٠٦ والطبقات الكبرى ج ٢ ق ١ ص ١٢٢ وشرح المواهب اللدنية ج ٥ ص ١٧٧ عن ابن سعد وراجع: إمتاع الأسماع ج ٢ ص ٩٦ و ٩٧ و شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٢١ ص ٦٢٧.

الفصل الثامن: عودة علي عليه السلام إلى اليمن ٢٤٧

وأقام فيهم يقرئهم القرآن، ويعلمهم الشرائع، وكتب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» كتاباً مع عبد الله بن عمرو بن عوف المزني يخبره الخبر. فأتى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يوافيه الموسم، فانصرف عبد الله بن عمرو بن عوف إلى علي «عليه السلام» بذلك، فانصرف علي «عليه السلام» راجعاً.

فلما كان بالفتق تعجل إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يخبره الخبر، وخلف على أصحابه والخمس أبا رافع، فوافي رسول الله «صلى الله عليه وآله» بركة قد قدمها للحج.

وكان في الخمس ثياب من ثياب اليمن، أحمال معكومة، ونعم وشاء مما غنموا، ونعم من صدقة أموالهم. فسأل أصحاب علي «عليه السلام» أبا رافع أن يكسوهم ثياباً يحرمون فيها، فكساهم منها ثوبين ثوبين.

فلما كانوا بالسدرة داخلين خرج علي «عليه السلام» ليتلقاهم ليقدم بهم، فرأى على أصحابه الثياب، فقال لأبي رافع: ما هذا؟ فقال: «كلموني، ففرقت من شكائهم، وظننت أن هذا ليسهل عليك، وقد كان من قبلك يفعل هذا بهم».

فقال: «قد رأيت امتناعي من ذلك، ثم أعطيتهم؟! وقد أمرتك أن تحتفظ بها خلفت، فتعطيهم؟».

فترع علي «عليه السلام» الحلل منهم.

فلما قدموا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» شكوه، فدعا علياً «عليه السلام»، فقال: «ما لأصحابك يشكونك؟»

قال: ما أشكيتهم، قسمت عليهم ما غنموا، وحبست الخمس حتى

يقدم عليك فترى فيه رأيك.

فسكت رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(١).

ونقول:

إن هذا النص قد تضمن أموراً عديدة يحسن الوقوف عندها، وهي التالية:

أول خيل دخلت إلى اليمن:

ذكر النص المتقدم: أن خيل علي «عليه السلام» كانت أول خيل دخلت إلى بلاد اليمن.

وهذا يلقي بظلال من الشك على ما تقدم، من أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أرسل خالداً إلى اليمن، وأنه قد حصل على بعض الغنائم، فطلب من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يرسل إليه من يقبضها منه..

إلا أن يقال: إنه ليس بالضرورة أن يكون خالد قد حصل على تلك الغنائم من بلاد اليمن، فلعلها حصلت له من مواجهات مع بعض القبائل التي صادفها في طريقه، أو قصدها لغرض الدعوة..

ولعله حين دخل خالد إلى بلاد اليمن لم يدخلها في خيل قتال.. ولكنه قد تعرض لأهل اليمن ببعض ما يسوءهم، فأثار حفيظتهم، فامتنعوا عن الإسلام.. ثم لما جاءهم علي «عليه السلام» وجدوا فيه نمطاً يختلف تماماً عن نمط من سبقوه، فقبلوا منه.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٣٩ وراجع: إمتاع الأسعاع ج ٢ ص ٩٧ وشرح إحقاق الحق ج ٢١ ص ٦٢٨.

إننا نلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» قد قال لعلي «عليه السلام» حين وجهه إلى اليمن: «إمض ولا تلتفت».

وهذه هي نفس الكلمة التي قالها له «عليه السلام»: حين وجهه إلى يهود خيبر، حيث قتل مرحباً، واقتلع باب خيبر، وفتح الحصن.. ولم نره قال ذلك لعلي «عليه السلام» في غير هذين الموردين.

وقد يقال: إن من نقاط الإشتراك بينهما: أن فتح خيبر، فيه إسقاط لهيمنة اليهود، في تلك المنطقة، وكسر لشوكتهم، وإذلال لهم.. وإسلام اليمن يمثل أيضاً ضربة قوية لعنفوان اليهود، الذين كانت لهم هيمنة كبيرة وانتشار واسع في تلك البلاد.

يضاف إلى ذلك: إرادة إظهار مدى طاعة علي «عليه السلام»، والتزامه بحرفية أوامر النبي الكريم «صلى الله عليه وآله».. لكي يوازن الناس بين ذلك وبين ممارسات غيره، ممن تكون أهواؤهم، وعصبياتهم هي المهيمنة على تصرفاتهم.

ثم إن هذا التوجيه يشير إلى لزوم الانضباط التام، وعدم التسامح، ولزوم الكف عن التوسع الإجهادي في تطبيق الأوامر الصادرة عن القيادة، فكيف إذا كانت هذه القيادة معصومة، ولها مقام النبوة الخاتمة؟!!

ثم إن هذا الأمر يعطي الإيجاء القوي: بأن على الإنسان حين يكلف بمهمة جهادية، وخصوصاً إذا كان ذلك من رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن لا يشغله أي شأن آخر، وأن يركز كل همه، ويحصر كل تفكيره، في تلك المهمة التي أوكلت إليه، وأن يقطع جميع تعلقاته بأي شيء آخر مهما كان..

لا تقاتلهم حتى يقاتلوك:

إن الإمام «عليه السلام» حين قال للنبي «صلى الله عليه وآله»: ما أصنع؟ فإنما أراد للناس كلهم أن يسمعوا الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله» وهو يحتم على مبعوثيه: أن لا يقاتلوا الآخرين حتى يقاتلوهم. وإن المهمة منحصرة في الدعوة إلى الإسلام والإيمان، وأن المطلوب هو هداية الناس إلى الله، وإلى سلوك طريق الرشاد والسداد، والهدى.

وهذا يشير إلى: أن هذا العدد الضخم لأفراد السرية قد كان لأجل أن يحفظ بعضهم بعضاً في أسفارهم في البراري والقفار حتى لا يجتري عليهم ضعفاء النفوس، والمتطفلون، والطامعون ممن يمتنون السلب والنهب كوسيلة للحصول على ما يعتاشون به، كما هو حال كثير من الناس في تلك الأيام.

التدرج في الدعوة، والإكتفاء باليسير:

وقد لوحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أمر علياً «عليه السلام»: بأن تكون دعوته للناس على مراحل..

ولوحظ أيضاً: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أمر علياً «عليه السلام» بأن يطلب منهم أموراً ثلاثة، بل هو قد منعه من طلب الزائد، أيّ كان نوعه وطبيعته..

فالمطلوب الأول هو: أن يقولوا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله..

فمجرد قول هذه الكلمة يكفي في عدم جواز التعرض لهم بشيء، بل هو لم يسمح بأي من أنواع التدقيق والبحث عما وراء هذا القول، حتى ولا

الإستفهام عن درجة الإيمان ومضمونه..

فإن قالوا ذلك، فالمطلوب الثاني هو: أن يصلّوا..

فإن فعلوا ذلك، فالمطلوب الثالث هو: أن يزكّوا..

ثم إنه «صلى الله عليه وآله» قد حسم الأمر فيما زاد عن ذلك، فقال: ولا تبغ منهم غير ذلك.

وهذا يعني: أن على من يشارك في تلك السرايا أن لا يتوهم أنها من مصادر الرزق، وأنه يباح له سلب أموال الناس تحت غطاء الدين والدعوة..

وأن على الذين يُدْعَوْنَ للإسلام أن لا يفكروا بأن هؤلاء الدعاة ومن وراءهم يطمعون بأموالهم، أو بنسائهم، أو بالهيمنة عليهم..

ثم إن الشهادة لله بالوحدانية، ولمحمد «صلى الله عليه وآله» بالرسالة هما من الأمور الإعتقادية القلبية، التي لا يعود نفعها لغير المعتقد بها.. وأما الصلاة فما هي إلا صلة وعلاقة بين الإنسان وربه.. والزكاة أيضاً إنما يعود نفعها للفقراء والمساكين، الذين لا يتحرج الناس في برّهم، وسدّ حاجاتهم.. ولا يجوز للنبي «صلى الله عليه وآله»، ولا لأحد من أهل بيته «صلى الله عليه وآله»، وعشيرته أن يستفيد منها، ولو بمقدار حبة، وذلك بمقتضى التشريع الإلهي الذي جاء به رسول الله «صلى الله عليه وآله».

هل أتوا بنهب وسبايا؟!

وقد ذكرت الروايات المتقدمة: أنه «عليه السلام» لما وصل إلى أدنى ما يريد من مذحج، فرق أصحابه، فأتوه بنهب وسبايا الخ.. قبل أن يلقي لهم

جمعاً، ثم لقي جمعهم فدعاهم الخ..

ولكن ذلك موضع ريب كبير، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أوصى علياً «عليه السلام» بأن لا يقاتلهم حتى يقاتلوه، فما معنى: أن يقبل من أصحابه السبايا والغنائم، والنهب الذي جاؤوه به، حيث اغتتموا فرصة غيبة الرجال عن الحي ولم يكن هناك من تعرض عليه الدعوة، فيقبلها، أو يردّها؟!.

فهل أجاز النبي «صلى الله عليه وآله» له الإتهاب والسبي، ومنعه من القتال؟!.

وهل يتوقع أن يتعرض مال شخص للإتهاب، وعرضه وأطفاله للسبي، ثم يقف مكتوف اليدين؟! فلا يعترض!! ولا يغضب!! ولا يعتبر ذلك ظلماً وتعدياً؟! ألا يتوقع منه أن يقول: لماذا لم تسألوني، ولم تعرضوا علي مطالبكم أولاً؟! فإن رفضتها بلا مبرر، فلکم الحق بانتهاب مالي، وسبي عيالي، وأطفالي؟!.

وهل يصح اعتبار هذا التصرف من مصاديق قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾؟! أم أنه أبعد ما يكون عن مفهوم هذه الآية؟!.

من أجل ذلك نقول:

لعل في الرواية تحريفاً لغاية في نفس يعقوب، أو لعل فيها سقطاً أوجب اختلال المعنى. أو لعل فيها تقديراً وتأخيراً، بتقدير، أن يكون «عليه السلام»

قد واجه رجالهم فدعاهم إلى الإسلام، فأبوا، ورموا أصحابه بالنبل والحجار، فقاتلهم فهزمهم، وقتل منهم، وتفرق أصحابه إلى مواضع نزولهم فأتوا بسبي وغنائم، ثم كف «عليه السلام» عن طلبهم، ثم دعاهم إلى الإسلام مرة أخرى فأسرعوا وأجابوا، وبايعه نفر من رؤسائهم، وضمنوا له الإسلام وراءهم..

سيرة علي عليه السلام في الخمس تخالف سيرة غيره:

وعن سيرة علي «عليه السلام» في الخمس نقول:

لقد كان النبي «صلى الله عليه وآله» يريد من جهة: أن يربي الناس على مفاهيم الشريعة، وعلى الالتزام بأحكامها. ويريد من جهة أخرى: أن يكون رفيقاً ورحيماً بهم، ومتألفاً لهم على هذا الدين.

وكان الناس آنئذٍ حديثي عهد بالجاهلية، ولم تستأصل مفاهيمها من نفوسهم، ولهم في الأموال رغبة، وفيهم إليها حاجة بصورة عامة.. وربما لم تكن القناعة قد تبلورت لديهم في موضوع الخمس، ولعل بعضهم كان يرى: أنه إذا كان - الخمس - للرسول «صلى الله عليه وآله»، فالمفروض هو: أن يتنازل عنه لمصلحتهم.

فصاروا يستأثرون به لأنفسهم بصورة منتظمة، فيعطيه قادتهم إلى خيلهم الخاص دون غيرهم، ثم يخبرون النبي «صلى الله عليه وآله» بذلك، فلا يرده عليهم..

وحين لم يفعل ذلك علي «عليه السلام» طالبوه به، فرفض إجابة طلبهم، وحمل الخمس إلى النبي «صلى الله عليه وآله» فلما رجعوا شكوا عليه «عليه السلام» إليه «صلى الله عليه وآله».. فسأله فأخبره، فسكت «صلى الله

عليه وآله»، وانتهى الأمر عند هذا الحد..

فنلاحظ هنا:

- ١ - أنه كان من غير اللائق بأولئك القادة أن يتصرفوا بالخمسة، من دون إذن من صاحبه، واضعين النبي «صلى الله عليه وآله» أمام الأمر الواقع.
- ٢ - إن القائد الذي يؤيِّله رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمين على الأموال، وليس وكيلاً في صرفها كيف شاء.
- ٣ - إن مطالبة أولئك الناس لقوادهم بأموال ليست لهم، لا مبرر لها.. فكيف إذا بلغ الأمر بهم حد شكاية قائدهم، إذا امتنع عن إعطائهم أموالاً لا حق لهم فيها؟!.
- ٤ - لو أن النبي «صلى الله عليه وآله» أراد أن يضع حداً لهذا التصرف لاتهم بالبخل والعياذ بالله.. فلذلك كان لا يطالبهم بها أخذوه مما يعود إليه.
- ٥ - لو أن علياً «عليه السلام» لم يبادر إلى وضع حد لهذا التصرف المخالف، لأصبح سنة، ولضاعت الفائدة من تشريع الخمسة، ولبطل التشريع من أصله، إذا كان هناك من يريد أن يفهم من هذا السلوك النبوي وسماحته «صلى الله عليه وآله» وكرم أخلاقه على أنه نسخ للتشريع بصورة عملية..
- ٦ - إنهم قد اغتتموا فرصة غياب علي «عليه السلام» لمعاودة السعي للحصول على تلك الأموال التي لا حق لهم بها، وكأنهم ظنوا أن غيبته «عليه السلام» تزيل عنه صفة الأمين على ذلك المال والمسؤول عنه..
- ٧ - إن علياً «عليه السلام» قد استعاد الحلل التي كان أبو رافع قد قسمها على أفراد السرية وإن كان أبو رافع قد تحجج بـ:
ألف: أنه قد خاف من شكائتهم.

ب: أنه ظن أن هذا الأمر يسهل على علي «عليه السلام».

ج: أن من كان قبل علي «عليه السلام» كان يفعل ذلك..

وهي حجج واهية: فإنه رجل قد اؤتمن على مال غيره، فلا معنى للخوف من شكاية الناس الذين كانوا معه، إذا كانت شكايتهم على منعهم أمراً لا يستحقونه..

وقد كان المال لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعلى علي «عليه السلام» أن يوصله إليه، فكيف يسهل عليه إعطاؤه لغير صاحبه؟!
وفعل غير علي «عليه السلام» إذا كان خطأ، لا يصلح للتأسي به، أو الإستناد إليه.. فإن الخطأ لا ينتج صواباً..

٨- إن هؤلاء الذين يسعون للحصول على مال لا يملكونه، ويغتنمون فرصة غياب الأمين على ذلك المال، ليأخذوه من الذي ائتمنه عليه، بعد أن منعهم هو منه، يريدون أن يستفيدوا من نفس هذا المال في إحرام حجهم، الذي يفترض فيهم: أن يهتموا بأن يبعده عن أية شبهة، وعن أي مال يشك في حليته وطيبه..

علي عليه السلام المقرئ والمعلم:

وقد تقدم: أن علياً «عليه السلام» أقام في أهل اليمن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الشرائع.. وهذا هو ما يطمح إليه أمير المؤمنين «عليه السلام»، فإن ما يسعده، ويلد له هو إخراج الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن الضلال إلى الهدى، وأن يعيش الناس أحراراً، سعداء برضا الله، ملتزمين بشرائعه، إخواناً على سرر متقابلين، لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً

٢٥٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

من دون الله، ولا يسعى بعضهم للتسلط على بعض، وإذلاله، والإستئثار بالخيرات والمنافع دونه..

ولا يريد أن يكون جباراً في الأرض، ولا أن يهيمن على الناس، وتخضع له رقابهم، ولا يبغى الراحة لنفسه بتعبهم، ولا الغنى بفقرهم، ولا عزةً بذهم.

عممه بعمامته، وبيده:

وقد تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد تصرف مع علي «عليه السلام» بصورة من شأنها أن تظهر فضله «عليه السلام» وموقعه، حين انتظر حتى تمام أصحابه في معسكرهم.

ثم عقد له لواء، وأخذ عمامته ولفها مثنية مربعة، فجعلها في رأس الرمح. ثم دفعها إليه..

ثم عممه بيده عمامة ثلاثة أكوار. وجعل له ذراعاً بين يديه، وشبراً من ورائه، ثم أصدر إليه الأمر بالمضي، وعدم الإلتفات..

وكل ذلك يجعل الناس يعيشون لحظات من الرقابة المتمازجة بمشاعر الإعجاب والرضا، والإيغال في آفاق البهاء والصفاء، والجمال والجلال، والمحبة والرضا.

القاضي والمعلم لأهل اليمن:

تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد نهى علياً «عليه السلام» عن قتال أحد إلا أن يقاتلوه، وأعطاه تعليماته التي بينت: أن المطلوب هو دعوتهم إلى الله تعالى، وأن عليه أن يتدرج في طلب ذلك منهم، ولكنه لم يزد

الفصل الثامن: عودة علي عليه السلام إلى اليمن ٢٥٧
عن طلب ثلاثة أشياء، كما سلف..

وصرحت نصوص أخرى: بأن النبي «صلى الله عليه وآله»، قد أرسل علياً «عليه السلام» إلى اليمن قاضياً.

وزعمت: أنه «عليه السلام» قال للنبي «صلى الله عليه وآله»: تبعني إلى قوم وأنا حدث السن ولا علم لي بالقضاء (أو بكثير من القضاء)، فوضع يده على صدره وقال: إن الله سيهدي قلبك، ويثبت لسانك. يا علي، إذا جلس إليك الخصمان، فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر الخ..^(١).

(١) مسند أحمد ج ١ ص ٨٣ و ٨٨ و ١٤٩ و (ط دار صادر) ج ١ ص ١١١ والطبقات الكبرى (ط دار المعارف بمصر) ج ٢ ص ٣٣٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج ١٠ ص ١٤٠ وذخائر المواريث ج ٣ ص ١٤ وتيسير الوصول (ط نول كشور) ج ٢ ص ٢١٦ وقضاة الأندلس ص ٢٣ وخصائص الإمام علي «عليه السلام» للنسائي (ط التقديم بمصر) ص ١٢ وأخبار القضاة لو كيع ج ١ ص ٨٥ وفرائد السمطين، ونظم درر السمطين ص ١٢٧ والشذورات الذهبية ص ١١٩ وطبقات الفقهاء ص ١٦ وشرح النهج للمعتزلي ج ٢ ص ٢٣٦ ومناقب علي «عليه السلام» لابن المغازلي ص ٢٤٨ والرصف ص ٣١٣ وجمع الفوائد من جامع الأصول، وجمع الزوائد ج ١ ص ٢٥٩ وفتح المنعم (مطبوع مع زاد المسلم) ج ٤ ص ٢١٧ والبحار ج ٢١ ص ٣٦٠ و ٣٦١ وفي هامشه عن: إعلام الوری (ط ١) ص ٨٠ و (ط ٢) ص ١٣٧. وراجع: العمدة لابن البطريق ص ٢٥٦ وفتح الباري ج ٨ ص ٥٢ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١١٧ وكنز العمال ج ١٣ ص ١٢٥ والبدایة والنهاية ج ٥ ص ١٢٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٢٠٨ وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي «عليه السلام» ج ١ ص ٢٠٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٧ ص ٦٥ و ج ٢٠ ص ٥٦٥ و ٥٧١ و ج ٢٢ ص ١٧٦ و ج ٣١ ص ٣٨٧.

ولذلك اعتبر السكتواري علياً «عليه السلام» أول قاض بعثه رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى اليمن^(١).

غير أننا نقول:

إن النبي «صلى الله عليه وآله» كان قد صرح بما يدل على رسوخ قدم علي «عليه السلام» في العلم في مناسبات كثيرة قبل ذهاب علي «عليه السلام» إلى اليمن، ولم يزل يجهر بذلك على مدى ثلاث وعشرين سنة، فهو عيبة علمه، وهو منه بمنزلة هارون من موسى، وهو مدينة العلم وعلي بابها، إلى غير ذلك مما يتعذر جمعه، وإحصاؤه، وقد نزلت فيه «عليه السلام» آيات كثيرة تشير إلى علمه هذا، ويكفي قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(٢).

يضاف إلى ذلك: أنه «عليه السلام» نفس رسول الله «صلى الله عليه وآله» بنص آية المباهلة، وهل يمكن أن يكون كذلك إذا كان - حسب زعمهم - إلى أواخر حياة رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا يعرف القضاء؟!^(٣).

ويمكن أن يجاب: بأنه «عليه السلام» إنما تكلم بلسان غيره، وعبر عن مكنونات ضمائرهم، لكي يُسمعهم ويُسمع الأجيال كلها إلى يوم القيامة جواب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، القاطع لكل عذر، والمبدد لجميع الأوهام، وليبوء هؤلاء بالإثم والخزي والخذلان..

(١) محاضرة الأوائل ص ٦٢.

(٢) الآية ٢٤ من سورة الرعد.

(٣) وقد ذكر في إحقاق الحق (قسم الملحقات) مئات الأحاديث الدالة على علم الإمام علي «عليه السلام» وفضله فراجع.

الفصل الثامن: عودة علي عليه السلام إلى اليمن ٢٥٩

الرواية الأقرب إلى القبول:

وبالنسبة لذهاب علي «عليه السلام» إلى اليمن نقول:
لعل الصحيح هو: أنه «عليه السلام» قد ذهب إلى اليمن أولاً،
فأسلمت همدان كلها على يديه في ساعة واحدة، وانتشر الإسلام في تلك
البلاد.

ثم إن أهلها شعروا بحاجتهم إلى من يفقههم في الدين، فوفدوا إلى
رسول الله «صلى الله عليه وآله» وطلبوا منه ذلك، فأرسل إليهم علياً «عليه
السلام» مرة ثانية، فقد روي: أنه أتى النبي «صلى الله عليه وآله» ناس من
اليمن، فقالوا: ابعث فينا من يفقهنا في الدين، ويعلمنا السنن، ويحكم فينا
بكتاب الله.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: انطلق يا علي إلى أهل اليمن، ففقههم
في الدين وعلمهم السنن، واحكم فيهم بكتاب الله.
فقلت: إن أهل اليمن قوم طغام، يأتوني من القضاء بما لا علم لي به.
فضرب «صلى الله عليه وآله» على صدري، ثم قال: اذهب، فإن الله
سيهدي قلبك، ويثبت لسانك. فما شككت في قضاء بين اثنين حتى
الساعة^(١).

(١) منتخب كثر العمال (مطبوع مع مسند أحمد) ج ٥ ص ٣٦ وكثر العمال ج ١٣
ص ١١٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٣٥ وو ٤٠ و ٤٥ وج ٢١
ص ٦٣٤ وج ٢٢ ص ٥١١ وج ٢٣ ص ٦٦٧ وراجع: أخبار القضاة لمحمد بن
خلف بن حيان ج ١ ص ٨٦ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٣ ص ٦٣٧.

٢٦٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

وقال الطبرسي: بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» إلى اليمن، ليدعوهم إلى الإسلام، وليخمس ركازهم، ويعلمهم الأحكام، ويبين لهم الحلال والحرام، وإلى أهل نجران ليجمع صدقاتهم، ويقدم عليه بجزيتهم^(١).

النبي ﷺ لم يعلم علياً عليه السلام القضاء:

ولعل من المهم هنا: أن نشير إلى أن الملاحظ هو: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يعلم علياً «عليه السلام» القضاء، بل اكتفى بالطلب إليه أن لا يقضي بين الخصمين حتى يسمع كلامهما.. ثم أخبره بأن الله تعالى هو الذي يتولى هداية قلبه، وتثبيت لسانه على الحق والصواب.

ولا ريب في أن ذلك لن يكون على سبيل القهر والجبر، بل هو منحة إلهية، تدل على مكانة علي «عليه السلام» عند الله تبارك وتعالى، وعلى أنه «عليه السلام» قد بلغ هذا المقام بجهده وجهاده، فاستحق هذه الهداية الإلهية على قاعدة: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(٢)، ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾^(٣)، ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾^(٤).

(١) البحار ج ٢١ ص ٣٦٠ وفي هامشه عن: إعلام الوری (ط) ١ ص ٧٩ و ٨٠ و (ط) ٢ ص ١٣٧.

(٢) الآية ٦٩ من سورة العنكبوت.

(٣) الآية ١٧ من سورة محمد.

(٤) الآية ١١ من سورة التغابن.

الفصل الثامن: عودة علي عليه السلام إلى اليمن ٢٦١
قضاء علي عليه السلام قضاء النبي صلى الله عليه وآله:

وقد ذكروا العديد من مفردات الأقضية التي صدرت عن علي عليه السلام في اليمن، ومنها:

١ - قالوا: احتفر قوم بئراً باليمن، فأصبحوا وقد سقط فيها أسد، فنظروا إليه، فسقط إنسان بالبئر، فتعلق بآخر، وتعلق الآخر بآخر، حتى كانوا في البئر أربعة، فقتلهم الأسد، فأهوى إليه رجل برمح فقتله.
فتحاكموا إلى علي عليه السلام.

فقال: ربع دية، وثلاث دية، ونصف دية، ودية تامة: للأسفل ربع دية، من أجل أنه هلك فوقه ثلاثة، وللثاني ثلث دية، لأنه هلك فوقه إثنان، وللثالث نصف دية، من أجل أنه هلك فوقه واحد، وللأعلى الدية كاملة.
فإن رضيتم فهو بينكم قضاء، وإن لم ترضوا فلا حق لكم حتى تأتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فيقضي بينكم.

فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله قصوا عليه خبرهم، فقال: «أنا أقضي بينكم إن شاء الله تعالى».

فقال بعضهم: يا رسول الله، إن علينا قد قضى بيننا.

قال: «فيم قضى؟» فأخبروه.

فقال: «هو كما قضى به»^(١).

(١) راجع: مسند الطيالسي ص ١٨ وأخبار القضاة لوكيع ج ١ ص ٩٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ١١١ وذخائر العقبى ص ٨٤ وتذكرة الخواص ص ٤٩ والقياس في الشرع الإسلامي ص ٤٥ وأعلام الموقعين ج ٢ ص ٣٩ ومجمع بحار الأنوار =

٢٦٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

٢ - كان علي «عليه السلام» باليمن، فأُتي بامرأة وطأها ثلاثة نفر في
طهر واحد، فسأل اثنين: أتقران لهذا بالولد؟
فلم يقرأ.

ثم سأل اثنين: أتقران لهذا بالولد؟
فلم يقرأ.

ثم سأل اثنين، حتى فرغ، يسأل اثنين اثنين غير واحد، فلم يقرأوا.
ثم أقرع بينهم، فألزم الولد، الذي خرجت عليه القرعة، وجعل عليه
ثلثي الدية.

فرُفع ذلك للنبي «صلى الله عليه وآله»، فضحك حتى بدت نواجذه
زاد في نص آخر: وقال: «القضاء ما قضى».
أو قال: «لا أعلم فيها إلا ما قضى علي».

= ج ٢ ص ٥٧ وينابيع المودة ص ٧٥ وأرجح المطالب ص ١٢٠ والطرق الحكيمة
لابن القيم ص ٢٦٢ عن أحمد، وأبي داود، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم في
صحيحه، وإرشاد الفحول ص ٢٥٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٣٩ ومسند
أحمد ج ١ ص ٧٧ و ١٥٢ ومشكل الآثار ج ٣ ص ٥٨ وكتاب الديات للشيباني
ص ٦٥ وتفريع الأحباب ص ٣٢١ ووسيلة النجاة للسهالوي ص ١٥٢ ومرآة
المؤمنين ص ٧٠ وكنز العمال (ط الهند) ج ١٥ ص ١٠٣ عن الطيالسي، وابن أبي
شيبه، وأحمد، وابن منيع، وابن جرير وصححه، وقرة العينين في تفضيل
الشيخين ص ١٥٨ وبذل القوة ص ٢٨٥ وتلخيص التحرير ج ٤ ص ٣٠ عن
أحمد، والبزار، والبيهقي، وإحقاق الحق (الملحقات) ج ١٧ ص ٤٩٣ - ٤٩٧
وج ٨ ص ٦٧ - ٧٠ عما تقدم وعن مصادر أخرى.

الفصل الثامن: عودة علي عليه السلام إلى اليمن ٢٦٣
أو قال: «حكمت فيه بحكم الله».

أو قال: «لقد رضي الله عز وجل حكمك فيهم»^(١).

٣ - عن أبي جعفر الباقر «عليه السلام»، قال: بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» إلى اليمن، فانفلت فرس لرجل من أهل اليمن، فنفع رجلاً برجله فقتله، وأخذه أولياء المقتول، فرفعوه إلى علي «عليه السلام»، فأقام صاحب الفرس البيّنة أن الفرس انفلت من داره فنفع الرجل برجله، فأبطل علي «عليه السلام» دم الرجل.

فجاء أولياء المقتول من اليمن إلى النبي «صلى الله عليه وآله» يشكون علياً «عليه السلام» فيما حكم عليهم، فقالوا: إن علياً ظلمنا، وأبطل دم صاحبنا.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إن علياً ليس بظلام، ولم يخلق

(١) راجع: مسند أحمد ج ٤ ص ٣٧٣ وسنن النسائي (ط الميمنة بمصر) ج ٢ ص ١٠٧ وأخبار القضاة ج ١ ص ٩٠ و ٩١ و ٩٣ و ٩٤ ومستدرك الحاكم ج ٢ ص ٢٠٧ وج ٣ ص ١٣٥ وج ٤ ص ٩٦ وتلخيص المستدرك للذهبي (مطبوع مع المستدرك) ج ٤ ص ٩٦ وذخائر العقبى ص ٨٥ والقياس في الشرع الإسلامي ص ٤٨ وزاد المعاد لابن القيم (ط الأزهرية بمصر) ج ٧ ص ٣٨٠ والبداية والنهاية ج ٥ ص ١٠٧ عن أحمد، وأبي داود، والنسائي، وينايع المودة ص ٢١١ و ٧٥ وتيسير الوصول ج ٢ ص ٢٨١ وأرجح المطالب ص ١٢١ والمعجم الكبير ج ٥ ص ١٩٣ و ١٩٤ وفيه: أن علياً «عليه السلام» كتب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يخبره بذلك. ومسند ابن أبي شيبة ج ٢ ص ٣٤٥ وأخبار الموفقيات ص ٣٦٣ عن مسند الحميدي، ومرآة المؤمنين ص ٧١.

٢٦٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

علي للظلم، وإن الولاية من بعدي لعلي، والحكم حكمه، والقول قوله، لا يرد حكمه وقوله وولايته إلا كافر، ولا يرضى بحكمه وقوله وولايته إلا مؤمن.

فلما سمع اليمانيون قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» في علي «عليه السلام» قالوا: يا رسول الله، رضينا بقول علي وحكمه.
فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: هو توبتكم مما قلتم^(١).
ونقول:

إن هناك العديد من الأمور التي تضمنتها هذه النصوص، ويحسن منا لفت النظر إليها هنا، ومنها:

شكاية الخصوم إلى رسول الله ﷺ:

إن المتخاصمين لم يرضوا بقضاء علي «عليه السلام» في الموارد الثلاثة المنقولة آنفاً، ولا نرى أن ذلك لسوء نظر، أو لكرهية منهم لشخص علي «عليه السلام»، بل لأن التخاصم بين الناس يكون عادة بسبب شبهة دخلت على أحد المتخاصمين، أو على كليهما، توجب وقوعه في وهم أن

(١) البحار ج ٢١ ص ٣٦٢ عن قصص الأنبياء، الأماي للشيخ الصدوق ص ٤٢٨ ومستدرک الوسائل ج ١٨ ص ٣٢٢ والبحار ج ٢١ ص ٣٦٢ وج ٣٨ ص ١٠٢ وج ٤٠ ص ٣١٦ وج ١٠١ ص ٣٩٠ وجامع أحاديث الشيعة ج ٢٦ ص ٣٤٣ وعجائب أحكام أمير المؤمنين «عليه السلام» للسيد محسن الأمين ص ٤٢ وقضاء أمير المؤمنين علي «عليه السلام» ص ١٩٢ عن الكليني، والشيخ، وعن الصدوق في أماليه. والكافي ج ٧ ص ٣٥٣

يكون الحق معه وإلى جانبه. فيبحث عمن يساعده في نيل حقه، أو عمن يدفع عنه خصومة مدعي الحق عنده. وفق ضوابط عقلية، ومسلمات شرعية، أو توافقات أو أعراف اجتماعية مع رعاية قانون العدل والإنصاف، وعدم الإنقياد للهوى فيما يقضى به..

ولم يكن هؤلاء الناس قد عرفوا شيئاً ذا بال عن علي «عليه السلام»، وعن جهاده، وتضحياته، وعلمه، والآيات النازلة في حقه، وأقوال النبي «صلى الله عليه وآله» فيه.. إلا ما ربما يكونون قد شاهدوه منه في تلك المدة السيرة التي عاشها بينهم، وهو يعلمهم، ويهديهم، ويرشدهم، ويقضي بينهم بأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فلعلمهم ظنوا: أنه لا يملك الكثير من المعرفة بأسرار القضاء، فطلبوا الإستيثاق من صحة قضائه.

أو أنهم ظنوا: أنه قد ظلمهم في بعض قضائه فيهم..

فجاءهم الرد الحاسم من رسول الله «صلى الله عليه وآله» في هذه الرواية الأخيرة، حيث بين لهم حقيقة علي «عليه السلام» وموقعه، والمقام الذي جعله الله تعالى له فيهم، وهو مقام الولاية، وحكم من يرُدُّ حكمه، وقوله، وولايته..

علي ليس بظلام:

٢- وقد قرر «صلى الله عليه وآله»: أن علياً «عليه السلام» ليس بظلام، ولم يخلق علي «عليه السلام» للظلم.. ليكون هذا القول هو الضابطة في شأن من تكون له الولاية على الناس، فإن من يظلم فرداً من الناس فلا يؤمن من

٢٦٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

أن ينال بظلمه كل فردٍ فردٍ منهم، إذ لا خصوصية للفرد الذي ظلم أولاً. ولذلك عبّر «صلى الله عليه وآله» بكلمة «ظلام».

والمطلوب من الولي هو: إنصاف الناس، وإيصال الخير إليهم، فالظلام الذي قد ينال ظلمه كل فردٍ فردٍ، ولو على سبيل الإحتمال لا يصلح للولاية.. ثم إنه «صلى الله عليه وآله» بيّن أن غاية خلق علي «عليه السلام» لم تكن هي الظلم، فهو صاحب الفطرة الصافية التي لا تشوبها أية شائبة، وقد استمرت على هذا الصفاء والنقاء، حيث إنه لا تصدر منه أي من مفردات الظلم، فهو ليس بظلام للأفراد..

عودة إلى مسألة التربية:

بالنسبة للذين قتلهم الأسد في البئر نقول:

اختلفت الرواية في الحكم الذي صدر عنه «عليه السلام»، فواحدة تقول: إن للأول ربع الدية، وللثاني ثلثها، وللثالث نصفها، وللرابع الدية كاملة، وجعلها «عليه السلام» على قبائل الذين ازدحموا..

قال التستري: للأول الربع، لاحتمال استناد موته إلى أربعة أشياء:

أحدها: تضيق المزدحمين، وباقيا إسقاطه لثلاثة رجال فوق نفسه.

وللثاني الثلث، لإحتمال استناده إلى ثلاثة أمور:

أحدها: إسقاط الأول له.

وللثالث النصف، حيث يحتمل استناده إلى أمرين:

أحدهما: إسقاط الثاني له.

وللرابع التمام حيث إن قتله كله مستند إلى الثالث، وجعل الدية على

الفصل الثامن: عودة علي عليه السلام إلى اليمن ٢٦٧
قبائل المزدحمين لأن الساقطين أيضاً كانوا منهم^(١).

وجاء في نص آخر أنه «عليه السلام» قال: الأول فريسة الأسد، وغرم أهله ثلث الدية لأهل الثاني، وغرم الثاني لأهل الثالث ثلثي الدية.. وغرم الثالث لأهل الرابع الدية كاملة^(٢).

وذكر التستري: أن الوجه في ذلك: أن هلاك الأول لم يكن مستنداً إلى أحد..

والثاني كان هلاكه مستنداً إلى ثلاثة أمور: جذب الأول، وسقوط الثالث والرابع فوقه، وكان هو السبب في سقوطهما، فيكون ثلث قتله مستنداً إلى الأول فله الثلث.

والثالث كان ثلث قتله مستنداً إلى نفسه بجذب الرابع، فيكون له الثلثان فقط على الثاني.

والرابع كان جميع قتله مستنداً إلى الثالث، فكان عليه تمام ديته^(٣).

(١) قضاء أمير المؤمنين علي «عليه السلام» ص ٣٦.

(٢) راجع: الوسائل (ط الإسلامية) ج ٩ ص ١٧٦ وقضاء أمير المؤمنين علي «عليه السلام» للتستري ص ٣٥ عن الإرشاد، وعن المشايخ الثلاثة، والمناقب، ومسند أحمد، وأمالى أحمد بن منيع. وراجع: دعائم الإسلام ج ٢ ص ٤١٨ ومستدرك الوسائل ج ١٨ ص ٣١٣ وشرح الأخبار ج ٢ ص ٣٣١ والإرشاد للشيخ المفيد ج ١ ص ١٩٦ ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ١٩٨ والبحار ج ٤٠ ص ٢٤٥ وج ١٠١ ص ٣٩٣ وجامع أحاديث الشيعة ج ٢٦ ص ٣٣٨ و ٣٣٩.

(٣) قضاء أمير المؤمنين علي «عليه السلام» ص ٣٥ و ٣٦.

من وصايا النبي ﷺ لعلي عليه السلام:

١ - روى الكليني، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: قال أمير المؤمنين «عليه السلام»: بعثني رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى اليمن وقال لي: يا علي، لا تقاتلن أحداً حتى تدعوه، وأيم الله لأن يهدي الله على يدك رجلاً خيراً لك مما طلعت عليه الشمس وغربت، ولك ولاؤه يا علي^(١).

قال المجلسي «رحمه الله»: قوله «صلى الله عليه وآله»: ولك ولاؤه، أي لك ميراثه إن لم يكن له وارث، وعليك خطاؤه^(٢).

٢ - روى جماعة عن أبي الفضل، عن عبد الرزاق بن سليمان، عن الفضل بن الفضل الأشعري، عن الرضا، عن آبائه «عليهم السلام»: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعث علياً «عليه السلام» إلى اليمن، فقال له وهو يوصيه: يا علي، أوصيك بالدعاء، فإن معه الإجابة، وبالشكر فإن معه المزيد، وإياك عن أن تخفر عهداً وتعين عليه، وأنهاك عن المكر، فإنه لا يحيق

(١) البحار ج ٢١ ص ٣٦١ عن الكافي ج ٥ ص ٢٨ ومختلف الشيعة ج ٤ ص ٣٩٣ وكشف اللثام (ط ج) ج ٩ ص ٣٤١ و (ط ق) ج ٢ ص ٢٧٦ وجواهر الكلام ج ٢١ ص ٥٢ وتهذيب الأحكام ج ٦ ص ١٤١ والوسائل (ط مؤسسة أهل البيت) ج ١٥ ص ٤٣ و (ط دار الإسلامية) ج ١١ ص ٣٠ ومستدرك الوسائل ج ١١ ص ٣٠ وجامع أحاديث الشيعة ج ٣ ص ١٤٣ وموسوعة أحاديث أهل البيت ج ١٢ ص ٢٣ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٤١٨.

(٢) البحار ج ٢١ ص ٣٦١.

الفصل الثامن: عودة علي عليه السلام إلى اليمن ٢٦٩
المكر السيئ إلا بأهله، وأنهاك عن البغي، فإنه من بغي عليه لينصرنه الله^(١).
ونقول:

إن وصية النبي «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام»: بأن لا يقاتل
أحداً حتى يدعوه ثم قوله له: «وأيم الله لأن يهدي الله على يدك رجلاً خيراً
لك مما طلعت عليه الشمس وغربت» قد أظهرت: أن الهدف الأول
والأخير هو هداية الناس، ونشر الدعوة.

فلا يصح ما يذكرونه في أكثر السرايا من أنها كانت تبادر إلى الغارة
واغتنام الأموال، وسبي النساء، والأطفال، وأسر الرجال.. فإن كان قد
حصل شيء من ذلك، فهو على سبيل التمرد على أوامر النبي «صلى الله
عليه وآله»، طمعاً بالدنيا، وجرياً على عادات أهل الجاهلية، واستجابة
لدواعي الهوى والعصية.

٢ - ومن الواضح: أن مجرد أن يسلم رجل على يد شخص ليس من
أسباب اختصاصه بإثره، إلا في موردين:

الأول: أن يكون مولى له.. وما نحن فيه ليس كذلك، إذ المفروض: أنه
«صلى الله عليه وآله» طلب من علي «عليه السلام» أن يدعوهم إلى الإسلام،
ولا يبدأ بحربهم، فإن أسلموا كان لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم..
الثاني: أن يكون ولاؤه له من حيث إنه الإمام المفترض الطاعة،

(١) البحار ج ٢١ ص ٣٦١ عن المجالس والأخبار ص ٢٨ والوسائل (الإسلامية) ج ٤
ص ١٠٨٨ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٥ ص ١٩٣ ومستدرک سفينة البحار
ج ١٠ ص ٣٤٥ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج ٢ ص ٦٢
وج ١٠ ص ٤١٤.

والإمام وارث من لا وارث له..

وهذا معناه: أن يصبح هذا الحديث من دلائل إمامة علي عليه السلام» بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله».

٣- إن الوصايا المتقدمة، التي رويت عن الإمام الرضا «عليه السلام» آنفاً، عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليس فقط لا تشير إلى أي أمر بقتال صدر عنه له، وإنما هي في سياق إثارة أجواء ومشاعر سليمة وطبيعية، والتوجيه نحو تنظيم العلاقة مع أهل اليمن، على أساس التوافق، وإبرام العهود، ولزوم الوفاء بها. ولزوم الوضوح والصدق في التعامل، والإبتعاد عن المكر والخداع وضرورة الإبتعاد عن البغي والتجني، والتزام جادة الإنصاف، والرفق..

وقد مهد لذلك كله بالتوجيه نحو الله تعالى بالدعاء، والطلب منه دون سواه، ثم بالشكر له، الذي يجلب معه المزيد من العطاءات الإلهية، والألطف والرحمات والبركات الربانية..

هدايا علي عليه السلام من اليمن إلى النبي ﷺ:

روى الكليني عن العدة، عن سهل وأحمد بن محمد جميعاً، عن بكر بن صالح، عن سليمان الجعفري، عن أبي الحسن «عليه السلام» قال: سمعته يقول: أهدى أمير المؤمنين إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» أربعة أفراس من اليمن، فقال: سمها لي.

فقال: هي ألوان مختلفة.

فقال: ففيها وضح؟

قال: نعم، فيها أشقر به وضح.

قال: فأمسكه عليّ.

قال: وفيها كميتان أوضحان.

فقال: أعطهما ابنك.

قال: والرابع أدهم بهميم.

قال: بعه، واستخلف به نفقة لعيالك، إنما يمن الخيل في ذوات الأوضح^(١).

ونقول:

١ - إننا لسنا بحاجة إلى التدليل على قيمة هذه الهدية ومغزاها من حيث لفت النظر إلى استمرار المسيرة الجهادية، التي تحتاج إلى إعداد القوة التي ترهب العدو.. وذلك في وقت ظن فيه بعض قاصري النظر من المسلمين أن زمن الجهاد قد انتهى، وانتفت الحاجة إلى السلاح، فباعوا أسلحتهم، حسبما تقدم.

٢ - إن هذا النص قد تضمن إشارة إلى لزوم إعطاء الألوان والمواصفات الشكلية موقعها ودورها في الاختيار.. وإلى أن لقضية اليُمن أيضاً أثرها، وأن تجاهلها وإسقاطها من الحساب أمر غير حميد، ورأي ليس بسديد ولا رشيد..

(١) البحار ج ٢١ ص ٣٦١ وج ٦١ ص ١٦٩ عن الكافي، والمحاسن للبرقي ج ٢ ص ٦٣١ والكافي ج ٦ ص ٥٣٦ ومن لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ج ٢ ص ٢٨٥ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ١١ ص ٤٧٥ و (ط دار الإسلامية) ج ٨ ص ٣٤٧ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٦ ص ٨٥٥ ومسند الإمام الرضا عليه السلام للعطاردي ج ٢ ص ٣٧٧ وموسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ج ١٢ ص ٣٣٩.

علي عليه السلام في اليمن مرة أخرى:

عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» قال: دعاني رسول الله «صلى الله عليه وآله» فوجهني إلى اليمن لأصلح بينهم، فقلت له: يا رسول الله، إنهم قوم كثير، وأنا شاب حدث!!

فقال لي: يا علي، إذا صرت بأعلى عقبة فيق فناد بأعلى صوتك: يا شجر، يا مدر، يا ثرى، محمد رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقرؤكم السلام.

قال: فذهبت، فلما صرت بأعلى عقبة فيق أشرفت على اليمن، فإذا هم بأسرهم مقبلون نحوي، مشرعون أسنتهم، متنكبون قسيهم، شاهرون سلاحهم، فناديت بأعلى صوتي: يا شجر، يا مدر، يا ثرى، محمد «صلى الله عليه وآله» يقرؤكم السلام.

قال: فلم يبق شجرة، ولا مدرة، ولا ثرى إلا ارتجت بصوت واحد: وعلى محمد رسول الله وعليك السلام.

فاضطربت قوائم القوم، وارتعدت ركبهم، ووقع السلاح من أيديهم، وأقبلوا مسرعين، فأصلحت بينهم وانصرف^(١).

ونقول:

إن لنا مع هذا النص وقفات هي التالية:

(١) البحار ج ٢١ ص ٣٦٢ عن بصائر الدرجات ص ١٤٥ و ١٤٦ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص ٥٢١ و ٥٢٤ وراجع: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٧ ص ٦٢ وتاريخ جرجان للسهمي ص ٣٨٧.

الفصل الثامن: عودة علي عليه السلام إلى اليمن ٢٧٣

عقبة أفيق:

قال الفيروز آبادي: أفيق كامير، قرية بين حوران والغور، يعني: غور الأردن في أول العقبة المعروفة بعقبة أفيق التي تنزل منها إلى الغور وهي عقبة طويلة نحو ميلين^(١).

والسؤال هنا هو: إذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد أرسل علياً «عليه السلام» من المدينة إلى اليمن، فإن اليمن تقع إلى الجنوب من المدينة، وعقبة أفيق تقع في الجهة الشمالية منها، لأنها بين حوران والغور، فأين هذه من تلك؟! ولا سيما مع تصريح الرواية المشار إليها آنفاً: بأنه «عليه السلام» لما صار بأعلى عقبة فيق أشرف على اليمن، فإذا هم بأسرهم مقبلون نحوه، مشرعون أستهم الخ..

سفير سلام:

إننا لا نملك ما يؤيد أو ينفي هذه الحادثة، التي يبدو أنها بعثة تهدف إلى الصلح بين فريقين متخاصمين، حيث قالت الفقرة الأخيرة: «فأصلحت بينهم وانصرفت». فهل هؤلاء الناس مسلمين؟!

فإن الرواية لم تذكر ذلك كما أنها لم تذكر: أنه «عليه السلام» قد دعاهم إلى الإسلام، أو أنهم هم بادروا إلى إعلان إسلامهم.. وليس فيها ما يدل على أنهم كانوا قد أرسلوا قبل ذلك إلى النبي «صلى الله عليه وآله» بطلب وساطة..

(١) معجم البلدان ج ١ ص ٢٣٣ وراجع ج ٤ ص ٢٨٦ والبحار ج ٢١ ص ٣٦٣.
وراجع: تاج العروس ج ١٣ ص ٧ وج ١٣ ص ٤١٣.

لماذا غضب أهل اليمن؟!:

إن هذه الرواية قد دلت على: أن لهم موقفاً عدائياً من مبعوث رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حيث إنهم جاؤوا باندفاع شديد، ومعهم أسلحتهم، وكان دفع شرهم عنه «عليه السلام» بواسطة التدخل الإلهي وبصورة إعجازية.

فلماذا يندفع الفريقان المتنازعان لمواجهة مبعوث قد جاء ليصلح بينهم؟! ولعلك تقول: قد يكون الذين جاؤوا غاضبين، هم أحد الفريقين المتنازعين، ولعلهم اعتقدوا أن هذا المبعوث لن يقف إلى جانبهم في خصومتهم.. ويجاب: بأن الرواية قد صرحت: بأن أهل اليمن بأسرهم كانوا مقبلين نحوه مشرعين أستتهم.. فلا يصح هذا التوجيه..

لعلها جماعة صغيرة:

هل يمكن لأهل اليمن كلهم أن يأتوا لاستقبال علي «عليها السلام» بالسلاح، ويواجهوه بالحرب؟! وهل كانت اليمن بمثابة قرية أو مدينة، تستطيع أن تخرج عن بكرة أبيها لمواجهة أحد القادمين؟! ألا يدلنا ذلك على: أن مهمة علي «عليه السلام» هي الصلح بين جماعة صغيرة من حيث العدد، وكانت مساكنها متقاربة، ولعلها كانت في بعض نواحي اليمن.

اليمن بلد كبير:

إن الصعود إلى أعلى عقبة أفيق - لو قبلنا أنها كانت في اليمن - هل يعني

الفصل الثامن: عودة علي عليه السلام إلى اليمن ٢٧٥

الإشراف على بلاد اليمن كلها؟! وهل كانت اليمن بقعة صغيرة تظهر معالمها للصاعد إلى أعلى عقبة أفيق؟!!

ألا يدل ذلك على صحة ما قلناه: من أن المطلوب كان الصلح بين جماعة من الناس كانوا يسكنون في ناحية صغيرة؟!!

علي عليه السلام شاب حدث:

ولا ندري بعد ذلك كله: ما معنى أن يصف علي «عليه السلام» نفسه لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: بأنه شاب حدث!!

فإن عمر علي «عليه السلام» كان في ذلك الوقت أكثر من ثلاثين عاماً.. فمتى يصح وصفه بأنه رجل كامل إذن؟! وكيف نصَّبه الله ورسوله ولياً للمؤمنين قبل وبعد هذا التاريخ في مناسبات عديدة؟!!

الفصل التاسع:

علي عليه السلام في بني زيد

موسسات ريلوے

پریس - ۱۹۵۴ء

سرية علي عليه السلام إلى بني زبيد:

وقالوا: «وجه رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب، وخالد بن سعيد بن العاص إلى اليمن، وقال: «إذا اجتمعنا فعلي الأمير، وإن افترقتما فكل واحد منكما أمير»^(١).

فاجتمعا. وبلغ عمرو بن معد يكرب مكانهما. فأقبل على جماعة من قومه^(٢). فلما دنا منهما قال: دعوني حتى آتي هؤلاء القوم، فإني لم أسم لأحد قط إلا هابني.

فلما دنا منهما نادى: أنا أبو ثور، وأنا عمرو بن معد يكرب. فابتدره علي وخالد، وكلاهما يقول لصاحبه: خلني وإياه، ويفديه بأمه وأبيه.

فقال عمرو إذ سمع قولهما: العرب تُفَزَّع بي، وأراني هؤلاء جزراً.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٨٦ و ٢٤٦ عن مناقب الإمام الشافعي لمحمد بن رمضان بن شاكر، وفي هامشه عن: المعجم الكبير للطبراني ج ٤ ص ١٤ والإصابة ج ٣ ص ١٨ والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج ٢ ص ٥٢٢ و (ط دار الجيل) ج ٣ ص ١٢٠٣ وأسد الغابة ج ٤ ص ١٣٣.

(٢) أي مترئساً على جماعة من قومه.

فانصرف عنها.

وكان عمرو فارس العرب، مشهوراً بالشجاعة. وكان شاعراً محسناً^(١).
وقالوا أيضاً: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعث خالد بن سعيد
بن العاص إلى اليمن وقال له: «إن مررت بقرية فلم تسمع أذاناً، فاسبهم».
فمر ببني زبيد، فلم يسمع أذاناً، فاسبهم.
فأتاه عمرو بن معد يكرب، فكلمه فيهم، فوهبهم له، فوهب له عمرو
سيفه الصمصامة، فتسلمه خالد. ومدح عمرو خالداً في أبيات له^(٢).

غرور عمرو بن معد يكرب:

إن عمرواً يظن: أن جميع الناس على شاكلته، من حيث حبههم للحياة،
وفرقتهم من الموت. ولذلك فإن مجرد تقريب احتمالات الموت إليهم يكفي
في إيجاد دواعي الابتعاد عنه لديهم، والبحث عن خيارات أخرى تجعلهم
أقرب إلى السلامة والأمن..

وإذ به يفاجأ بعكس ما ظنه، فهو قد اعتاد أن يرى القادة يسعون أولاً

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٤٦ و ٣٨٦ والإستيعاب (ط دار الجليل) ج ٣
ص ١٢٠٤ والإصابة (ط دار الكتب العلمية) ج ٤ ص ٥٦٩ وعيون الأثر لابن
سيد الناس ج ٢ ص ٢٩٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٤٦ عن ابن أبي شيبة من طرق. وفي هامشه عن:
كنز العمال (١١٤٤١) والإصابة ج ٣ ص ١٨ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٤
ص ٥٦٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٦ ص ٣٧٧ وراجع: كنز العمال ج ٤
ص ٤٨٣.

إلى دفع الذين هم تحت أيديهم، إلى مواجهة الأخطار ودرئها عنهم، وأن يجدوا فيهم ما يغنيهم عن التعرض لها ومكاببتها..

فإن كان ثمة من خطر، فليتوجه إلى أولئك الأتباع، لأن حفظ القائد هو الأهم والأولى والأوجب..

ولكنه يرى الأمر مع هؤلاء القادمين على خلاف ما اعتاده ومارسه، فهو يسمع قادتهم، يتسابقون للتضحية بأنفسهم حباً بسلامة إخوانهم من قادة وغيرهم..

١ - إن غرور عمرو بنفسه، واعتماده على بعد صيته، وخوف الناس منه، قد انتهى به إلى هذا التراجع والإنكسار الذليل، دون أن يكلف نفسه عناء خوض معركة، أو بذل جهد في قتال، يعذر فيه بعد استنفاد القوة والحيلة. بل لقد أثر رجوع الخوف والجبن، والشعور بالضعف والإنهيار بقوة الطرف الآخر. معلناً أن هؤلاء الذين يواجههم يعتبرونه جزراً..

وهذا يدل على: أن ما كان قد اكتسبه من سمعة بين العرب في الشجاعة والقتال، كانت تشوبه شائبة التزوير. ولو بالدعايات الفارغة، والتهويلات الباطلة. ولعله كان يبطش ببعض الضعفاء والجبناء، أو يغدر ببعض الأمنين من الأقوياء، أو يختلق الروايات، ويشيع الخرافات ويتج الأوهام والأباطيل، عن بطولات موهومة، وأفاعيل لم يكن لها وجود إلا في خيلة قائلها.. ولعل كل ذلك قد كان، فقد عرف عمرو بالكذب كما سرى..

شجعان وفرسان صنعتهم السياسة:

لقد حاول أعداء علي «عليه السلام» أن يطروا خصومه، ويعظموهم

بما ليس فيهم، وأن يظهرُوا ميزاتهِ الفريدة في أناس آخرين، ظناً منهم أنهم يطمسون بذلك ذكر علي «عليه السلام»، وينقصون من قدره، ويحطون من مقامه..

ولعل من أمثلة ذلك سعيهم لنسبة البطولات إلى خالد بن الوليد، وإلى الزبير بن العوام، وطلحة، وأبي دجانة، وأضرابهم من الصحابة.. بل إن إطراءهم لعنترة، ونسج القصص الخيالية حول شجاعته النادرة، لعله يدخل في هذا السياق أيضاً.. مع أن عنترة كان رجلاً عادياً جداً.. حتى لقد لخص بعضهم واقعه التاريخي بقوله عنه: إنه رجل من بني عبس يلقي الفارس أو الفارسين.

ثم اخترعوا قصص بني هلال، وقصة سيف بن ذي يزن، وقصص ذات الهمة. وفيروزشاه، وبهرام شاه، والمياسة والمقداد.. و.. و.. ويبدو أن عمرو بن معد يكرب قد حالفه الحظ في هذا المجال أيضاً حتى اعتبروه فارس العرب، وأنه مشهور بالشجاعة^(١). إلى غير ذلك من أوصاف وادعاءات.. مع أن الفضل في ذلك كله لعلي «عليه السلام»، فإن شدة بغضهم له قد دعاهم إلى إطراء غيره من المنحرفين عنه بما ليس فيهم،

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٤٦ و ٣٨٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٦ ص ٣٦٩ والإستيعاب (بهاشم الإصابة) ج ٢ ص ٥٢٠ و (ط دار الجيل) ج ٣ ص ١٢٠٤ وأسد الغابة ج ٤ ص ١٣٣ وتنبية الغافلين عن فضائل الطالبين لابن كرامة ص ٥٦ و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٢٥٩ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٥ ص ٥٢٥ والإصابة (ط دار الكتب العلمية) ج ٤ ص ٥٦٩ وعيون الأثر لابن سيد الناس ج ٢ ص ٢٩٢.

فصنعوا لهم الفضائل، واخترعوا لهم المواقف، وجعلوهم من صانعي المعجزات، ونسبوا إليهم الخوارق، دون ان يخافوا من غضب الله الخالق.

أسئلة لا تجد لها جواباً:

وقد ادّعت الرواية المتقدمة: أن عمرواً انصرف عن علي «عليه السلام». فهل كان علي «عليه السلام»، وخالد بن سعيد ومن معهما يقصدون بني زبيد؟! أم كانوا يقصدون قوماً آخرين؟! أم كان القصد هو دعوة كل من يصادفونه إلى الإسلام؟!

فإن كان القصد إلى بني زبيد، فعلى أي شيء اتفقوا مع عمرو والذين جاؤوا معه حين افترقوا عنهم؟! وكيف تركوهم ينصرفون دون دعوة؟! وهل لاحقوا بقية القبيلة في مواضع أخرى؟! أم اكتفوا بما جرى؟!

وإذا كانوا يقصدون غير بني زبيد، فلماذا تعرّض لهما عمرو؟! ولو أنهم هابوه، فلماذا كان سيصنع بهم، هل سوف يأسرهم؟ أم أنه سيسلبهم، أم سيقتلهم؟!

وإن كانوا يقصدون كل أحد إلى الله تعالى، فلماذا لم يبادروا إلى دعوة عمرو، ومن معه؟ ولماذا تركوهم ينصرفون عنهم، دون أن يؤدوا هذا الواجب؟!

سبي بني زبيد:

وعن سبي بني زبيد، نقول:

١ - إن مجرد أن لا يسمع المسلمون أذاناً من جماعة من الناس لا يسوّغ الإغارة عليهم، وترويعهم، فضلاً عن سبيهم.. مع ملاحظة: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يزل يصدر أوامره لمبعوثيه بأن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم.

ومع أوامره «صلى الله عليه وآله» لعل «عليه السلام» بأن لا يقاتل أحداً حتى يدعوه^(١).

كما أن ذلك لا يتناسب مع لزوم إقامة الحجة على الناس قبل التعرض لهم، ولا مع إيجاب الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فقد قال تعالى لرسوله «صلى الله عليه وآله»: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(٢).

٢ - أين كان عمرو بن معد يكرب الزبيدي حين سبا خالد بن سعيد بني زبيد؟! فإن كان حاضراً، فلماذا لم يدافع عنهم؟! وإن كان غائباً، فهل تغيظ مما جرى؟! أم أنه تلقاه بنفس راضية؟! وما هي ردة فعله لذلك؟!!

النص الأوضح، والأصح والأصرح:

وبعد أن ظهرت المفارقات غير المقبولة في النصوص المتقدمة، فإن علينا أن نورد هنا النص الأصح والأوضح، ثم نشير إلى الخصوصيات الواردة فيه، وفقاً لما يقتضيه الحال، فنقول:

(١) الكافي ج ٥ ص ٣٦ والبحار ج ١٩ ص ١٦٧ وج ٩٧ ص ٣٤ وج ١٠١ ص ٣٦٤ ومستدرک سفینه البحار ج ١٠ ص ٥٠٢ والنوادر للراوندي ص ١٣٩ ومشكاة الأنوار لعلی الطبرسي ص ١٩٣ وتذکره الفقهاء (ط.ج) ج ٩ ص ٤٤ و ٤٥ و (ط.ق) ج ١ ص ٤٠٩ ومنتهی المطلب (ط.ق) ج ٢ ص ٩٠٤ ورياض المسائل للطباطبائي ج ٧ ص ٤٩٣.

(٢) الآية ١٢٥ من سورة النحل.

قالوا: لما عاد رسول الله «صلى الله عليه وآله» من تبوك إلى المدينة قدم إليه عمرو بن معدى كرب، فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: أسلم يا عمرو يؤمنك الله من الفزع الأكبر.

قال: يا محمد، وما الفزع الأكبر؟ فإني لا أفزع.

فقال: يا عمرو، إنه ليس كما تظن وتحسب، إن الناس يصاح بهم صيحة واحدة، فلا يبقى ميت إلا نشر، ولا حي إلا مات، إلا ما شاء الله، ثم يصاح بهم صيحة أخرى، فينشر من مات، ويصفون جميعاً، وتنشق السماء، وتهد الأرض، وتخر الجبال هدأً، وترمي النار بمثل الجبال شرراً، فلا يبقى ذو روح إلا انخلع قلبه، وذكر ذنبه، وشغل بنفسه إلا من شاء الله، فأين أنت يا عمرو من هذا؟

قال: ألا إني أسمع أمراً عظيماً؛ فأمن بالله ورسوله، وآمن معه من قومه ناس، ورجعوا إلى قومهم.

ثم إن عمرو بن معدى كرب نظر إلى أبي بن عثث الخثعمي، فأخذ برقبته، ثم جاء به إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: أعديني على هذا الفاجر الذي قتل والدي.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أهدر الإسلام ما كان في الجاهلية، فانصرف عمرو مرتداً، فأغار على قوم من بني الحارث بن كعب، ومضى إلى قومه.

فاستدعى رسول الله «صلى الله عليه وآله» علي بن أبي طالب «عليه السلام» وأمره على المهاجرين، وأنفذه إلى بني زبيد، وأرسل خالد بن الوليد

في الأعراب وأمره أن يعمد لجعفي^(١). فإذا التقيا فأمر الناس أمير المؤمنين «عليه السلام».

فسار أمير المؤمنين «عليه السلام»، واستعمل على مقدمته خالد بن سعيد بن العاص، واستعمل خالد على مقدمته أبا موسى الأشعري.

فأما جعفي فإنها لما سمعت بالجيش افترت فرقتين: فذهبت فرقة إلى اليمن، وانضمت الفرقة الأخرى إلى بني زيد.

فبلغ ذلك أمير المؤمنين «عليه السلام»، فكتب إلى خالد بن الوليد: أن قف حيث أدركك رسولي، فلم يقف.

فكتب إلى خالد بن سعيد بن العاص: تعرض له حتى تحبسه.

فاعترض له خالد حتى حبسه، وأدركه أمير المؤمنين «عليه السلام»، فعنفه على خلافه.

ثم سار حتى لقي بني زيد بواد يقال له: كثير (أو كسير)، فلما رآه بنو زيد قالوا لعمره: كيف أنت يا أبا ثور إذا لقيك هذا الغلام القرشي فأخذ منك الإتاوة؟! منك الإتاوة؟!

قال: سيعلم إن لقيني.

قال: وخرج عمرو فقال: من يبارز؟

فنهض إليه أمير المؤمنين «عليه السلام»، وقام إليه خالد بن سعيد وقال له: دعني يا أبا الحسن - بأبي أنت وأمي - أبارزه.

فقال له أمير المؤمنين «عليه السلام»: إن كنت ترى أن لي عليك طاعة

(١) جعفي بن سعد العشيرة، بطن من سعد العشيرة، من مذحج، من القحطانية.

فقف مكانك، فوقف.

ثم برز إليه أمير المؤمنين «عليه السلام»، فصاح به صيحة، فانهزم عمرو، وقتل «عليه السلام» أخاه وابن أخيه، وأخذت امرأته ركانة بنت سلامة، وسبي منهم نسوان.

وانصرف أمير المؤمنين «عليه السلام»، وخلف على بني زبيد خالد بن سعيد ليقبض صدقاتهم، ويؤمن من عاد إليه من هراهم مسلماً.

فرجع عمرو بن معدي كرب، واستأذن على خالد بن سعيد، فأذن له، فعاد إلى الإسلام، فكلمه في امرأته وولده، فوهبهم له.

وقد كان عمرو لما وقف بباب خالد بن سعيد وجد جزوراً قد نحرت، فجمع قوائمها ثم ضربها بسيفه فقطعها جميعاً، وكان يسمى سيفه الصمصامة، فلما وهب خالد بن سعيد لعمرو امرأته وولده وهب له عمرو الصمصامة.

وكان أمير المؤمنين «عليه السلام» قد اصطفى من السبي جارية، فبعث خالد بن الوليد بريدة الأسلمي إلى النبي «صلى الله عليه وآله» وقال له: تقدم الجيش إليه، فأعلمه بما فعل علي من اصطفائه الجارية من الخمس لنفسه، وقع فيه.

فسار بريدة حتى انتهى إلى باب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلقيه عمر بن الخطاب، فسأله عن حال غزوتهم وعن الذي أقدمه، فأخبره أنه إنما جاء ليقع في علي «عليه السلام» وذكر له اصطفائه الجارية من الخمس لنفسه. فقال له عمر: امض لما جئت له، فإنه سيغضب لابنته مما صنع علي «عليه السلام».

فدخل بريدة على النبي «صلى الله عليه وآله» ومعه كتاب من خالد بما

أرسل به بريدة، فجعل يقرأه ووجه رسول الله «صلى الله عليه وآله» يتغير، فقال بريدة: يا رسول الله إنك إن رخصت للناس في مثل هذا ذهب فيهم، فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: ويحك يا بريدة، أحدثت نفاقاً؟!

إن علي بن أبي طالب «عليه السلام» يحل له من الفيء ما يحل لي، إن علي بن أبي طالب خير الناس لك ولقومك، وخير من أخلف بعدي لكافة أمتي، يا بريدة، احذر أن تبغض علياً، فيبغضك الله.

قال بريدة: فتمنيت أن الأرض انشقت لي، فسخت فيها، وقلت: أعوذ بالله من سخط الله وسخط رسول الله. يا رسول الله، استغفر لي فلن أبغض علياً أبداً، ولا أقول فيه إلا خيراً.

فاستغفر له النبي «صلى الله عليه وآله»^(١).

وفي الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» وشرحه: أن عمرو بن معدي كرب خاطب علياً «عليه السلام» حين واجهه:

الآن حين تقلصت منك الكلى	إذ حر نارك في الوقيعة يسطع
والخيل لاحقة الأياطل شزب	قب البطون ثنيها والأقرع
يحملن فرساناً كراماً في الوغا	لا ينكلون إذا الرجال تكمعع
إنني امرؤ أحمي حماي بعزة	وإذا تكون شديدة لا أجزع

(١) البحار ج ٢١ ص ٣٥٦-٣٥٨ عن إعلام الوري (ط) ١ ص ٨٧ و (ط) ٢ ص ١٣٤

و (ط مؤسسة آل البيت) ج ١ ص ٢٥٢ و ٢٥٣ والإرشاد للمفيد ج ١ ص ١٥٩ -

١٦١ وكشف اليقين ص ١٥١ و ١٥٢ والمستجد من الإرشاد (المجموعة)

ص ٩٨ و ٩٩ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٢٩ و ٢٣٠.

وأنا المظفر في المواطن كلها
من يلقني يلقي المنية والردى
فأحذر مصاولتي وجانب موقفي
فأجابه «عليه السلام»:

يا عمرو قد حمي الوطيس وأضرمت
وتساقط الأبطال كأس منية
فإليك عني لا ينالك مخلي
إني امرؤ أحمي حماي بعزة
إني إلى قصد الهدى وسبيله
ورضيت بالقرآن وحيأ منزلاً
فينا رسول الله أيد بالهدى
ونقول:

إن المقارنة بين هذه الرواية، والروايات التي ذكرناها فيما سبق يظهر
مدى انسجام هذه، ومدى ما نال تلك من تزوير وتحوير، هروباً من الإقرار
ببعض الحقائق، وسعيًا في طمس ما لا يروق لهم ظهوره، ولا تذوق أعينهم
طعم النوم حين يسطع نوره.

ومهما يكن من أمر، فإننا نحب لفت النظر إلى ما يلي:

عمرو يرتد في عهد النبي ﷺ:

لقد صرحت الروايات المتقدمة: بأن عمرواً ارتد بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله»^(١).

ولكن هذه الرواية تقول: إنه ارتد عن الإسلام في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حين لم يرض رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالإقتصاص له من قاتل أبيه، لأنه قتله قبل أن يسلم، وقد محا الإسلام ما كان قبله.

ولو أنه «صلى الله عليه وآله» قبل من عمرو ما طلبه منه، فقد كان يجب أن يقتل عمرواً نفسه بالذين كان قد قتلهم قبل إسلامه..

علي عليه السلام على المهاجرين، وخالد على الأعراب:

قد صرحت الرواية: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أمر علياً «عليه السلام» على المهاجرين، وأمر خالد بن الوليد على الأعراب.. وهذا يتضمن

(١) راجع: تاريخ مدينة دمشق ج ٤٦ ص ٣٧٢ و ٣٧٣ و ٣٧٧ والطبقات الكبرى ج ٦ ص ٥٢٦ وتاريخ الأمم والملوك (بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ج ٣ ص ١٣٤ و (ط دار صادر) ج ٢ ص ٣٩١ و ٥٣٨ والكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٢ ص ٣٧٧ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٢ ص ١١٢ ومستدركات علم رجال الحديث ج ٦ ص ٦٤ والإصابة (ط دار الكتب العلمية) ج ٥ ص ٢٨١ والأعلام للزركلي ج ٥ ص ٨٦ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٨٤ وج ٦ ص ٣٦٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ١٠٠٥ وعيون الأثر ج ٢ ص ٢٩١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ١٣٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٨٦ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٢٥٩ و ٢٦٠.

إشارة لطيفة، لا تخفى على الأريب الخبير، والناقد البصير.

ويتأكد لنا مضمون هذه الإشارة حين نقرأ: أن علياً «عليه السلام» قد جعل على مقدمته خالد بن سعيد بن العاص. أما خالد بن الوليد فجعل على مقدمته أبا موسى الأشعري.

وشتان ما بين هذين الرجلين، فأبو موسى الأشعري هو الذي قعد بأهل الكوفة عن جهاد الناكثين^(١).

وكان علي «عليه السلام» يلعنه مع جماعة آخرين في صلاة الفجر والمغرب^(٢).

وهو جاثليق هذه الأمة^(٣).

وهو الذي سلم على معاوية فقال: السلام عليك يا أمين الله^(٤).

(١) راجع: شرح الأخبار للقاضي النعمان ج ١ ص ٣٨٤ وج ٢ ص ٨٣.

(٢) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ١٢٦ وشرح النهج للمعتزلي ج ٢ ص ٢٦٠ ومستدركات علم رجال الحديث ج ٨ ص ٤٥٩ وراجع: الغدير ج ٢ ص ١٣٢ ومستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ٦١١ وطرائف المقال ج ٢ ص ١٤١.

(٣) الخصال ص ٥٧٥ أبواب السبعين فما فوقها، والبحار ج ٣١ ص ٤٣٨ ومستدرك سفينة البحار ج ٢ ص ٣٦ وتفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٢٤١ ومستدركات علم رجال الحديث ج ٨ ص ٤٥٩ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج ٨ ص ٢٣٩.

(٤) تاريخ الأمم والملوك (بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ج ٥ ص ٣٣٢ و (ط دار صادر) ج ٤ ص ٢٤٥ والكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٤ ص ١٢ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج ١٢ ص ٤٥.

وهو الذي قال له الأشر: إنك من المنافقين قديماً^(١).

وقال عنه حذيفة: أشهد أنه عدو لله ولرسوله، وحرب لهما في الحياة الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم، ولهم اللعنة، ولهم سوء الدار^(٢).

وكان حذيفة عارفاً بالمنافقين، أسرَّ إليه النبي «صلى الله عليه وآله» أمرهم، وأعلمه أسماؤهم^(٣).

(١) تاريخ الأمم والملوك (بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ج ٤ ص ٤٨٧ و (ط دار صادر) ج ٣ ص ٥٠١ و شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢١ والغارات ج ٢ ص ٩٢٢ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج ٥ ص ١٦٠ وقاموس الرجال ج ١١ ص ٥٢٧.

(٢) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٣١٤ وراجع: الاستيعاب ج ٢ ص ٣٧٢.
(٣) قاموس الرجال ج ٦ ص ١٠٨ و شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٣١٤ و ٣١٥ و راجع: المعجم الكبير للطبراني ج ٣ ص ١٦٥ وتفسير الرازي ج ١٦ ص ١٢٠ و ١٢١ وسبل الهدى والرشاد ج ١٠ ص ٢٦٢ وتهذيب الكمال ج ٥ ص ٥٠٢ و راجع: تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٦٨ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٢٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٣٥ و راجع: الهداية الكبرى للخصيبي ص ٨٢ والمسترشد للطبري ص ٥٩٣ والخرائج والجرائح ج ١ ص ١٠٠ والعمدة لابن البطريق ص ٣٤١ والصوارم المهرقة ص ٧ و ٨ و كتاب الأربعين للشيرازي ص ١٣٥ والبحار ج ٢١ ص ٢٣٣ و ٢٣٤ و ٢٤٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ٢٠٠ ومجمع الزوائد ج ١ ص ١٠٩ والمعجم الكبير للطبراني ج ٣ ص ١٦٤ و ١٦٥ وكنتز العمال ج ١ ص ٣٦٩ والدر المنثور ج ٣ ص ٢٥٩ وسماء المقال في علم الرجال للكلباسي ج ١ ص ١٦ وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ٧٥ و ج ٩ ص ٣٢٨ وإعلام الوري ج ١ ص ٢٤٦.

الفصل التاسع: علي عليه السلام في بني زيد ٢٩٣

وكان أبو موسى في جملة الذين نفروا برسول الله «صلى الله عليه وآله»
ناقته ليلة العقبة ليقتلوه^(١).

وهو أحد الحكمين الذين يحكمان في هذه الأمة، وقد ضللا وأضلّا^(٢).
وهو سامري هذه الأمة^(٣)..

إلى غير ذلك مما لا مجال لتبعية واستقصائه..

ولكن خالد بن سعيد بن العاص له مسار آخر، فهو أول من قام إلى أبي
بكر وقال له: إئتق الله، وانظر ما تقدم لعلي بن أبي طالب «عليه السلام».
ثم ذكره بقول النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام» يوم بني
قريظة: إن علي بن أبي طالب «عليه السلام» إمامكم من بعدي، وخليفتي

(١) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٣١٥ الأماي للشيخ الطوسي «رحمه الله»
ص ١٨٢ والدرجات الرفيعة ص ٢٦٣ و موسوعة الإمام علي بن أبي طالب
«عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج ١٢ ص ٤٤ وقاموس الرجال ج ١١
ص ٥٢٧ والمسترشد للطبري ص ٥٩٧ والبحار ج ٣٣ ص ٣٠٥ و ٣٠٦ و ج ٨٢
ص ٢٦٧ و ج ٢٨ ص ١٠٠.

(٢) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٣١٥ وكنز العمال ج ١ ص ٢١٧ و ٢٧٧
وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٦ ص ١٧١ والبداية والنهاية ج ٦ ص ٢٤١ و ج ٧
ص ٣١٥ وإمتاع الأسماع ج ١٢ ص ٢٠٣ وسبل الهدى والرشاد ج ١٠ ص ١٥٠
ونهج السعادة للمحمودي ج ٢ ص ٥٥ والأماي للمفيد ص ٣٠.

(٣) مروج الذهب ج ٢ ص ٣٩٢ والبحار ج ٣٠ ص ٢٠٨ واليقين ص ١٦٧ و (ط)
مؤسسة دار الكتاب - الجزائري) ص ٤٤٤ ومعجم رجال الحديث للسيد الخوئي
ج ١١ ص ٣٠٦ عن الخصال، ومستدركات علم رجال الحديث ج ٥ ص ٧٥ و
٣٨٦ وشرح العينية الحميرية للفاضل الهندي ص ٥٢٦.

فيكم الخ..

ثم إنه تصدى لعمر بن الخطاب حين جاء متهدداً، ومعه ألفا رجلاً..
وشكر له علي «عليه السلام» ذلك^(١).

وقد امتنع عن بيعة إبي بكر أياماً، وقال لبني هاشم في هذه المناسبة:
إنكم الطوال الشجر، الطيب الثمر.

وقد اضطغنها عليه عمر، فلم يدع أباً بكر حتى عزله عن ولاية الجند
الذي استنفر إلى الشام^(٢).

إلى غير ذلك من مواقف وحالات له، تنم عن صحة رويته، وحسن
طويته، وسلامة دينه، ورسوخ يقينه، فراجع^(٣).

ولنا ملاحظة أخرى هنا مفادها: أن اختيار المهاجرين ليكونوا سرية
لإخضاع عمرو بن معد يكرب الزبيدي المرتد عن الإسلام يراد به: الإيحاء بأن
عليه أن لا يتوهم بأن أحداً في الجزيرة العربية قادر على مساعدته، أو أنه سوف
يتعاطف معه، فإن الذين كانوا أكثر الناس حرصاً على هدم الإسلام قد أصبحوا
أنصاره، والعاملين على معاقبة من يجترئ عليه.. وهم أهل مكة بالذات..

(١) الإحتجاج ج ١ ص ٩٩ و ١٠٤، وراجع: الخصال ج ٢ ص ٤٦٢ ورجال البرقي،
والدر النظيم ص ٤٤٢.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج ٢ ص ٥٨، وراجع: تاريخ الأمم والملوك (تحقيق محمد
أبو الفضل إبراهيم) ج ٣ ص ٣٨٨ وراجع: السقيفة وفدك للجوهري ص ٥٥
والدرجات الرفيعة ص ٣٩٣.

(٣) راجع: ترجمة خالد بن سعيد بن العاص في قاموس الرجال ج ٤ ص ١٢٠ - ١٢٧
وتنقيح المقال ج ١ وغير ذلك.

وقد لاحظنا: إنه «صلى الله عليه وآله» حين ذكر الصيحة الأولى، وما ينشأ عنها من أمور هائلة، مثل موت الأحياء، وإحياء الأموات. استثنى من الجملة الأخيرة، بقوله: «إلا ما شاء الله».

فعبّر بكلمة «ما» التي تستعمل، ويراد بها غالباً غير العقلاء، فلعل المراد: الإستثناء لبعض الأموات من غير البشر، من حشرات، أو طيور، أو حيوانات لا يترتب على إحيائها أثر..

ولكنه «صلى الله عليه وآله» حين ذكر الصيحة الثانية، التي تنشر بها الأموات، وترمي النار بمثل الجبال شرراً، فلا يبقى ذو روح إلا انخلع قلبه، وذكر ذنبه، وشغل بنفسه. استثنى من ذلك فقال: «إلا من شاء الله». مستفيداً من كلمة «من» التي تستعمل غالباً للتعبير عن العقلاء، حيث يبدو أنه أراد أن يستثني أنبياء الله وأوصيائهم من هؤلاء الذين تنخلع قلوبهم، وتشغلهم ذنوبهم، إذ ليس لدى هؤلاء ذنوب يذكرونها، ولا ما يوجب انشغالهم بأنفسهم..

عدوانية عمرو بن معد يكرب:

وقد صرح النص المتقدم: أن عمرواً حين انصرف مرتداً عن الإسلام أغار على قوم من بني الحارث بن كعب، ومضى إلى قومه.. وذلك يشير إلى: وقاحة وجراة على الدماء، وإلى الإستهانة بكرامات الناس، والطمع بأموالهم وأعراضهم، بشكل يوجب المبادرة إلى وضع حد له بصراحة وحزم. وهذا ما فعله رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حيث

٢٩٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦
أرسل علياً «عليه السلام» للقيام بذلك كما سبق..

طغيان خالد:

وقد لوحظ: أن خالداً قد تمرد على أمر أمير المؤمنين «عليه السلام»، وأظهر أنه إنسان غير منضبط، فعامله علي «عليه السلام» بالحزم والحكمة، حين أرسل إليه خالد بن سعيد بن العاص، الذي لا يستطيع خالد مناوأة لموقعه ومكانته في قريش، فحبسه.. فلما أدركه أمير المؤمنين عنقه على خلافه.. وهذا يدلنا على: أن ما جعله النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام» كان أوسع من مجرد جعل الإمارة له حين يلتقي بخالد.. بل كان خالد مأموراً بطاعته، وتنفيذ أوامره أينما كان، سواء التقيا أو افترقا.. ولو لم يكن الأمر كذلك، فإن خالداً سوف يشتكي علياً «عليه السلام» إلى النبي «صلى الله عليه وآله».. ويعتبره متعدياً عليه، وظالماً له. ولا بد أن نتوقع منه: أن يقدم على معاندة خالد بن سعيد، والإحتجاج على علي «عليه السلام»، ولو بأن يقول: إنه لم يؤمر بطاعته، وسيقول للناس: إن علياً «عليه السلام» يظلمه بهذا التعنيف، وإنه لا يحق له أن يفرض عليه تنفيذ أمره. ولكن خالداً لم يفعل شيئاً من ذلك، ولم يعترض، ولم يشك، ولا اعتذر بأنه لم يكن يعلم بأن عليه أن يطيع أوامر علي «عليه السلام» ولا غير ذلك مما ذكرناه..

هزيمة عمرو، وسبي نسائه!!

وقد صرحت الرواية المتقدمة: بأنه رغم أن قوم عمرو بن معد يكرب، قد حاولوا إثارة حفيظته بقولهم: لعل هذا الوافد يجبره على دفع الإتاوة له،

الفصل التاسع: علي عليه السلام في بني زيد ٢٩٧

مع وصفهم لذلك الوافد بكلمة «الغلام»، المشعرة بتميّز عمرو عليه
بالسن، وبالتجربة، وبالموقعية، وما إلى ذلك..

ثم وصفوا هذا الغلام بـ «القرشي» ليشعر ذلك بغرته، وبالإختلاف معه
في العدنانية والقحطانية، وفي طبيعة الحياة، فإن هذا الوافد حضري، يفترض
أن تكون حياته أقرب إلى الراحة والسعة والرفاه، أما عمرو وقومه، فإنهم
يعيشون حياة البداوة والخشونة، ويدعون لأنفسهم الإمتياز بالقدرة على تحمل
المكاره ومواجهة الصعاب والإعتزاز بالشجاعة وبالفروسية وما إلى ذلك..

ولكن كل ذلك لم ينفع، بل هو قد زاد من مرارة الهزيمة التي حلت
بعمرو، ومما زاد في خزي عمرو أن هزيمته قد جاءت بعد أن استعرض
قوته أمام الملأ، قائلاً: من يبارز؟

وكان يرى أن الناس يهابونه، وأنه يكفي أن يذكر لهم اسمه حتى تتبدل
أحوالهم، ويتخذون سبيل الإنسحاب من ساحة المواجهة، بكل حيلة
ووسيلة، وإذ به يرى أن هؤلاء يتنافسون على مبارزته، وعلى سفك دمه.

وكان الأخطر والأمرّ والأشمر والأضر هو: هزيمة عمرو أمام نفس
هذا الغلام القرشي من مجرد صيحة صدرت منه، دون أن يلوح له بسيف،
أو يشرع في وجهه رمحاً!!

فما هذه الفضيحة النكراء، والداهية الدهياء؟!

ثم كان الأخزى من ذلك، والأمّض ألماً، والأعظم ذلاً أن يقتل هذا
الغلام القرشي على حد تعبيرهم أخا عمرو وابن أخيه، ويسبي ريحانة بنت
سلامة زوجة عمرو، بالإضافة إلى نساء أخريات.

ثم انصرف أمير المؤمنين «عليه السلام» مطمئناً إلى عدم جراءة عمرو

٢٩٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

وغيره على القيام بأية مبادرة تجاه خالد بن سعيد، الذي أبقاه علي «عليه السلام» في بني زبيد أنفسهم، ليقبض صدقاتهم، ويؤمن من عاد إليه من هزأهم مسلماً.

استجداء عمرو.. وأريحية خالد!!:

وتواجهنا مفارقة هنا، وهي: أن عمرو بن معد يكرب جاء إلى خالد بن سعيد بن العاص الذي خلفه علي «عليه السلام» في بني زبيد، فأظهر عودته إلى الإسلام، ثم كلمه في امرأته وولده، فوهبهم له.

ولكن هذا المستكبر المغرور بنفسه بالأمس، والذي جرّ على نفسه هذه الهزيمة الفضيحة، وكان سبباً في قتل أخيه، وابن أخيه، ثم في سبي زوجته وولده.. لا لشيء إلا لأجل أن الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» لم يجب طلباً ظالماً رفعه إليه..

إن هذا الرجل بالذات يتراجع عن موقفه، ويستعطف ذلك الذي خلفه ابن عم الرسول «صلى الله عليه وآله» في قوم عمرو بن معد يكرب نفسه ليجبي صدقاتهم، ويؤمن من عاد إليه من هزأهم مسلماً..

وقد كان هذا الرجل في غنى عن هذا الاستعطاف هنا، وعن الاستكبار هناك.. والأغرب من ذلك: أن نجده حتى حين يرى نفسه بحاجة إلى الاستعطاف والخضوع، ويمارسه، لا يتخلى عن العنجهية والغرور، وحب الظهور، وإثبات الذات، وإظهار القوة بغباوة وحق. فإنه لما وقف على باب خالد وجد جزوراً قد نحرت، فجمع قوائمها، ثم ضربها بسيفه فقطعها جميعاً..

ثم وهب سيفه الذي كان يسميه بالصمصامة لخالد بن سعيد، إمعاناً

الفصل التاسع: علي عليه السلام في بني زيد ٢٩٩
منه في ادعاء الشدة، والقوة لنفسه..

وذلك كله يجعلنا نقول:

لقد صدق من وصفه: بأنه «مائق بني زيد»^(١).

فإن المائق هو: الأحق في غباء، أو الهالك حقاً وغباًوة^(٢).

بريدة يشكو علياً عليه السلام إلى رسول الله ﷺ:

وقد ذكرت الرواية المتقدمة حديث شكوى بريدة علياً «عليه السلام» إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بطلب من خالد، وبتحريض من عمر بن الخطاب، وقد غضب رسول الله «صلى الله عليه وآله» من ذلك، وقد تقدم الحديث عن هذه الرواية فلا نعيد.

ماذا عن عمرو بن معد يكرب؟!:

ثم إننا لا نريد أن نؤرخ هنا لعمرو بن معد يكرب الزبيدي، غير أننا نشير إلى لمحات قد تفيد في توضيح سبب تعظيمهم لهذا الرجل، وتأكيدهم على شجاعته، فنقول:

إن من أهم أسباب ذلك هو مشاركته في فتوح الشام والعراق، كما تظهره كتب التراجم^(٣).

(١) راجع: البحار ج ٤١ ص ٩٦ عن ابن إسحاق، ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٣٣٣.

(٢) أقرب الموارد ج ٢ ص ١٢٥٢.

(٣) راجع: الإصابة ج ٣ ص ١٨ - ٢٠ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٤ ص ٥٦٩ و ٥٧٠.

٣٠٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

كما أن ابن عساكر قد ذكر مفردات كثيرة، تفيد في وضوح حجم مشاركته لهم في تلك الفتوحات العزيزة على قلوبهم^(١)، حيث قالوا: إن هذا الرجل قد شارك في عامة الفتوح بالعراق^(٢)، وكانت أكثر فتوحات العجم على يديه^(٣)..

وقد كتب عمر بن الخطاب إلى قائده النعمان بن مقرن: استشر واستعن في حربك طليحة، وعمرو بن معد يكرب، ولا تولهما من الأمر شيئاً، فإن كل صانع هو أعلم بصناعته^(٤).

وكان عمر إذا رأى عمرو بن معد يكرب قال: «الحمد لله الذي خلقنا وخلق عمرواً»^(٥).

وكتب عمر إلى سعد: إني أمددتك بألفي رجل، عمرو بن معد يكرب،

(١) راجع: تاريخ دمشق ج ٤٦

(٢) الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ٢ ص ٥٢٠ و (ط دار الجيل) ج ٣ ص ١٢٠٢ والإصابة ج ٣ ص ١٨ وفيه: أنه شهد فتوح الشام وفتوح العراق.

(٣) سفينة البحار ج ٦ ص ٤٨٢ والبحار ج ٤١ ص ٩٦ عن مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٦٠٦ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ٣٣٤.

(٤) الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ٢ ص ٥٢٣ و ٥٣٨ و (ط دار الجيل) ج ٢ ص ٧٧٣ وج ٣ ص ١٢٠٥ والإصابة ج ٣ ص ١٩ عن ابن سعد، والواقدي، وابن أبي شيبة، وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٥ ص ١٧٢ وأسد الغابة لابن الأثير ج ٣ ص ٦٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج ١٠ ص ١١٣.

(٥) البحار ج ٤١ ص ٩٦ عن المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٦٠٦ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ٣٣٣ وسفينة البحار ج ٦ ص ٤٨٢.

الفصل التاسع: علي عليه السلام في بني زيد ٣٠١
وطليحة بن خويلد^(١).

مع أن كلا الرجلين كان قد أسلم ثم ارتد، فراجع ترجمتهما^(٢).
قالوا: «ومع مبارزته جذبته أمير المؤمنين «عليه السلام» والمنديل في
عنقه حتى أسلم»^(٣).

ولأجل ذلك نجده لا يجرؤ على إظهار نفسه في مقابل علي «عليه
السلام»، فكان كثيراً ما يسأل عن غاراته، فيقول: قد محا سيف علي الصنائع^(٤).
والصنيع: هو السيف الصقيل المجرب^(٥).

وقد نجد مبررات كثيرة للشك فيما يزعمونه له من شجاعة وإقدام، لا

(١) راجع: الإصابة ج ٣ ص ١٩ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٤ ص ٥٧١ عن الطبراني
عن محمد بن سلام الجمحي، وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٦ ص ٣٨٥ والمعجم
الكبير للطبراني ج ١٧ ص ٤٥ ومجمع الزوائد ج ٥ ص ٣١٩.

(٢) الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ٢ ص ٢٣٨ و (ط دار الجليل) ج ٢ ص ٧٧٣ حول
طليحة، والإصابة ج ٢ ص ٢٣٤ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٣ ص ٤٤٠،
وراجع حول عمرو: الإستيعاب (ط دار الجليل) ج ٣ ص ١٢٠١ والإصابة ج ٣
ص ١٨ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٤ ص ٥٨٦ وسفينة البحار ج ٦ ص ٤٨٣
عن تنقيح المقال وثمة مصادر أخرى تقدمت في بعض الهوامش.

(٣) البحار ج ٤١ ص ٩٦ عن المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٦٠٦ و (ط المكتبة
الحيدرية) ج ٢ ص ٣٣٤ وسفينة البحار ج ٦ ص ٤٨٢.

(٤) البحار ج ٤١ ص ٩٦ عن المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٦٠٦ و (ط المكتبة
الحيدرية) ج ٢ ص ٣٣٤.

(٥) راجع: أقرب الموارد ج ١ ص ٦٦٥.

٣٠٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

سيا وأنه بعد ارتداده أسره المهاجر بن أبي أمية، وأرسله إلى أبي بكر^(١).
وتقدم: أن خالد بن سعيد بن العاص سبى وأسر بني زبيد، وهم قوم عمرو بن معد يكرب ولم يصنع عمرو شيئاً.
والصحيح: أن الذين سباهم هو علي «عليه السلام» كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

كذب عمرو بن معد يكرب:

ويبدو لنا: أن ما يذكرونه عن بطولات عمرو بن معد يكرب قبل إسلامه، لا يعدو أن يكون روايات من نسج خيال عمرو نفسه، فقد عرف عنه: أنه كان يكذب.

فقد رووا: أنه كان يحدث بحديث، فقال فيه: لقيت في الجاهلية خالد بن الصقعب، فضربته وقودته، وخالد في الحلقة.

فقال له رجل: إن خالداً في الحلقة.

فقال له: أسكت يا سيء الأدب، إنما أنت مُحدث، فاسمع أو فقم.

ومضى في حديثه، ولم يقطعه، فقال له رجل: أنت شجاع في الحرب والكذب معاً.

قال: كذلك أنا تام الآلات^(٢).

(١) الإصابة ج ٣ ص ١٨ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٤ ص ٥٦٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٩ ص ٤٩٤ وأسد الغابة ج ٤ ص ١٣٣ والبداءة والنهاية ج ٦ ص ٣٦٤ وخزانة الأدب للبغدادي ج ٢ ص ٣٩٤.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ج ٤٦ ص ٣٨٩ وقال في هامشه: رواه المعافي بن زكريا في المجلس الصالح الكافي ج ٢ ص ٢١٤ و ٢١٥ وراجع: شرح النهج للمعتزلي ج ٦ ص ٣٦٢.

الفصل العاشر:

معاذ وأبو موسى في اليمن

بريدنا العام

البريد العام، ١٩٨٠

بعث معاذ، وأبي موسى الأشعري إلى اليمن:

عن أبي بردة مرسلاً، وعن أبي موسى الأشعري قال: أقبلت إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ومعي رجلان من الأشعرين. أحدهما عن يميني والآخر عن شمالي. كلاهما يسأل العمل والنبى «صلى الله عليه وآله» يستاك. فقال: «ما تقول يا أبا موسى»؟

أو قال: «يا عبد الله بن قيس»؟

قال: فقلت: والذي بعثك بالحق، ما أطلعاني على ما في نفسيهما وما شعرت أنهما يطلبان العمل.

قال: فكأنى أنظر إلى سواكه تحت شفتيه وقد قلصت.

قال: «لن يستعمل على عملنا من يريده، ولكن اذهب أنت يا أبا موسى».

أو قال: «يا عبد الله بن قيس».

قال أبو موسى: فبعثني رسول الله «صلى الله عليه وآله» ومعاذاً إلى اليمن.

قال أبو بريدة: بعث كل منهما على مخالفه.

قال: واليمن مخلافان، وكانت جهة معاذ العليا وجهة أبي موسى السفلى.

٣٠٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

قال أبو موسى: فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ادعوا الناس، وبشرا ولا تنفرا، ويسرا ولا تعسرا، وتطاوعا ولا تختلفا».

قال أبو موسى: يا رسول الله، أفتنا في شرايين كنا نصنعها باليمن.

قال: البتة وهو من العسل ينبذ ثم يشتد، والمزر وهو من الذرة والشعير ينبذ ثم يشتد.

قال: وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أعطي جوامع الكلم وخواتمه.

قال: «أنهى عن كل مسكر أسكر عن الصلاة»^(١).

وفي رواية: فقال: «كل مسكر حرام»^(٢).

قال: فقد منا اليمن، وكان لكل واحد مناقبة نزلها على حدة.

قال أبو بردة: فانطلق كل واحد منهما إلى عمله، وكان كل واحد منهما إذا سار في أرضه، وكان قريباً من صاحبه أحدث به عهداً، فسلم عليه.

فسار معاذ في أرضه قريباً من صاحبه أبي موسى، فجاء يسير على بغلته حتى انتهى إليه، فإذا هو جالس وقد اجتمع إليه الناس، وإذا رجل عنده قد

جمعت يده إلى عنقه، فقال له معاذ: يا عبد الله بن قيس، أيم هذا؟

قال: هذا يهودي كفر بعد إسلامه، انزل. وألقى له وسادة.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٢٩ وفي هامشه عن: البخاري في كتاب المغازي

(٤٣٤٤) وراجع: البداية والنهاية ج ٥ ص ٩٩ وصحيح مسلم ج ٦ ص ١٠٠

والسنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ٢٩١ وصحيح ابن حبان ج ١٢ ص ١٩٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٢٩ ونيل الأوطار للشوكاني ج ٩ ص ٥٧ وفقه

السنة ج ٢ ص ٣٧٧ و ٣٨٦ وعون المعبود ج ١٠ ص ٩٩.

فقال: لا أنزل حتى يقتل.

فأمر به فقتل.

قال: إنما جيء به لذلك، فانزل.

ثم نزل، فقال: يا عبد الله، كيف تقرأ القرآن؟

قال: «أتفوقه تفوقاً».

قال: فكيف تقرأ أنت يا معاذ؟

قال: أنا من أول الليل، فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم، فأقرأ ما كتب

الله لي، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي»^(١).

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» لمعاذ بن

جبل حين بعثه إلى اليمن: «إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب، فإذا جئتهم

فادعهم إلى أن يشهدوا ألا اله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله عز وجل قد فرض عليهم

خمس صلوات في كل يوم وليلة.

فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة

تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم.

فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم،

فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»^(٢).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٢٩.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٢٩ و ٢٣٠ عن البخاري، ومسلم. وقال في

هامشه: أخرجه البخاري ج ٢ ص ١٥٨ ومسلم في كتاب الإيمان (١٠) انتهى.

وراجع: البداية والنهاية ج ٥ ص ١٠٠ و (دار إحياء التراث العربي) ص ١١٥ =

٣٠٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

عن عمرو بن ميمون: أن معاذاً لما قدم اليمن صلى بهم الصبح، فقرأ سورة النساء، فلما قرأ: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾^(١)، قال رجل من القوم: لقد قرئت عين أم إبراهيم^(٢). ونقول:

إن مما لا شك فيه أن اليمن بلاد واسعة، وفيها سكان منتشرون في مخاليفها، ولا بد من دعوتهم جميعاً إلى دين الله، وإبلاغهم كلمة الحق والهدى.. فيحتاج الأمر إلى نشر الدعاة، وبث الموفدين في كل اتجاه، ولذلك تعددت الوفود، وكثر المبعوثون إليها.. ولعل معاذ بن جبل، وأبا موسى الأشعري كانا في جملة هؤلاء.

وقد صرحت الرواية: بأنه «صلى الله عليه وآله» قد بعث كلا منهما على خلافه.

ولكن تبقى لنا على هذه الروايات مؤاخذات، وإيضاحات نذكرها

= و ١١٦ ونصب الراية ج ٤ ص ٤١٨ وج ٢ ص ٣٩٨ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٤٢ وراجع: صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج ٥ ص ١٠٨ وعمدة القاري ج ١٨ ص ٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ١٩١.

(١) الآية ١٢٥ من سورة النساء.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٣٠ عن البخاري. وراجع: صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج ٥ ص ١٠٩ وعمدة القاري ج ١٨ ص ٥ والمصنف لابن أبي شعبة ج ١ ص ٣٨٩ وتغليق التعليق ج ٤ ص ١٥٥ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ١ ص ٥٧٣ والدر المنثور ج ٢ ص ٢٣٠ والبداء والنهاية ج ١ ص ١٩٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ٢٠٠ وقصص الأنبياء لابن كثير ج ١ ص ٢٣٩.

الفصل العاشر: معاذ وأبو موسى في اليمن ٣٠٩
على النحو التالي:

ترديدات تثير الشبهة:

إذا كان أبو موسى متردداً في كلا المرتين فيما خاطبه به رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلا يدري هل قال له: «يا عبد الله بن قيس»، أو قال له: «يا أبا موسى»، فكيف نطمئن إلى أنه قد حفظ بالفعل سائر أقوال النبي «صلى الله عليه وآله» بهذه الدقة، حتى أنه لم يتردد في أية كلمة منها؟! بل هو يحفظ ويصف لنا سواكه «صلى الله عليه وآله» تحت شفتيه، وقد قلصت!!

اليمن مخلافان:

تقول الرواية: إن اليمن مخلافان، الأعلى والأسفل، وتقول: كان كل من معاذ وأبي موسى يسير في أرضه، فإذا كان قريباً من صاحبه أحدث به عهداً، فسلم عليه..

وتقول: إنه كان لكل واحد منهما قبة نزلها على حدة.

فظاهر الرواية هو: أنها كانا في موضعين متجاورين، وأن قبتيهما كانتا متقاربتين، والسؤال هو:

أولاً: إن اليمن بلاد شاسعة تعد بعشرات الألوف من الكيلومترات المربعة، وليست مجرد قطعتي أرض متجاورتين، يسير فيهما الراكب جيئةً وذهاباً، ويتفقدهما كما يتفقد كرمه أو بستانه، أو جبلاً، أو سهلاً فسيحاً، يعيش فيه.

ثانياً: إذ كانا قريبين إلى هذا الحد، فلماذا ضربا لأنفسهما قبتين على حدة، فلتكن لهما قبة واحدة، وهذا ينطلق إلى مخلافة في الجهة العليا، والآخر

ينطلق إلى خلافه في الجهة السفلى..

تطاوعا ولا تختلفا:

وقد ذكرت الرواية قول النبي «صلى الله عليه وآله» لهما: تطاوعا ولا تختلفا.

ونقول:

إذا كانت بلاد اليمن مخلافين، وكان «صلى الله عليه وآله» قد عين كل واحد منهما في مخلاف، ولم يكن لأحدهما أي علاقة بعمل الآخر، فلا معنى لأن يختلفا، أو أن يتفقا في شيء..

إلا أن يكون المقصود هو تحذيرهما من الاختلاف، وهما في الطريق إلى اليمن، حيث شاءت الصدفة أن يسيرا إلى تسلم مهمتهما في وقت واحد. وصادف أن سلكا طريقاً واحداً.

قتل اليهودي:

وقد ذكرت الرواية: أن معاذاً لم يرض بالنزول حتى قتلوا اليهودي الذي أسلم ثم ارتد.

ونحن نشك في صحة ذلك، فإنه «صلى الله عليه وآله» إنما بعثهما إلى اليمن دعاء لا حكماً، ولم يكن الإسلام قد فشا في تلك البلاد، ولا كان بإمكان مبعوثي النبي «صلى الله عليه وآله» أن يقتلا يهودياً أسلم ثم ارتد، مع ملاحظة كثرة اليهود في ذلك البلد.

وقد ذكرنا عن قريب بعض ما يرتبط بأبي موسى، وأنه جاثليق هذه الأمة وسامريها، إلى غير ذلك من أمور تدل على سوء العلاقة بينه وبين ربه، وبينه وبين أهل بيت نبيه الأعظم «صلى الله عليه وآله». حتى إن علياً «عليه السلام» كان يقنت في الصبح والمغرب بلعنه مع جماعة آخرين إلى أمور كثيرة لا نرى حاجة لإعادتها..

غير أن هؤلاء يظهرون هذا الرجل بالذات على أنه من أتقى الناس، وأن العلم انتهى إلى ستة هو أحدهم، وأن القضاء إلى أربعة هو أحدهم أيضاً، ثم يذكرون هنا قراءته للقرآن هو ومعاذ.. فتبارك الله الخالق والبارئ الذي مسخ أقواماً فجعل منهم القردة والخنازير، ثم إن هؤلاء يمسخون أبا موسى فيجعلونه من الأتقياء، وأعلم العلماء بعد أن كان على الضد من ذلك.

هناك تجعل فضيلة لمعاذ:

ولهم في معاذ مبالغات، تزيد على مبالغاتهم في أبي موسى الأشعري كما يعلم بالمراجعة.

وقد زعموا هنا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد كتب لمعاذ بن جبل، وهو في اليمن: «إني عرفت بلاءك في الدين، والذي ذهب من مالك حتى ركبك الدين، وقد طيب لك الهدية، فإن أهدي لك شيء فاقبل»^(١).

(١) الإصابة ج ٢ ص ٤٤٥ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٤ ص ٣٤٤ و ج ٦ ص ١٠٨
وراجع: ج ٣ ص ٤٢٧ و كتر العمال ج ١٦ ص ١٩٦ و ج ٦ ص ٥٨ و (ط مؤسسة =

٣١٢..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

وقد زعموا: أن السبب في هذا السماح هو: أن معاذاً كان رجلاً سمحاً، فركبه الدين، فلزمه غрмаؤه، حتى تغيب عنهم أياماً في بيته، فأرسله رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى اليمن، وقال له: لعل الله يجبرك، ويؤدي عنك^(١).

قال عمر: «وكان أول من اتجر في مال الله هو، فمكث حتى أصاب، وحتى قبض رسول الله «صلى الله عليه وآله»».

فلما قدم قال عمر لأبي بكر: أرسل إلى هذا الرجل فدع له ما يعيشه، وخذ سائر منه.

فقال أبو بكر: إنها بعثه رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليجبره. ولست بأخذ منه شيئاً إلا أن يعطيني.

فانطلق عمر إلى معاذ، فذكر ذلك له، فقال معاذ: إنها أرسلني النبي «صلى الله عليه وآله» ليجبرني، ولست بفاعل.

= الرسالة) ج ٦ ص ١١٥ وج ١٠ ص ٥٩٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٥٨ ص ٤١١ و ٤٣٢ و ٤٣٤ ورسالات نبوية ص ٢٦٨ ومكاتيب الرسول ج ٣ ص ٥٥٥ وجمع الزوائد ج ٤ ص ١٥٠.

(١) أسد الغابة ج ٤ ص ٣٧٧ و(ط دار الكتاب العربي) ج ٤ ص ٣٧٧ والإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ٣ ص ٣٥٨ وحلية الأولياء ج ١ ص ٢٣٢ والمستدرک علی الصحیحین للحاکم ج ٣ ص ٢٧٤ وراجع: إعانة الطالبین للدمياطي ج ٣ ص ٧٩ ومکاتیب الرسول ج ٣ ص ٥٥٥ ونصب الراية للزليعي ج ٢ ص ٤١١ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٥٨٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٥٨ ص ٤٣١.

الفصل العاشر: معاذ وأبو موسى في اليمن ٣١٣

ثم أتى معاذ عمر، فقال: قد أطعتك، وأنا فاعل ما أمرتني به، فإني رأيت في المنام أني في حومة ماء قد خشيت الغرق، فخلصتني منه يا عمر الخ...^(١).

ونقول:

أولاً: لو سلمنا أن حديث جبر معاذ بإرساله إلى اليمن قد صدر عن النبي «صلى الله عليه وآله»، ولم يسمعه عمر، وسمعه أبو بكر ومعاذ، فالسؤال هو: لماذا لم يصدق عمر معاذاً ولا أبا بكر في ذلك؟! بل بقي متردداً أو شاكاً!!

ثانياً: إن العسقلاني يذكر مضمون الكتاب الذي يزعمون أن النبي «صلى الله عليه وآله» أرسله إلى معاذ في اليمن، يطيب له فيه الهدية - يذكره - على أنه من قول النبي «صلى الله عليه وآله» لمعاذ حين أرسله إلى اليمن، لا أنه كتاب أرسله إليه في اليمن!!^(٢).

ثالثاً: هل كان النبي «صلى الله عليه وآله» يبعث كل من ركبه الدين، أو وزعت أمواله على دائنيه إلى بلد من البلاد، ليكون والياً عليها، مستفيداً من هدايا أهله؟!

وهل حصل مثل هذا الذي حصل لمعاذ لأي واحد من أولئك الذين ولاهم النبي «صلى الله عليه وآله» بلداً، أو مخلفاً وما أكثرهم!.

(١) الإستهيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج ٣ ص ٣٥٨ و (ط دار الجليل) ج ٣ ص ١٤٠٥ والمصنف للصنعاني ج ٨ ص ٢٦٩ وكنز العمال ج ٥ ص ٥٩٢.

(٢) تقدمت مصادر ذلك.

وهل سمح له حين خلفه في مكة مع عتاب بن أسيد بأن يقبل الهدية من أهلها، ليجبره بذلك أيضاً.

رابعاً: ذكروا: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يرسل معاذاً والياً على البلاد والعباد، وإنما أرسله ليكون مجرد قاض للجند، ويعلم الناس القرآن، وشرائع الإسلام، ويقضي بينهم، ويقبض الصدقات من عمال رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لأنه «صلى الله عليه وآله» قد قسم اليمن على خمسة، وهم: المهاجر بن أبي أمية على كندة، وخالد بن سعيد على صنعاء، وزيد بن لبيد على حضرموت، ومعاذ على الجند، والأشعري على عدن، وزيد وزمعة والساحل^(١).

فإن كانت الهدية تحرم على الولاة كما في الروايات^(٢)، فإن معاذاً لا ولاية له، وإن كانت تحرم على القضاة، فإن حرمتها ليست قابلة للرفع، لأنها تؤثر على سلامة القضاء، وتؤدي إلى التهمة في الأحكام. وإن كان

(١) الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج ٣ ص ٣٥٦ و ٣٥٧ و (ط دار الجيل) ج ٣ ص ١٤٠٣ ومعجم ما استعجم للبكري الأندلسي ج ٢ ص ٧٠٢ وعمدة القاري للعيني ج ٨ ص ٢٣٥ وراجع: الإستذكار لابن عبد البر ج ٣ ص ١٩٠ والتمهيد لابن عبد البر ج ٢ ص ٢٧٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٥٨ ص ٣٩٣ و ٤١٥ وكتاب المحبر للبغداد ص ١٢٦ وإكمال الكمال لابن ماکول ج ١ ص ٤٦.

(٢) مكاتيب الرسول ج ٣ ص ٥٥٥ و ٥٥٦ عن المصادر التالية: صحيح مسلم ج ٣ ص ١٤٦٣ وسنن أبي داود ج ٣ ص ١٣٤ والبخاري ج ٩ ص ٣٦ وعمدة القاري ج ٢٤ ص ١٢٤ وفتح الباري ج ٥ ص ١٦٢ وج ١٢ ص ٣٠٦ والترمذي في كتاب الأحكام باب ٨، والوسائل (ط دار الإسلامية) ج ١٨ ص ١٦٣ وكنز العمال ج ٦ ص ٥٥ فما بعدها.

الفصل العاشر: معاذ وأبو موسى في اليمن ٣١٥
قضاؤه خاصاً بالجند، وليس والياً على الناس، فلا حاجة إلى إحلال الهدية
له، لأن الهدية تكون حلالاً له بصورة طبيعية.

خامساً: إذا كان «صلى الله عليه وآله» قد سمح لمعاذ بقبول الهدية،
فلماذا تجاوز ذلك، واتَّجر في مال الله أيضاً؟^(١).

ولعل الحقيقة هي: أن هذا الرجل قد عدا على مال الله تعالى، فاكتنزه
لنفسه، فحاولوا التستر عليه بافتعال هذا الكتاب، وتلك المناسبة.. وقد
أرادوا بذلك مكافأته على مواقفه المؤيدة لسياستهم، كما سنشير إليه إن
شاء الله تعالى..

معاذ في ميزان السياسة:

إن تعظيم هؤلاء وتفخيمهم لمعاذ يفوق حد التصور، ويكفي أن نذكر أنه
عندهم «أعلم الأولين والآخرين، بعد النبيين والمرسلين، وإن الله ليباهي به
الملائكة»^(٢).

(١) الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج ٣ ص ٣٥٨ و (ط دار الجليل) ج ٣ ص ١٤٠٤
ومكاتب الرسول ج ٣ ص ٥٥٥ وراجع: خلاصة عقبات الأنوار للنقوي ج ٣
ص ٩٥ والدرية في تخريج أحاديث الهداية لابن حجر ج ٢ ص ٢٤٣ وكنز العمال ج ٥
ص ٥٩١ ونصب الراية للزليعي ج ٦ ص ١٩٨ وقاموس الرجال ج ١٠ ص ٩٨.

(٢) المستدرك للحاكم ج ٣ ص ٢٧١ وكنز العمال ج ١٢ ص ٣١٤ وج ٦ ص ١٩٤ و
(ط مؤسسة الرسالة) ج ١١ ص ٧٤٥ وسير أعلام النبلاء للذهبي ج ١ ص ٤٦٠
والكشف الحثيث لسبط ابن العجمي ص ١٧٨ وتاريخ المدينة لابن شبة ج ٣
ص ٨٨١ والغدير ج ١٠ ص ١٨.

سر تعظيم معاذ بن جبل:

قد قرأنا في النص المتقدم الحديث الذي يذكر شدة معاذ بن جبل على اليهودي الذي أسلم ثم ارتد حتى إنه لم ينزل إليهم حتى قتلوه..
ثم قرأنا فيه أيضاً.. حديثه عن نفسه حول قراءة القرآن، ليدل ذلك على شدة التزامه بخط التقوى، ومواظبته على الأمور العبادية..
غير أننا نقول:

ليت شدة معاذ كانت قد اقتصررت على ذلك اليهودي، ولم تتجاوزه إلى أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، حيث شارك معاذ في الهجوم على بيت الزهراء «عليها السلام» فور وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله».
وفي بعض الروايات: أنه كان على ألف من المقاتلين حين البيعة لأبي بكر وهاجموا علياً «عليه السلام» وأصحابه في المسجد^(١).
وروي: أنه كان من أصحاب الصحيفة التي تعهد كاتبوها بإزالة الإمامة عن علي «عليه السلام»^(٢).
وروي: أنه حين احتضاره كان يدعو بالويل والبثور، لما لآته على علي

(١) الإحتجاج للطبرسي ج ١ ص ١٠٤ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٢٤٢ والبحار ج ٢٨ ص ٢٠٢ ومواقف الشيعة للأحمدي ج ١ ص ٤٣٠ والفوائد الرجالية للسيد بحر العلوم ج ٢ ص ٣٣٣ والدر النظيم ص ٤٤٦ ونهج الإيمان لابن جبر ص ٥٨٦ وبيت الأحزان ص ٩٦ ومجمع النورين للمرندي ص ٧٩.

(٢) كتاب سليم بن قيس (ط النجف) ص ١٠٩ و (بتحقيق محمد باقر الأنصاري) ص ٣٤٥.

الفصل العاشر: معاذ وأبو موسى في اليمن ٣١٧
«عليه السلام» خصوصاً بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(١).
وكان مع الذين شهروا سيوفهم وأخرجوا أبا بكر، وأصعدوه منبر
رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وتهددوا من يعارضهم بالقتل^(٢).
ولأجل ذلك تمنى عمر بن الخطاب: لو كان معاذ حياً لاستخلفه^(٣).

معاذ بن جبل لم يتول مخرلاً:

إن الروايات تنص على: أن معاذاً كان أميراً على الجند فقط، وأما أبو
موسى فكان أميراً على عدن، وزبيد، والساحل، فلم يكن إذن معاذ أميراً
على أي من مخرلات اليمن، لا الأعلى ولا الأسفل، ولا غير ذلك^(٤).

(١) إرشاد القلوب للدليمي ص ٣٩١ وكتاب سليم بن قيس (بتحقيق الأنصاري)
ص ٣٤٦ والصراط المستقيم ج ٣ ص ١٥٣ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٥٧٤
والبهار ج ٢٨ ص ١٢٢ وج ٣٠ ص ١٢٨ وج ٣١ ص ٦٣٤ وج ٥٨ ص ٢٤١
ومستدرك سفينة البحار ج ٢ ص ٣٢٠ ومستدركات علم رجال الحديث ج ٤
ص ٤١٢ ومجمع النورين للمرندي ص ٢٠٤.

(٢) كتاب الرجال للبرقي ص ٦٦ ومعجم رجال الحديث للسيد الخوئي ج ١٩
ص ٢٠٣ وقاموس الرجال للتستري ج ١٠ ص ٩٨ والصراط المستقيم ج ٢
ص ٨٢ ونهج الإيثار ص ٥٨٦.

(٣) الإمامة والسياسة ج ١ ص ٢٨ وتخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ج ٢ ص ٢٤٩
وتفسير النسفي ج ٢ ص ٢٧٥.

(٤) الإستيعاب (بهاشم الإصابة) ج ٣ ص ٣٥٦ و ٣٥٧ و (ط دار الجليل) ج ٣
ص ١٤٠٢ وراجع: معجم ما استعجم للبكري الأندلسي ج ٢ ص ٧٠٢ وعمدة
القاري للعيني ج ٨ ص ٢٣٥ وراجع: الإستذكار لابن عبد البر ج ٣ ص ١٩٠ =

سرية قطبة بن عامر إلى حي من خثعم:

قالوا: بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» قطبة بن عامر بن حديدة في عشرين رجلاً إلى [حي من] خثعم - قريباً من تربة على يومين من مكة، قال محمد بن عمر: بناحية تبالة، وقال ابن سعد: بناحية بيشة - وأمره أن يشن الغارة عليهم، فخرجوا على عشرة أبصرة يعقبونها. فأخذوا رجلاً، فسألوه، فاستعجم عليهم - أي سكت ولم يعلمهم - وجعل يصيح بالحاضر^(١)، ويحذرهم، فضربوا عنقه.

ثم أمهلوا حتى نام الحاضر، فشنوا عليهم الغارة، فخرج إليهم رجال الحاضر، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كثر الجراح في الفريقين جميعاً، وجاء الخثعميون الدّهم (أي العدد الكثير)، فحال بينهم سيل أتى، فما قدر رجل واحد منهم يمضي حتى أتى قطبة على أهل الحاضر، وقتل قطبة من قتل منهم، وساقوا النعم، والشاء، والنساء إلى المدينة.

وكانت سهمانهم أربعة [أبصرة]. والبعر يعدل بعشر من الغنم، بعد أن أخرج الخمس، وكان ذلك في صفر سنة تسع^(٢).

= والتمهيد لابن عبد البر ج ٢ ص ٢٧٦ وتاريخ مدينة دمشق ج ٥٨ ص ٣٩٣ و ٤١٥ وكتاب المحبر للبغدادى ص ١٢٦ وإكمال الكمال لابن ماکولا ج ١ ص ٤٦.

(١) الحاضر: هم القوم النزول على ماء، يقيمون به، ولا يرتحلون عنه.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢١٤ والسيرة ج ٣ ص ٢٠٤ والمغازي للواقدي ج ٣ ص ٩٨١ وج ٢ ص ٧٥٤ و ٧٥٥ وج ١ ص ٧ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٤ ص ٤٠ و ٤١ ومكاتب الرسول ج ٣ ص ٤١٤ عن الباب ج ١ ص ٤٢٣ والأنساب للسمعاني ج ٥ ص ٥١ ونهاية الإرب ص ٢٢٩ ومعجم قبائل العرب ج ١ ص ٣٣١ =

الفصل العاشر: معاذ وأبو موسى في اليمن ٣١٩
ونقول:

١ - قال ياقوت: بيشة: من عمل مكة مما يلي اليمن، من مكة على خمس مراحل، وبها من النخل والفسيل شيء كثير، وفي وادي بيشة موضع مشجر كثير الأسد^(١).

٢ - تبالة بالفتح، قيل: تبالة التي جاء ذكرها في كتاب مسلم بن الحجاج: موضع ببلاد اليمن، وأظنها غير تبالة الحجاج بن يوسف، فإن تبالة الحجاج بلدة مشهورة من أرض تهامة في طريق اليمن، وأسلم أهل تبالة وجرش من غير حرب، فأقرهما رسول الله «صلى الله عليه وآله» في أيدي أهلها على ما أسلموا^(٢).

٣ - إن الإقتصار على عشرين رجلاً في تلك السرية يشير إلى أنها لم تكن سرية قتال، بل سرية دعوة إلى الله تبارك وتعالى. لاسيما مع ملاحظة بُعد المسافة بين المدينة، وبين الموضع الذي تقصده تلك السرية، فإن عشرين رجلاً لا يمكنهم مواجهة المئات من المقاتلين الذين يعيشون في أوطانهم،

= وجهرة أنساب العرب ص ٣٩٠ و ٤٧٥ و ٤٨٤ والإشتقاق لابن دريد ص ٥٢٠ -
٥٢٢ وتاريخ الأمم والملوك للطبري ج ٢ ص ١٣٢ ومروج الذهب ج ٢ ص ٤٧
وتخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ج ٢ ص ١٩٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢
ص ١٦٢ وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ٤٢ وعيون الأثر ج ٢ ص ٢٣٨.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ١ ص ٥٢٩ ومعجم البلدان ج ١ ص ٦٢٨ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ١ ص ٥٢٩.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ١ هامش ص ٢١٤ ومعجم البلدان ج ١ ص ١١١٠ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٢ ص ٩.

وكل وسائل العيش متوفرة لهم، مع معرفتهم التامة بمسالك المنطقة، وشعابها، ومواضع الماء والكلاء فيها..

أما أفراد السرية فهم قليلو العدد، ولا يتوفر لهم شيء من ذلك، ولن يكونوا قادرين على مواجهة العشرات من المقاتلين في مثل هذه الظروف الصعبة، ولا يمكنهم الحصول على المدد، وليس لديهم ما يكفي من العدة والعدد، لو أراد الخثعميون ملاحقتهم بالقتال. وسيكونون عرضة للمهالك والأخطار.

٤ - إن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يبدأ أحداً بقتال قبل الدعوة، وإقامة الحجة، واتخاذ المدعوين موقف المعاند والمحارب. فكيف ينسب إليه أنه يُغير على الآمنين، أو يأمر بالإغارة عليهم إذا لم يكونوا محاربين.

ولم يظهر لنا مما في أيدينا من نصوص: أنه «صلى الله عليه وآله» سبق ودعا خثعماً إلى الإسلام، أو أن هذه القبيلة البعيدة عنه هذه المسافات قد أعلنت حربها عليه، أو اعتدت عليه أو أغارت على أطرافه..

فما معنى: أن يأمر «صلى الله عليه وآله» قطبة بن عامر بالإغارة عليهم.

٥ - إن النص المتقدم قد صرح: بأن قطبة بن عامر حين شن الغارة على خثعم اقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل قطبة منهم من قتل. وساق النعم والشاء والنساء إلى المدينة..

وسؤالنا هو:

إن المفروض هو: أن الجراح قد كثرت في الفريقين، فما معنى ادّعاء: أن قطبة قد قتل من قتل منهم - بل لقد قال الواقدي: حتى أتى قطبة على أهل الحاضر - ومعنى هذا: أنه استأصلهم عن بكرة أبيهم، فهل تفرّد قطبة بقتل

الفصل العاشر: معاذ وأبو موسى في اليمن ٣٢١
أهل الحاضر دون سائر من معه؟! ولماذا لم يستطع أحد من العشرين
الآخرين، الذين كانوا معه أن يقتلوا أحداً من أهل الحاضر، بل اكتفوا
بجرحهم؟!..

ولماذا لم يُقتل أحد من العشرين، بل كثرت الجراح فيهم كما كثرت
الجراح في أهل الحاضر؟!

وإذا كان السيل قد حال بين الذين جاؤوا لنجدة أهل الحاضر وبين
المغيرين، فقد كان بإمكانهم أن يلاحقوهم بعد ذلك، وحين يتمكنون من
تجاوز السيل ولو بعد يوم أو يومين، فإن سير الأثقال، إذا كان فيها الإبل،
والشاء، والأطفال، والنساء سيكون بطيئاً وثقيلاً.. وسوف يتوزع الفرسان
العشرون حولها لحمايتها وحفظها من التشتت والضياع.. وسيحتاج
وصولهم إلى المدينة إلى ضعف الوقت الذي يحتاجونه لو لم تكن هذه الأمور
معهـم.

سرية علقمة إلى ساحل جدة:

قال ابن سعد: في شهر ربيع الآخر [سنة تسع] (١).

وقال محمد بن عمر الأسلمي، والحاكم: في صفر بلغ رسول الله «صلى
الله عليه وآله» - حسب نص ابن سعد - أن ناساً من الحبشة تراآهم أهل

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢١٦ عن ابن سعد. والطبقات الكبرى لابن سعد
ج ٢ ص ١٦٣ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤١ ص ١٩٥ والإصابة (ط دار الكتب
العلمية) ج ٤ ص ٤٦٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٦٢٣ وإمتاع الأسماع
ج ٢ ص ٤٥ وعيون الأثر ج ٢ ص ٢٤٠.

٣٢٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

الشعبية في ساحل جدة، بناحية مكة في مراكب. فبعث إليهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» علقمة بن مجزّز في ثلثائة، فانتهى إلى جزيرة في البحر، وقد خاض إليهم في البحر، فهربوا منه^(١).

فلما رجع تعجل بعض القوم إلى أهلهم، فأذن لهم، وأمر عليهم عبد الله بن حذافة.

وعن أبي سعيد الخدري قال: بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» علقمة بن مجزّز، وأنا فيهم، حتى إذا بلغنا رأس غزاتنا أو كنا ببعض الطريق أذن لطائفة من الجيش، واستعمل عليهم عبد الله بن حذافة السهمي. وكان من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» وكانت فيه دعاية. فنزلوا ببعض الطريق، وأوقدوا ناراً يصطلون عليها ويصطنعون.

فقال: عزمت عليكم إلا توابتم في هذه النار.

فقام بعضهم فتحجزوا حتى ظن أنهم واثبون فيها.

فقال لهم: اجلسوا، إنما كنت أضحك معكم.

فذكروا ذلك لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: «من أمركم بمعصية الله فلا تطيعوه»^(٢).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢١٦ عن ابن سعد، والحاكم، وغيرهما، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٠٤ والمغازي للواقدي ج ٣ ص ٩٨٣ وراجع: شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٤ ص ٤٢ و ٤٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢١٦ عن ابن إسحاق، وقال في هامشه: أخرجه ابن ماجة ج ٢ ص ٩٥٥ (٢٨٦٣)، وابن حبان (١٥٥٢)، وابن سعد في الطبقات ج ٢ ق ١ ص ١١٨ انتهى. وراجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٠٤ والمغازي =

الفصل العاشر: معاذ وأبو موسى في اليمن ٣٢٣

وعن علي «عليه السلام» قال: بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» سرية، فاستعمل عليهم رجلاً من الأنصار، وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا، فأغضبوه في شيء، فقال: اجعوا لي حطباً فجمعوا له.

ثم قال: أوقدوا ناراً.

فأوقدوا ناراً.

ثم قال: ألم يأمركم رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن تسمعوا لي وتطيعوا؟

قالوا: بلى.

قال: فادخلوها.

فنظر بعضهم إلى بعض، وقالوا: إننا فررنا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» من النار.

فكان كذلك حتى سكن غضبه، وطفئت النار.

فلما رجعوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذكروا ذلك له، فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها أبداً».

وقال: «لا طاعة في معصية الله إنها الطاعة في المعروف»^(١).

= للواقدي ج ٣ ص ٩٨٣، والدر المنثور ج ٢ ص ١٧٦ و ١٧٧ عن البخاري، ومسلم، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الدلائل، وعن أبي شيبه، وأحمد، وأبي يعلى، وابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم، وعن الطبراني. وراجع: الثقات لابن حبان ج ٢ ص ٨٨.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢١٦ عن البخاري، ومسلم، وقال في هامشه: =

ورجع علقمة بن مجزّز هو وأصحابه ولم يلق كيداً.
قول سيدنا علي «عليه السلام» عنه: واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار
(وهم من بعض الرواة، وإنما هو سهمي)^(١).
ونقول:

أمير السرية أنصاري أم قرشي؟!:

إن علقمة بن مجزّز المدلجي، ومدلج قبيلة من كنانة.. وعبد الله بن
حذافة السهمي القرشي، وهو من قدماء المهاجرين.
والنبي «صلى الله عليه وآله» أمر علقمة، ثم إن علقمة أمر ابن حذافة
على الذين يريدون الإسراع في الرجوع إلى أهلهم..
وبعد ما تقدم نقول:

١ - قال البخاري: باب سرية عبد الله بن حذافة السهمي، وعلقمة بن
مجزّز المدلجي. ويقال: إنها سرية الأنصاري..

= أخرج البخاري في كتاب المغازي (٤٣٤٠)، وأحمد في المسند ج ١ ص ١٢٤،
والبيهقي في الدلائل ج ٤ ص ٣١٢، وذكره السيوطي في الدر المنثور ج ٢
ص ١٧٧ عن ابن أبي شيبة، انتهى. وراجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٠٤
والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٤ ص ٤٤ - ٤٨ عن الحاكم، وابن ماجة،
وابن خزيمة وصححه، وأحمد.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢١٦ وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٤ ص ٤٤ و
٤٥ وفتح الباري ج ٨ ص ٤٧ وعمدة القاري ج ١٧ ص ٣١٤ وتحفة الأحوذى
ج ٥ ص ٢٥٩ وتهذيب الكمال ج ١٥ هامش ص ٤٧٠.

الفصل العاشر: معاذ وأبو موسى في اليمن ٣٢٥
ثم روى^(١) عن علي «عليه السلام» قال: بعث النبي «صلى الله عليه وآله» سرية، فاستعمل عليها رجلاً من الأنصار الخ..^(٢)

وفي هذا الكلام خلل من جهتين:

إحدهما: أن كلا الرجلين: علقمة بن مجز، وعبد الله بن حذافة.. لم يكونا من الأنصار، لأن الأنصار هم خصوص الأوس والخزرج^(٣).

الثانية: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يؤمر عبد الله بن حذافة، بل أمر علقمة. وعلقمة هو الذي أمر ابن حذافة على خصوص الراجعين إلى أهلهم، فما معنى قولهم: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أمر ذلك الرجل الذي أمرهم بدخول النار التي أضرموها؟!
ثم يقولون: إن المقصود هو: عبد الله بن حذافة..

نزول آية طاعة ولي الأمر في ابن حذافة:

وزعموا: أن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٤) نزلت في عبد الله بن حذافة في هذه

(١) يعني البخاري في الأحكام، وفي خبر الواحد، ومسلم في المغازي (شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٤ ص ٤٤).

(٢) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٤ ص ٤٤ وصحيح البخاري ج ٥ (ط دار الفكر) ص ١٠٧ وعمدة القاري ج ١٧ ص ٣١٤.

(٣) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٤ ص ٤٧.

(٤) الآية ٥٩ من سورة النساء.

ونقول:

أولاً: إن الآية قد ألزمتهم بطاعة ابن حذافة، وهذا معناه: أنه كان يجب عليهم إطاعة هذا الرجل، والدخول في تلك النار.

(١) صحيح البخاري (كتاب التفسير، تفسير سورة النساء الآية ٥٩) و (ط دار الفكر) ج ٥ ص ١٨٠ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج ٦ ص ١٣ ومسنند أحمد (ط دار صادر) ج ١ ص ٣٣٧ والدر المنثور ج ٢ ص ١٧٦ وراجع: شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٤ ص ٤٧. وراجع: جامع البيان للطبري ج ٥ ص ٢٠٥ وتفسير ابن أبي حاتم ج ٣ ص ٩٨٨ وأسباب نزول الايات للنيسابوري ص ١٠٦ وأحكام القرآن لابن عربي ج ١ ص ٥٧٣ وزاد المسير ج ٢ ص ١٤٣ وتفسير الرازي ج ١٠ ص ١٤٤ والجامع لأحكام القرآن ج ٥ ص ٢٦٠ وتفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٥٢٩ والعجائب في بيان الأسباب لابن حجر ج ٢ ص ٨٩٥ وتفسير الجلالين للسيوطي ص ٢٤٤ وتفسير الثعالبي ج ٢ ص ٢٥٤ ولباب النقول للسيوطي (دار إحياء العلوم) ص ٧٢ و (ط دار الكتب العلمية) ص ٦٠ وفتح القدير للشوكاني ج ١ ص ٤٨١ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٧ ص ٣٥٣ والإصابة ج ٤ ص ٥١ والعثمانية للجاحظ ص ١١٦ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٤٥٧ والمتقى من السنن المسندة ص ٦٢ ومسنند أبي يعلى ج ٥ ص ١٣١ وسنن النسائي ج ٧ ص ١٥٥ والسنن الكبرى للنسائي ج ٤ ص ٤٣٢ وج ٥ ص ٢٢٢ وج ٦ ص ٣٢٤ وعون المعبود ج ٧ ص ٢٠٧ وتحفة الأحوذى ج ٣ ص ١٩٣ وج ٥ ص ٢٥٨ و ٢٥٩ وعمدة القاري ج ١٨ ص ١٧٦ وفتح الباري ج ٨ ص ٤٧ و ١٩١ وشرح مسلم للنووي ج ١٢ ص ٢٢٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ١٥٥ والغدير ج ٣ ص ١٦٥ ونيل الأوطار ج ٨ ص ٤٩.

الفصل العاشر: معاذ وأبو موسى في اليمن ٣٢٧

وهذا يتناقض مع قوله «صلى الله عليه وآله»: «لو دخلوها ما خرجوا منها أبداً إلى يوم القيامة، إنما الطاعة في المعروف، لا طاعة في معصية الخالق»، أو نحو ذلك..

ثانياً: روى ابن جرير: أن الآية المذكورة نزلت في قصة جرت لعمار مع خالد، حيث كان خالد أميراً، فعرسوا قريباً من القوم الذين يقصدونهم، فهربوا غير رجل واحد جاء ليلاً إلى عمار، وأخبره أنه مسلم.

فلما أغار خالد لم يجد غير ذلك الرجل، فأخذه وأخذ ماله، فأخبر عمار خالداً أن الرجل قد أسلم، وأنه قد أمّنه، فلم يرض خالد بذلك، فارتفعاً إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فأجاز ما فعله عمار، فنزلت^(١).

ثالثاً: عن ابن عباس: أن المراد بأولي الأمر في الآية: أهل الفقه والدين، وأهل طاعة الله، الذين يعلمون الناس معاني دينهم، ويأمرونهم بالمعروف، وينهونهم عن المنكر. فأوجب الله طاعتهم على العباد^(٢).

(١) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٤ ص ٤٨ عن ابن جرير، وفتح الباري، والدر المنثور ج ٢ ص ١٧٦ عن ابن جرير، وابن أبي حاتم، وعن ابن عساكر. وراجع: تفسير مقاتل بن سليمان ج ١ ص ٢٣٦ والعجائب في بيان الأسباب لابن حجر العسقلاني ج ٢ ص ٨٩٦.

(٢) الدر المنثور ج ٢ ص ١٧٦ عن ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم. وراجع: تفسير ابن أبي حاتم ج ٣ ص ٩٨٨ و ٩٨٩ والمستدرک للحاكم ج ١ ص ١٢٣ وجامع البيان للطبري ج ٥ ص ٢٠٦ وراجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ١ ص ٥٣٠.

وفي نص آخر عنه: هم أهل العلم^(١).
وعن جابر: أنهم أولوا الفقه، وأولو الخير^(٢).
وعن مجاهد: هم الفقهاء والعلماء^(٣).
وفي نص آخر عنه: أنهم أصحاب محمد، أهل العلم، والفقه والدين^(٤).
وعن أبي العالية: هم أهل العلم، ألا ترى أنه يقول: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى
الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾^(٥)،^(٦).
وعن الضحاك: هم أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، هم
الدعاة الرواة^(٧).

-
- (١) الدر المنثور ج ٢ ص ١٧٦ عن ابن عدي في الكامل. وراجع: جامع البيان للطبري ج ٥ ص ٢٠٦ و ٢٠٧ وفتح القدير ج ١ ص ٤٨٢.
- (٢) الدر المنثور ج ٢ ص ١٧٦ عن ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والحاكم الترمذي في نوادر الأصول، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه. وراجع: المصنف لابن أبي شيبة ج ٧ ص ٥٦٧.
- (٣) الدر المنثور ج ٢ ص ١٧٦ عن سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم.
- (٤) الدر المنثور ج ٢ ص ١٧٦ عن ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.
- (٥) الآية ٨٣ من سورة النساء.
- (٦) الدر المنثور ج ٢ ص ١٧٦ عن ابن أبي شيبة، وابن جرير. وراجع: تحفة الأحوذ ج ٣ ص ١٩٤ وعمدة القاري ج ١٨ ص ١٧٦ وجامع البيان للطبري ج ٥ ص ٢٠٧.
- (٧) تفسير ابن أبي حاتم ج ٣ ص ٩٨٩ والدر المنثور ج ٢ ص ١٧٧ عن ابن أبي حاتم.

وعن عطاء: أنهم أولوا الفقه والعلم^(١).

وكل هذه الأوصاف لا تنطبق على عبد الله بن حذافة، ولا على خالد بن الوليد، فما معنى أن يقال: إن الآية نزلت لتلزم الناس، وخصوصاً العلماء الفقهاء من أمثال عمار بن ياسر بطاعة هؤلاء؟! رابعاً: إنه لا معنى لاعتبار دخولهم النار معصية، إذا كانوا يظنون أن

أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» لهم بطاعة أميرهم يشمل هذا المورد.. ويظنون أن قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(٣) ناظر إلى غير هذه الصورة..

وقول الداودي: إن هذه القضية تفيد: «أن التأويل الفاسد لا يعذر به صاحبه»^(٤) مردود عليه بعد أن ثبت بطلان هذه الروايات، أو أنها قد تعرضت للتحوير والتزوير على أقل تقدير..

تنبيه ضروري:

ولابد لنا هنا من لفت نظر القارئ إلى: أن ما ذكرناه من روايات لهم عن نزول آية ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ في خالد، وعمار، إنما أوردناه لإلزام الطرف الآخر به، على قاعدة: ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم.

(١) الدر المنثور ج ٢ ص ١٧٦ عن عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم. وراجع:

فتح القدير ج ١ ص ٤٨١.

(٢) الآية ١٩٥ من سورة البقرة.

(٣) الآية ٢٩ من سورة النساء.

(٤) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٤ ص ٤٦.

نقول هذا لأننا نعتقد بعدم صحة قولهم: إن الآية نزلت لتأمر عماراً بطاعة خالد، فـ:

أولاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه قد أمضى ما فعله عمار.
ثانياً: إنه «صلى الله عليه وآله» لم يرض أن يصدر من خالد أي تعريض بعمار، وزجره عن ذلك.

فقد ذكرت الرواية المشار إليها نفسها: أن خالداً قال لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: أتترك هذا العبد الأجدع يشتمني؟!.

فقال «صلى الله عليه وآله»: يا خالد، لا تسب عماراً، فإن من سب عماراً سب الله، ومن أغضب عماراً أبغضه الله، ومن لعن عماراً لعنه الله^(١).

ثم تذكر الرواية: أن خالداً حاول استرضاء عمار عند ذلك، فراجع^(٢).
ثالثاً: إن الآية لا يمكن أن تنزل من عند الله، لتأمرهم بإطاعة خالد باعتبار أنه ولي شرعي.. في الوقت الذي يطلب خالد منهم ما لا يحق له. بل هو يعصي الله في ذلك، فهل يمكن أن تأمرهم بإطاعته في مورد يعصي الله فيه؟!.

(١) فضائل الصحابة للنسائي ص ٥٠ وشرح الأخبار ج ١ ص ٤١١ والمستدرک للحاکم ج ٣ ص ٣٩٠ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٧٤ والمعجم الكبير للطبراني ج ٤ ص ١١٢ وتهذيب الكمال للمزي ج ٢٥ ص ٣٦٦.

(٢) الدر المنثور ج ٢ ص ١٧٦ عن ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن عساكر. وراجع: خلاصة عبقات الأنوار للنقوي ج ٣ ص ٢٣ وجامع البيان للطبري ج ٥ ص ٢٠٦ وتفسير ابن أبي حاتم ج ٣ ص ٩٩٠ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ١ ص ٥٣٠ وتفسير الآلوسي ج ٥ ص ٦٥ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٢٦٥.

الفصل العاشر: معاذ وأبو موسى في اليمن ٣٣١
وقد جاء الحديث الصريح عنه «صلى الله عليه وآله»، ليقول: «لا طاعة
لمخلوق في معصية الخالق»^(١).

ولو فرضنا: أنه لم يكن عاصياً، بل كان جاهلاً بالحكم الشرعي، فهل
تجب طاعته فيما يجهره من أحكام، لتكون نتيجة ذلك هي مخالفتها، كما هو
الحال في مثل هذا المورد؟! فإن الرجل الذي أعطاه عمّار الأمان كان من
المسلمين. فلا يصح أن يسبى ولا يحتاج إلى إجارة عمّار له، ولا إجارة خالد
لذلك الجوار، بل لا يحتاج حتى إلى أمان من أحد، لأن النبي «صلى الله عليه
وآله» إنما أمر خالداً بمحاربة الكفار وسيبهم.. فعمّار لم يخطئ في توجيه
الرجل للبقاء في موطنه. وخالد هو الذي أخطأ حينما أسر الرجل، وأخذ
ماله وهو مسلم.

وأما لزوم أن تكون الإجارة والأمان بعلم الأمير.. فليس ثمة ما يثبت
إلا ما يدّعيه خالد نفسه.. وإلا، فإن (المسلمين) المؤمنين تتكافأ دماءهم،
وهم يد على من سواهم، ويسعى بذمتهم أدناهم^(٢)، وأيا رجل من المسلمين

(١) الدر المنثور ج ٢ ص ١٧٦ و ١٧٧ عن مصادر كثيرة.

(٢) راجع: الخلاف للشيخ الطوسي ج ٤ ص ٢٠٩ و ٢٧٢ و ج ٥ ص ١٤٧ و ٥٢٢
والمبسوط للشيخ الطوسي ج ٧ ص ٢٨٠ و المحلى لابن حزم ج ١ ص ٣٥٣ و
٣٥٤ وبداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد الحفيد ج ١ ص ٣٠٧ و ٣٢٥ و
٣٢٦ وسبل السلام للكحلاني ج ٣ ص ٢٣٤ ونبيل الأوطار للشوكاني ج ٧
ص ١٥٠ و ج ٨ ص ١٠٨ والكافي ج ١ ص ٤٠٣ و ٤٠٤ و ٥٤٢ ودعائم الإسلام
ج ١ ص ٣٧٨ و ج ٢ ص ٤٠٤ والأماشي للصدوق ص ٤٣٢ والخصال ص ١٥٠
والمجازات النبوية للشريف الرضي ص ١٧ وتهذيب الأحكام للطوسي ج ٤ =

٣٣٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦
أعطى لكافر أماناً ولو بإشارة منه، فإن أمانه ماضٍ له. ولا يستطيع أحد أن
يباري في ذلك..

= ص ١٣١ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج ٩ ص ٥٢٥ وج ١٥ ص ٦٧ و
٦٩ وج ٢٩ ص ٧٥ و ٧٦ و (ط دار الإسلامية) ج ٦ ص ٣٦٦ وج ١١ ص ٤٩ و
٥١ وج ١٩ ص ٥٥ و ٥٦ ومستدرك الوسائل ج ١١ ص ٤٥ وج ١٨ ص ٢٣٧ و
٢٣٨ والغارات للثقفى ج ٢ ص ٨٢٨ والأمالى للمفيد ص ١٨٧ والبحار ج ٢
ص ١٤٨ وج ٢١ ص ١٣٨ وج ٢٧ ص ٦٨ و ٦٩ و ١١٤ وج ٤٧ ص ٣٦٥ و
٢٤٢ وج ٧٤ ص ١٣١ و ١٤٦ وج ٩٧ ص ٤٧ وجامع أحاديث الشيعة ج ١
ص ٢٣٠ وج ٨ ص ٥٦٨ و ٦١٠ وج ١٣ ص ١٥٩ ومسنند أحمد ج ١ ص ١٢٢ و
١٩٢ و ٢١١ وسنن ابن ماجه ج ٢ ص ٨٩٥ وسنن أبي داود ج ١ ص ٦٢٥ وج ٢
ص ٣٧٥ وسنن النسائي ج ٨ ص ٢٠ و ٢٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٦
ص ٣٣٥ و ٣٣٦ وج ٨ ص ٢٩ و ٣٠ و ١٩٤ وج ٩ ص ٥١ و ٩٤ والمستدرك
للحاكم ج ٢ ص ١٤١ إضافة إلى مصادر أخرى كثيرة.

الفصل الحادي عشر:

صنم طيء.. وآل حاتم

1900-1901

1901-1902

هدم الفلس - صنم طيء:

قالوا: وفي شهر ربيع الآخر من سنة تسع بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» علي بن أبي طالب «عليه السلام» في خمسين ومائة رجل - أو مائتين كما ذكره ابن سعد - من الأنصار على مائة بعير وخمسين فرساً، ومعه راية سوداء، ولواء أبيض إلى الفلس، ليهدمه.

فأغاروا على أحياء من العرب، وشنوا الغارة على محلة آل حاتم مع الفجر، فهدموا الفلس وخربوه، وملأوا أيديهم من السبي، والنعم، والشاء. وكان في السبي سفانة أخت عدي بن حاتم، وهرب عدي إلى الشام. ووجد في خزانة الفلس ثلاثة أسياف: رسوب، والمخزم - كان الحارث بن أبي شمر قلده إياهما - وسيف يقال له: اليامي، وثلاثة أدرع.

واستعمل علي «عليه السلام» على السبي أبا قتادة، واستعمل على الماشية والرثة عبد الله بن عتيك.

فلما نزلوا ركك اقتسموا الغنائم وعزلوا للنبي «صلى الله عليه وآله» صفياء رسوباً والمخزم، ثم صار له بعد السيف الآخر، وعزل الخمس.

وعزل آل حاتم، فلم يقسمهم حتى قدم بهم المدينة. ومراً النبي «صلى الله عليه وآله» بأخت عدي بن حاتم، فقامت إليه

وكلمته: أن يمن عليها.

فمنّ عليها، فأسلمت وخرجت إلى أخيها، فأشارت عليه بالقدوم على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقدم عليه^(١).

وذكر ابن سعد في الوفود: أن الذي أغار، وسبى ابنة حاتم هو خالد بن الوليد^(٢).

والفُلس - بضم الفاء، وسكون اللام -: صنم لطيء ومن يليها^(٣).

وفي نص آخر ذكره الواقدي:

أن علياً «عليه السلام» دفع رايته إلى سهل بن حنيف، ولواءه إلى جبار بن صخر السلمي، وخرج بدليل من بني أسد يقال له: حريث، فسلّك بهم على طريق فيد (جبل)، فلما انتهى بهم إلى موضع قال: بينكم وبين الحيّ الذي تريدون يوم تام، وإن سرناه بالنهار وطئنا أطرافهم ورعاهم،

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢١٨ والمغازي للواقدي ج ٣ ص ٩٨٤ و ٩٨٥ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٠٥ وراجع: المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج ٤ ص ٤٨ و ٤٩ و ٥٠ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٢٠ و ١٢١ والإصابة ج ٤ ص ٣٢٩ وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٦٩ ص ١٩٤ - ٢٠٣ وإحقاق الحق (الملحقات) ج ٢٣ ص ٢٣٤ - ٢٣٧ وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٦٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٦٢٤ وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ٤٥.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢١٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٣٢٢ وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج ٦٩ ص ١٩٣.

(٣) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٤ ص ٤٨. وراجع: معجم البلدان ج ٤ ص ٢٧٣ وج ٥ ص ٢٠٥

الفصل الحادي عشر: صنم طيء.. وآل حاتم ٣٣٧

فأنذروا الحيّ، ففرقوا، فلم تصيبوا منهم حاجتكم، ولكن نقيم يومنا هذا في موضعنا حتى نمسي، ثم نسري ليلتنا على متون الخيل، فنجعلها غارة حتى نصبحهم في عماية الصبح.

قالوا: هذا الرأي!

فعسكروا وسرحوا الإبل واصطنعوا، وبعثوا نفرأ منهم يتقصّون ما حولهم، فبعثوا أبا قتادة، والحباب بن المنذر، وأبا نائلة، فخرجوا على متون خيل لهم يطوفون حول المعسكر، فأصابوا غلاماً أسود، فقالوا: ما أنت؟ قال: أطلب بغيتي.

فأتوا به علياً «عليه السلام»، فقال: ما أنت؟

قال: يا غ.

قال: فشدوا عليه.

فقال: أنا غلام لرجل من طيء من بني نبهان، أمروني بهذا الموضع وقالوا: إن رأيت خيل محمد فطر إلينا فأخبرنا، وأنا لا أدرك أسراً، فلما رأيتم أردت الذهاب إليهم، ثم قلت: لا أعجل حتى آتي أصحابي بخبر بينّ، من عددكم وعدد خيلكم، ورقابكم، ولا أخشى ما أصابني، فلكأني كنت مقيداً حتى أخذتني طلائعكم.

قال علي «عليه السلام»: أصدقنا ما وراءك.

قال: أوائل الحيّ على مسيرة ليلة طرادة، تصبحهم الخيل ومغارها حين غدوا.

قال علي «عليه السلام» لأصحابه: ما ترون؟

قال جبار بن صخر: نرى أن ننطلق على متون الخيل ليلتنا حتى نصبح

٣٣٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

القوم وهم غارون، فنغير عليهم ونخرج بالعبد الأسود ليلاً، ونخلف حريثاً مع العسكر حتى يلحقوا إن شاء الله.

قال علي «عليه السلام»: هذا الرأي.

فخرجوا بالعبد الأسود، والخيّل تعادا، وهو ردف بعضهم عقبة (نوبة)، ثم ينزل فيردف آخر عقبة، وهو مكتوف، فلما انهار الليل كذب العبد، وقال: قد أخطأت الطريق وتركتها ورائي.

قال علي «عليه السلام»: فارجع إلى حيث أخطأت.

فرجع ميلاً أو أكثر، ثم قال: أنا على خطأ.

فقال علي «عليه السلام»: إنّنا منك على خدعة، ما تريد إلا أن تشيننا عن الحيّ، قدموه، لتصدقنا، أو لنضربن عنقك.

قال: فقدم وسل السيف على رأسه، فلما رأى الشر قال: أرايت إن صدقتكم أينفعني؟

قالوا: نعم.

قال: فإني صنعت ما رأيتم، إنه أدركني ما يدرك الناس من الحياء، فقلت: أقبلت بالقوم أدلهم على الحيّ من غير محنة ولا حق فأمنهم، فلما رأيتم منكم ما رأيتم وخفت أن تقتلوني كان لي عذر، فأنا أحملكم على الطريق.

قالوا: أصدقنا.

قال: الحيّ منكم قريب.

فخرج معهم حتى انتهى إلى أدنى الحيّ، فسمعوا نباح الكلاب وحركة النعم في المراح والشاء.

فقال: هذه الأصرام (الجماعات) وهي على فرسخ، فينظر بعضهم إلى بعض.

الفصل الحادي عشر: صنم طيء.. وآل حاتم ٣٣٩

فقالوا: فأين آل حاتم؟

قال: هم متوسطو الأصرام.

قال القوم بعضهم لبعض: إن أفزعنا الحيّ تصايحوا وأفزعوا بعضهم بعضاً، فتغيب عنا أحزابهم في سواد الليل، ولكن نمهل القوم حتى يطلع الفجر معترضاً، فقد قرب طلوعه فنغير، فإن أنذر بعضهم بعضاً لم يخف علينا أين يأخذون، وليس عند القوم خيل يهربون عليها، ونحن على متون الخيل.

قالوا: الرأي ما أشرت به.

قال: فلما اعترضوا الفجر أغاروا عليها، فقتلوا من قتلوا، وأسروا من أسروا، واستاقوا الذرية والنساء، وجمعوا النعم والشاء، ولم يخف عليهم أحد تغيب فملأوا أيديهم.

قال: تقول جارية من الحي وهي ترى العبد الأسود - وكان اسمه أسلم - وهو موثق: ما له هبل، هذا عمل رسولكم أسلم، لا سلم، وهو جلبهم عليكم، ودلهم على عورتكم!

قال يقول الأسود: أقصري يا ابنة الأكارم، ما دلتهم حتى قدّمت ليضرب عنقي.

قال: فعسكر القوم، وعزلوا الأسرى وهم ناحية نفير، وعزلوا الذرية وأصابوا من آل حاتم أخت عدي ونسيات معها، فعزلوهن على حدة.

فقال أسلم لعلي «عليه السلام»: ما تنتظر بإطلاقي؟

فقال: تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

قال: أنا على دين قومي هؤلاء الأسرى، ما صنعوا صنعت.

قال: ألا تراهم موثقين، فنجعلك معهم في رباطك؟

قال: نعم، أنا مع هؤلاء موثقاً أحب إلي من أن أكون مع غيرهم مطلقاً، يصيبني ما أصابهم، فضحك أهل السرية منه، فأوثق وطرح مع الأسرى.
وقال: أنا معهم حتى ترون منهم ما أنتم راؤون.

فقائل يقول له من الأسرى: لا مرحباً بك، أنت جئتنا بهم!
وقائل يقول: مرحباً بك وأهلاً، ما كان عليك أكثر مما صنعت، لو أصابنا الذي أصابك لفعلنا الذي فعلت وأشد منه، ثم آسيت بنفسك.
وجاء العسكر واجتمعوا، فقربوا الأسرى، فعرضوا عليهم الإسلام، فقال: والله، إن الجزع من السيف للؤم، وما من خلود.

قال: يقول رجل من الحي ممن أسلم: يا عجباً منك، ألا كان هذا حيث أخذت، فلما قتل من قتل، وسبي منا من سبي، وأسلم منا من أسلم، راغباً في الإسلام تقول ما تقول؟! ويحك أسلم واتبع دين محمد.

قال: فإني أسلم وأتبع دين محمد. فأسلم وترك، وكان يعد فلا يفى حتى كانت الردة، فشهد مع خالد بن الوليد اليمامة، فأبلى بلاء حسناً.

قال: وسار علي «عليه السلام» إلى الفلّس، فهدمه وخربه، ووجد في بيته ثلاثة أسياف: رسوب، والمخزم، وسيفاً يقال له: البياني، وثلاثة أدرع، وكان عليه ثياب يلبسونه إياها.

وجمعوا السبي، فاستعمل عليهم أبو قتادة، واستعمل عبد الله ابن عتيك السلمي على الماشية والرثة.

ثم ساروا حتى نزلوا ركك (أحد جبال طيء) فاقتسموا السبي، والغنائم، وعزل للنبي «صلى الله عليه وآله» صفيّاً: رسوباً والمخزم، ثم صار له بعد السيف الآخر، وعزل الخمس، وعزل آل حاتم، فلم يقسمهم

الفصل الحادي عشر: صنم طيء.. وآل حاتم ٣٤١
حتى قدم المدينة.

قال الواقدي: فحدثت هذا الحديث عبد الله بن جعفر الزهري، فقال:
حدثني ابن أبي عون قال: كان في السبي أخت عدي بن حاتم لم تقسم،
فأنزلت دار رملة بنت الحارث، وكان عدي بن حاتم قد هرب حين سمع
بحركة علي «عليه السلام»، وكان له عين بالمدينة، فحذره فخرج إلى الشام.
وكانت أخت عدي إذا مر النبي «صلى الله عليه وآله» تقول: يا رسول
الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن علينا من الله عليك.
كل ذلك يسألها رسول الله «عليه السلام»: من وافدك؟
فتقول: عدي بن حاتم.

فيقول: الفار من الله ورسوله؟ حتى يئست.
فلما كان يوم الرابع مر النبي «صلى الله عليه وآله»، فلم تتكلم، فأشار
إليها رجل: قومي فكلميه.
فكلمته، فأذن لها ووصلها، وسألت عن الرجل الذي أشار إليها،
فقبل: علي، وهو الذي سباكم، أما تعرفينه؟
ف قالت: لا والله، ما زلت مُدْنِيَّةً طرف ثوبي على وجهي، وطرف ردائي
على بُرقعي من يوم أُسرت حتى دخلتُ هذه الدار، ولا رأيت وجهه ولا
وجه أحد من أصحابه^(١).

وفي نص آخر: أنه «صلى الله عليه وآله» مضى حتى مرَّ ثلاثاً.

(١) المغازي للواقدي ج ٣ ص ٩٨٥ - ٩٨٩. وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج ٦٩
ص ١٩٤ - ١٩٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٢٣ ص ٢٣٤ - ٢٣٨.

قالت: فأشار إليّ رجل من خلفه: أن قومي فكلّميه.

قالت: فقلت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن عليّ، منّ الله عليك.

قال: قد فعلت، فلا تعجلي، حتى تجدي ثقة يبلغك بلادك، ثم أذنّيني.

فسألت عن الرجل الذي أشار إليّ، فقليل: علي بن أبي طالب.

وقدم ركب من بلى، فأتي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقلت: قدم رهط من قومي.

قالت: وكساني رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وحملي، وأعطاني

نفقة، فخرجت حتى قدمت على أخي، فقال: ما ترين في هذا الرجل؟!

فقلت: أرى أن نلحق به^(١).

وفي نص آخر، قالت: يا محمد، أرأيت أن تخلي عنا ولا تشمت بنا أحياء

العرب؟! فإني ابنة سيد قومي، وإن أبي كان يحمي الذمار، ويفك العاني،

ويشبع الجائع، ويكسو العاري، ويقرّي الضعيف، ويطعم الطعام، ويفشي

السلام، ولم يرد طالب حاجة قط. أنا ابنة حاتم طيء.

فقال لها النبي «صلى الله عليه وآله»: يا جارية، هذه صفة المؤمنين حقاً،

ولو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه، خلّوا عنها، فإن أباهما كان يحب مكارم

(١) الإصابة ج ٤ ص ٣٢٩ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٨ ص ١٨٠ عن ابن إسحاق،

وابن الأثير، وأبي نعيم، والطبراني، والخرائطي في مكارم الأخلاق، وراجع:

السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٠٥ وراجع: شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٤ ص ٤٩

و ٥٠ وأسد الغابة ج ٥ ص ٤٧٥.

الفصل الحادي عشر: صنم طيء.. وآل حاتم ٣٤٣
الأخلاق^(١).

ونقول:

إن لنا مع النصوص المتقدمة وقفات، نجملها فيما يلي من مطالب:

من الذي سبى سفانة؟!:

قد عرفت: أن الذي جاء بسفانة بنت حاتم هو علي «عليه السلام». ولكن ابن سعد يذكر: أن الذي سبها هو خالد بن الوليد، ولا يمكن الجمع بينهما: بأن خالداً كان في جيش علي «عليه السلام»، لأن جيش علي «عليه السلام» كانوا كلهم من الأنصار^(٢).

لا بد من هدم الصنم:

لقد كانت المهمة التي أنيطت بأمر المؤمنين «عليه السلام» هي هدم صنم طيء.. وهذا يمثل تحدياً كبيراً لتلك القبيلة ولكل من كان في تلك المنطقة، فإنهم كانوا يلزمون أنفسهم بعبادته، ويصورونه على أنه قادر على

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٠٥ و (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٢٢٤ والبدية والنهاية ج ٢ ص ٢٧١ وج ٥ ص ٨٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ١٠٩ وج ٤ ص ١٣٢ وتاريخ مدينة دمشق ج ١١ ص ٣٥٩ وج ٣٦ ص ٤٤٦ وج ٦٩ ص ٢٠٢ و ٢٠٣ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٧٦ ومستدرك الوسائل ج ١١ ص ١٩٤ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٤ ص ٢١٠ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج ١٠ ص ٣٩٨ ونهج السعادة للمحمودي ج ٧ ص ٣٦٢ وكثر العمال ج ٣ ص ٦٦٤ والدرجات الرفيعة ص ٣٥٥.

(٢) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٤ ص ٥٠.

أن يضرهم وينفعهم.

وخير وسيلة لإسقاط هذا الاعتقاد، وإظهار خرافيته وزيفه هو: التعرض لذلك الصنم بالهدم، وهو الحد الأقصى للتحدي، بحيث يقصر عنه كل ما عداه.. ويكون هذا الذي يجري على الصنم أبلغ من كل قول، وأدّل من أية حجة، وأوفى من كل بيان..

وذلك لأن هذا الصنم كان هو الوسيلة للتضليل، والخداع، وهو السبب في صدّ الناس عن الهدى، وأصبح التحدي منحصراً به، فلا بد أن لا تبقى له أية حرمة، ولا يمثل التعرض له بالهدم تحدياً للذين يتخذونه وسيلة ضلال وإضلال، فعليهم أن يرضوا بأن يكون هو المحك والمحل لإختبار الصحة والبطلان.. ويكون من حق كل أحد أن يجعله في موضع الإختبار لإظهار زيف ما يدّعون له من قدرات، أو تصرفات، لكي يرى الناس بأم أعينهم: أنه يفقد ما يدّعون له، وتتجلى لهم حقيقته، وكيف أنه لا يضر، ولا ينفع، ولا يبصر ولا يسمع، ولا يضع ولا يرفع، ولا يمنع ولا يدفع..

فإذا نصب هؤلاء الناس العداء لمن يريد أن يبطل حجّتهم، وإظهار بطلان ما يزعمونه لذلك الصنم، وأرادوا أن يواجهوه بالحرب، فذلك يعني: أنهم مصرون على قهر الآخرين، والتسلط عليهم في دينهم وفي اعتقاداتهم من دون مبرر.

وهذا ظلم فاحش منهم لا بد من العمل على إسقاطه، وإفساح المجال للآخرين، لممارسة حريتهم في الفكر، وفي الاعتقاد وفي الممارسة..

من أجل ذلك نقول:

إن لعلي «عليه السلام» كل الحق في أن يبادر إلى هدم الفُلس - صنم

طيء - ليكشف للناس عجزه، وضعفه، وبطلان ما يزعمونه له من قدرات وتأثيرات، لكي يتحرر الناس من الخرافة، وليفقتوا من أيدي المستغلين والظالمين لهم، والمعتدين على كرامتهم الإنسانية، حين رضوا بأن يستخفوا بهم، وأن يدخلوهم في أنفاق مظلمة من الخداع والتضليل، والضياع..

وقد كان «عليه السلام» يعلم أن قبيلة طيء لا بد أن تمنع أيّاً كان من ممارسة هذا الحق الطبيعي في إبطال حجّتهم، وتحطيم وسيلة الخداع والظلم التي في حوزتهم، فاحتاط للأمر وقدم معه عدد قادر على الدفاع، وصد العدوان. وكسر شوكة المعتدي، فجاء بمائة وخمسين، أو مائتي مقاتل..

التحريف والتزييف:

هذا.. ولا مجال للإصغاء إلى ما زعمته الروايات المشبوهة، من أنهم قد «أغاروا على أحياء من العرب، وشنوا الغارة على محلة آل حاتم الخ..»، فإنها تريد أن توحي: بأن مهمة علي «عليه السلام» كانت هي الإغارة على الآمنين، والحصول على الأسرى والسبايا والغنائم، مع أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يأمر سراياه بأن لا يقاتلوا أحداً إلا بعد دعوته إلى الإسلام، وإقامة الحجة عليه، فإذا لم يستجب، واتخذ موقف المعادي، وبأدأهم بالعدوان، وواجههم بالحرب، كان عليهم ردّ عدوانه، وحفظ أنفسهم من سوء ما يواجههم به.

والشواهد على هذا الأمر كثيرة.. ويوجد في ثنايا هذا الكتاب عدد وافر منها، ولا حاجة إلى تكرار ذلك..

آل حاتم محاربون:

بل إن النصوص التاريخية تشير إلى: أن آل حاتم كانوا مع المسلمين في

حالة حرب.

فقد ذكروا: أن جواسيسهم كانت تراقب تحركات المسلمين، وأن أولئك الجواسيس قد وصلوا إلى المدينة نفسها. وقد عرف عدي بن حاتم رئيس قبيلة طي بمسير المسلمين لهدم صنم عشيرته من جاسوس كان لهم بالمدينة، فغادر المنطقة وترك عشيرته، وذهب إلى الشام.

كما أن علياً «عليه السلام» حين سار إليهم وجد عيناً لهم على مسيرة يوم من محالهم، وكانت مهمته هي رصد خيل محمد، حتى إذا رآها طار إليهم، وأخبرهم ليأخذوا حذرهم..

وإذا كانوا مع المسلمين في حالة حرب، فللمسلمين أن يحاولوا أخذهم على حين غرة ليوفروا على أنفسهم خسائر قد تكون جسيمة في الأرواح، وفي المعنويات.

وليس للمحارب: أن ينام، ويقول: يجب على عدوي إذا وجدني أن يقف إلى جانبي ويتظنني حتى أستفيق من غفوتي، وأغسل وجهي، وأخذ سيفي، وأركب فرسي، وأحركها نحوه في اللحظة التي أحب..

علي عليه السلام لا يقسم آل حاتم:

ولقد لفت انتباهنا: أن علياً «عليه السلام» قد عزل خمس غنائم الحرب، ثم قسمها بين المقاتلين، ولكنه لم يقسم آل حاتم.

وهذا يدل على: أنه «عليه السلام» أراد حفظ كرامة أهل الكرامة، ولم يكن يريد إذلال أحد. لأن هذه هي مهمة الإسلام، وعنوان رسالة السماء، ومضمونها العميق، وهو الأمر الذي لم يزل علي «عليه السلام» يجاهد

الفصل الحادي عشر: صنم طيء.. وآل حاتم ٣٤٧
ويضحى في سبيلها.

الراية السوداء:

وقد أشرنا أكثر من مرة إلى أن راية النبي «صلى الله عليه وآله» في حربه لأهل الكفر والشرك كانت سوداء، حتى لقد قال الكميت الأسدي «رحمه الله»:

ولا فارفعوا الرايات سوداً على أهل الضلالة والتعدي^(١)
وقد كانت راية علي «عليه السلام» سوداء، وراية رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم فتح مكة كانت سوداء أيضاً.

هروب عدي بن حاتم:

وقد كان عدي بن حاتم سيد القبيلة ورئيسها. فما معنى: أن يهرب إلى الشام بمجرد أن عرف بتحرك علي «عليه السلام» نحو بلاد طيء، ولماذا لا يبقى في بلده ليواسي عشيرته بنفسه؟! ألا يدلنا ذلك على: أنه كان يعرف مسبقاً بالتناج، فهو قد عرف وسمع بما جرى على يد علي «عليه السلام» في خيبر، وأحد، والخنديق، وقریظة، وحنين، ويوم فتح مكة، وذات السلاسل، وما إلى ذلك.. وهو يعرف قدرات طيء، ولا سيما بعد أن لم يعد هناك من يؤمل نصره. كما أن ذلك يشير إلى إدراكه سخافة عبادة الأصنام، وعدم معقولية الدفاع عنها، وتعريض النفس والأهل والمال والولد للأخطار من أجلها وفي سبيلها..

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٤٣٢.

٣٤٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

ولأجل ذلك اختار دين النصرانية، الذي يزعم أهله أنه سماوي، ورأى أنه أقرب وأولى بالاعتبار من الشرك، وعبادة الأحجار. ولعله هرب إلى الشام أملاً في أن يجد لدى القياصرة - وهم نصارى - ما يمكن أن يعتمد عليه في محاربة الإسلام وأهله..

اصطفى السيوف للنبي ﷺ، ولمن صارت؟!:

١ - تقدم: أن علياً «عليه السلام» اصطفى ثلاثة سيوف لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وذكر ابن هشام عن بعض أهل العلم: أنه «صلى الله عليه وآله» قد وهب رسوباً، والمخزم لعلّي «عليه السلام». قال: وهما سيفا علي رضي الله عنه^(١).

٢ - إنه «عليه السلام» قد اختار السيوف لتكون هي التحفة التي يخصص بها رسول الله «صلى الله عليه وآله» لأنه يعلم أنه «صلى الله عليه وآله» سيد المجاهدين، الباذلين أنفسهم في سبيل الله وقائدهم. حيث إنه لا يفكر بالمال ولا بالمغانم، ولا يريد جاهاً، ولا مقاماً دنيوياً، ولا يسعى للحصول على متعة بشيء من حطام الدنيا، وإنما يفكر بسعادة الناس في الدنيا والآخرة، وهدايتهم إلى طريق الحق والخير، وبكل ما يعينه على ذلك في ميادين الجهاد والتضحيات، مهما عظمت وجلت..

تهديد المتهم:

وبعد أن ظهر: أن ذلك الجاسوس قد حاول أن يخدع المسلمين، تهدده

(١) شرح المواهب اللدنية ج ٤ ص ٤٩.

الفصل الحادي عشر: صنم طيء.. وآل حاتم ٣٤٩
أمير المؤمنين «عليه السلام»، وهذا يدل على: جواز إجبار الأسير على
الإقرار بأمر يُعلم بكتمانه له، إضراراً منه بالمسلمين..
وليس فيه دلالة على صحة إجباره على ما يظن أو يحتمل أنه يكتمه.

تعمد أخذ الأسرى:

وقد أظهرت الرواية السابقة: أن المسلمين كانوا يحرصون على مواجهة
الرجال المقاتلين من آل حاتم بالحرب، وبهدف استئصال الروح القتالية
ضد المسلمين فيهم، لأن ذلك يمنعهم من التفكير بجمع الجموع والعودة
إلى الحرب، ويوفر على المسلمين متاعب، وربما خسائر قد تكون كبيرة أو
كثيرة، وكما أن ذلك قد يسهل دخول هؤلاء الناس في الإسلام لكي
يسعدوا به.. وهذا هو المطلوب.

قتل الأسرى:

ثم إن هؤلاء الأسرى الذين حاربوا الإسلام والمسلمين، وأرادوا أن
أن يطفئوا نور الله بالقول، وبالفعل المسلح، ويريدون منع الناس من قبول
الهداية الإلهية بعد أن أقيمت الحجة عليهم، ولم يبق لهم أي عذر، وقد أسفر
الصبح لذي عينين، لا يستحقون الحياة.

ولو تُركوا فلن يكون لهم دور إلا الفساد الإفساد، والتأمر، والتهئية
لمزيد من الحروب والكوارث.

ولكن الإسلام قد تكرم عليهم حين منحهم فرصة أخيرة، فعرض
عليهم الإسلام، فإذا أبوه، فلا بد من تخليص الناس من شرهم. وفق ما
يمليه الواجب، وتحكم به جميع الشرايع والأعراف.

لم يجبها ﷺ إلا في المرة الرابعة:

لقد لاحظنا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يستجب لطلب سفانة بنت حاتم بأن يمن عليها بعد أن غاب وافدها.. وكان في كل مرة يقول لها: من وافدك؟! فتقول: عدي بن حاتم.

فيقول «صلى الله عليه وآله»: الفأر من الله ورسوله؟ وكانت يثست من استجابته، فسكتت في الرابعة، فحرضها علي «عليه السلام»، على معاودة الطلب، ففعلت، فاستجاب لها.. فما هي الحكمة من تأجيله «صلى الله عليه وآله» الإستجابة لطلبها إلى المرة الرابعة؟! ويمكن أن يجاب: بأنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يجعل من ذلك ذريعة للتأكيد على رعونة موقف أخيها عدي بن حاتم، مع التصريح التعليمي لها، ولكل من تبلغه كلماته بالدليل على فساد هذا التصرف من عدي؛ وخروجه عن حدود المعقول والمقبول. فإن الهروب المنسجم مع موازين العقل والعدل هو ما كان إلى الله ورسوله، لا الهروب منها، لأن الهروب إذا كان منها، فهو طيش ورعونة وافتتان، وإذا كان إليهما فهو حكمة، وروية، واتزان.

والتوقع من أمثال عدي، والمناسب لحاله هو: أن يكون أكثر تعقلاً، وأفضل روية، إذ لا يمكن أن يجهل عاقل بحقيقة أنه تبارك وتعالى مدرك الهاربين، نكال الظالمين، صريخ المستصرخين، موضع حاجات الطالبين. ولا نريد أن نقول أكثر من ذلك.

ولعل مما يؤكد صحة ذلك: أنه «صلى الله عليه وآله» كان في كل مرة يسألها: من وافدك؟ مع أن مما لا شك فيه: أنه قد عرف وافدها منذ الفترة الأولى. ولكنه كان يريد أن تعود إلى التصريح باسمه ليعاود التأكيد على قوله هذا.

وجهها علي عليه السلام وحرص عليها النبي عليه السلام:

ويبقى أن نشير هنا إلى أمرين:

أحدهما: أن علياً «عليه السلام» الذي أسرها، هو الذي حرضها على معاودة طلب المنّ عليها من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وفي ذلك دلالة واضحة على مدى حرصه «عليه السلام» على أن يبلغها ما تريد. ويحفظ لها بذلك عزتها وكرامتها، ربما لما كان يتوسمه فيها من - كونها امرأة حازمة تعرف بسداد الرأي وحسن الاختيار، وذلك سيؤدي بها إلى اختيار الإسلام، ثم تكون سبباً في هداية أخيها عدي، كما صدقته الوقائع بعد ذلك، حيث إن أخاها أخذ برأيها، واختار الإسلام، ثم القدوم على رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وقد كان علي «عليه السلام» قد قسّم الغنائم، وعزل السبي، فلم يقسمهم، بل أرسلهم إلى المدينة، كما تقدم.

الثاني: إن تأخير النبي الأعظم والأكرم «صلى الله عليه وآله» إلى اليوم الرابع، لا يعني: أن استجابته المتأخرة تحتزن الرغبة في أن يعاملها بقسوة، فإنه أجابها بقوله: قد فعلت، فلا تعجلي حتى تجدي ثقة يبلغك بلادك، ثم آذني. فلما علم أنها وجدت ذلك كساها وحملها، وأعطاه نفقة..

وهذا الموقف يشير إلى مدى حرصه «صلى الله عليه وآله» على حفظ هذه المرأة، وعلى رغبته في إكرامها، وعلى راحتها، وسعادتها..

لو كان أبوك مسلماً لترحمنا إليه:

وقد تقدم: أنها ذكرت أباهما للنبي «صلى الله عليه وآله» ووصفته بالكرم. وبغير ذلك من أمور جميلة، فقال لها «صلى الله عليه وآله»: لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه..

وهذه الكلمة الصادقة والمناسبة لمقتضى الحال، لأنها في حين لم تتضمن إشادة منه «صلى الله عليه وآله» بإبيها الذي مات على الشرك، فإنها أيضاً لم تجرح عاطفة سَفَانة، لأنها لم تتضمن جرحاً صريحاً: بل اكتفت بالإشارة إلى أن شرك حاتم يمنعه «صلى الله عليه وآله» من الترحم عليه ف﴿إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(١) كما قال تبارك وتعالى..

ونريد لفت النظر هنا إلى: أن الروايات قد اختلفت في الصيغة التي وردت على لسان رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فبعضها يقتصر على كلمة: «لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه».

وبعضها يضيف إلى ذلك قوله «صلى الله عليه وآله»: يا جارية، هذه صفة المؤمنين حقاً..

أو أنه «صلى الله عليه وآله» قال: خلوا عنها، فإن أباهما كان يجب مكارم الأخلاق..

الفصل الحادي عشر: صنم طيء.. وآل حاتم ٣٥٣
وليس لدينا ما يؤكد صحة صدور هذه العبارات عنه «صلى الله عليه وآله»..

بل إن الرواية التي ذكرت هذه الفقرات قد تضمنت ما يدل على أن ثمة تصرفاً مشيناً في تلك الرواية، حيث زعمت: أن علياً «عليه السلام» قد وصف بنت حاتم بما لا يعقل صدوره منه.

وأنه «عليه السلام» لما رآها عند النبي «صلى الله عليه وآله» أعجب بها، وصمم على أن يطلب من رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يجعلها في فيه^(١)، مع أنه هو الذي سبها، وجاء بها من بلادها إلى المدينة.

سفانة في الشام، وعدي في المدينة:

ويذكرون هنا أيضاً: أن سفانة قد أسلمت وحسن إسلامها، وغادرت المدينة إلى الشام.

قال عدي: «فوالله إني لقاعد في أهلي، إذ نظرت إلى طعينة تصوب إلي تؤمنا.

قال: فقلت: ابنة حاتم، فإذا هي هي.

فلما وقفت علي قالت: أنت القاطع الظالم، ارتحلت بأهلك وولدك، وتركت بقية والدك: أختك وعورتك؟!

(١) تاريخ مدينة دمشق ج ١١ ص ٣٥٩ وج ٣٦ ص ٤٤٥ وج ٦٩ ص ٢٠٢ و ٢٠٣ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٤ ص ٢١٠ ونهج السعادة ج ٧ ص ٣٦١ وكتر العمال ج ٣ ص ٦٦٤ والبداية والنهاية ج ٢ ص ٢٧١ وج ٥ ص ٨٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ١٠٩ وج ٤ ص ١٣١ وسبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٧٦.

قال: قلت: يا خية، لا تقولي إلا خيراً، فوالله ما لي من عذر، ولقد صنعت ما ذكرت.

قال: ثم نزلت، فأقامت عندي.

قال: فقلت لها، وكانت امرأة حازمة: ماذا ترين في أمر هذا الرجل؟
قالت: أرى والله أن نلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبياً، فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكاً فلن نذل في عز اليمن، وأنت أنت.
قال: قلت: والله إن هذا الرأي.

قال: فخرجت حتى أقدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» المدينة،
فدخلت عليه وهو في مسجده، (وعنده امرأة وصبيان، أو وصبي، وذكر
قربهم من رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قال: فعرفت أنه ليس بملك كسرى ولا قيصر)، فسلمت عليه، فقال:
من الرجل؟!

قال: قلت: عدي بن حاتم.

قال أبو عامر في حديثه: فرحب به النبي «صلى الله عليه وآله» وقربه.
وكان يتألف شريف القوم ليتألف به قومه.

قال ابن إسحاق في حديثه: فقام رسول الله «صلى الله عليه وآله»،
فانطلق به إلى بيته.

قال: فوالله إنه لعامد بي إليه إذ لقيته امرأة كبيرة ضعيفة، فاستوقفته،
فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها.

قال: قلت في نفسي والله، ما هذا بملك.

قال: ثم مضى حتى إذا دخل بيته تناول وسادة من أدم محشوة ليفاً،

فقدمها إلي، فقال: اجلس على هذه.

قلت: بل أنت فاجلس.

قال: فقال: بل أنت فاجلس عليها.

قال: فجلست عليها، وجلس رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالأرض.

قال: قلت: في نفسي ما هذا بأمر ملك.

قال أبو عامر في حديثه: فدخل الإسلام في قلبي، وأحببت رسول الله

«صلى الله عليه وآله» حباً لم أحبه شيئاً قط.

قال: ولم يكن في البيت إلا خصاف ووسادة أديم، وقال في حديثه: فلم

يجلس عليها ولم أجلس عليها، ثم أقبل علي، فقال:

هيه يا عدي بن حاتم، أفررت أن توحده الله؟ وهل من أحد غير الله؟

هيه يا عدي بن حاتم، أفررت أن تكبر الله؟ ومن أكبر من الله؟

هيه يا عدي بن حاتم، أفررت أن تعظم الله؟ ومن أعظم من الله؟

هيه يا عدي بن حاتم، أفررت أن تشهد أن لا إله إلا الله؟ وهل من إله

غير الله؟

هيه يا عدي بن حاتم، أفررت أن تشهد أن محمداً رسول الله؟

قال: فجعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول نحو هذا وأنا أبكي.

قال: ثم أسلمت.

قال ابن إسحاق في حديثه: ثم قال: إيه يا عدي بن حاتم، ألم تك

ركوسياً^(١).

(١) الركوسية: طائفة من النصارى والصابئين. أقرب الموارد ج ١ ص ٤٢٨.

قال: قلت بلى.

قال: فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك.

قال: قلت: أجل والله، وعرفت أنه نبي مرسل، يعلم ما يجهل.

وفي نص آخر: فقال: «يا عدي، أخبرك ألا إله إلا الله، فهل من إله إلا

الله؟ وأخبرك أن الله تعالى أكبر، فهل من شيء هو أكبر من الله عز وجل؟

ثم قال: «يا عدي أسلم تسلم».

فقلت: إني على ديني.

فقال: «أنا أعلم منك بدينك».

فقلت: أنت أعلم مني بديني؟

قال: «نعم» يقولها ثلاثاً. «ألست ركوسياً»

فقلت: بلى.

قال: «ألست ترأس قومك؟»

قلت: بلى.

قال: «أولم تكن تسير في قومك بالمربع؟»

قلت: بلى والله، وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يجهل.

قال: «فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك».

قال: ثم قال: لعله يا عدي بن حاتم إنما يمنعك من دخول في هذا

الدين ما ترى من حاجتهم، فوالله لأوشك أن يفيض فيهم - يعني المال - حتى لا يوجد من يأخذه.

ولعله أن يمنعك من ذلك ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم،

فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور

الفصل الحادي عشر: صنم طيء.. وآل حاتم ٣٥٧
البيت لا تخاف.

ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم، وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور من أرض بابل البيض قد فتحت عليهم.

قال: فأسلمت، فكان عدي يقول: مضت اثنتان، وبقيت الثالثة، ووالله لتكونن. لقد رأيت القصور البيض من أرض بابل وقد فتحت عليهم، ورأيت المرأة تخرج على بعيرها لا تخاف إلا الله حتى تحج هذا البيت من القادسية، وأيم الله لتكونن الثالثة، ليفيطن المال حتى لا يوجد من يأخذه»^(١).

في رواية قال: «هل رأيت الحيرة؟»

قلت: لم أرها وقد علمت مكانها.

قال: «فإن الظعينة سترحل من الحيرة تطوف بالبيت في غير جوار لا تخاف أحداً إلا الله عز وجل والذئب على غنمها».

قال: فقلت في نفسي: فأين ذعار طيء الذين سعروا البلاد؟

قال: «فلعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى الملك والسلطان في

(١) تاريخ مدينة دمشق (ط دار الفكر) ج ٦٩ ص ٢٠٠ و ٢٠١ عن السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٢٢٥ فما بعدها و (نشر مكتبة محمد علي صبيح) ج ٤ ص ١٠٠١ و ١٠٠٢ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٢٧٦ - ٢٧٨ عن أحمد، والبيهقي، والطبراني. وراجع: الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة ص ٣٥٣ - ٣٥٤ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٧٦ - ٣٧٧ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٧٥ - ٧٧ وعيون الأثر ج ٢ ص ٢٨٧ و ٢٨٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ١٢٤ - ١٢٦.

٣٥٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦
غيرهم والله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت
عليهم».

وفي رواية: «لفتحن عليهم كنوز كسرى بن هرمز».

قلت: كنوز كسرى بن هرمز.

قال: «كنوز كسرى بن هرمز».

وفي رواية: «ولئن طالت بك حياة، لترين الرجل يخرج بملء كفه من
ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه، وليلقين الله
أحدكم يوم يلقيه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا
جهنم، وينظر عن شماله فلا يرى إلا جهنم، فاتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم
تجدوا شق تمرة فبكلمة طيبة»^(١).

قال عدي: فأسلمت، فرأيت وجه رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد
استبشر، فقد رأيت الطعينة ترحل من الكوفة حتى تطوف بالبيت لا تخاف
إلا الله عز وجل، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت
بكم حياة سترون ما قال أبو القاسم «صلى الله عليه وآله»^(٢).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٧٨ وفتح الباري ج ١٣ ص ٧٢ والبداية والنهاية
ج ٥ ص ٧٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ١٣٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ٣٧٨ عن البيهقي، وأحمد، والطبراني. وراجع:
صحيح البخاري ج ٤ ص ١٧٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٥ ص ٢٢٦ ودلائل
النبوّة للأصبهاني ج ٣ ص ٨٢٥ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٧٩ وج ٦ ص ٢٠٩
وإمتاع الأسماع ج ١٤ ص ٥٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ١٣٠.

الفهارس

- ١ - الفهرس الإجمالي
- ٢ - الفهرس التفصيلي

10/10/10

10/10/10

١ - الفهرس الإجمالي

الباب السادس: أحداث وسرايا.. إلى تبوك..

- الفصل الأول: إبراهيم ابن النبي ﷺ، وربيته زينب..... ٩ - ٤٠
- الفصل الثاني: النبي ﷺ يعتزل نساءه أو يطلقهن ٤١ - ٨٠
- الفصل الثالث: أحداث وقضايا ٨١ - ١١٠
- الفصل الرابع: من سرايا السنة الثامنة ١١١ - ١٤٤
- الفصل الخامس: عينة وبنو تميم ١٤٥ - ١٨٢
- الفصل السادس: ترقيع الدلاء بكتاب رسول الله ﷺ ١٨٣ - ٢٠٠
- الفصل السابع: علي عليه السلام في اليمن ٢٠١ - ١٢٤٢
- الفصل الثامن: عودة علي عليه السلام إلى اليمن ٢٤٣ - ٢٧٦
- الفصل التاسع: علي عليه السلام في بني زبيد ٢٧٧ - ٣٠٢
- الفصل العاشر: معاذ وأبو موسى في اليمن ٣٠٣ - ٣٣٢
- الفصل الحادي عشر: صنم طيء.. وآل حاتم ٣٣٣ - ٣٥٨
- الفهارس: ٣٥٩ - ٣٧٢

بماتوا في يوم يوم عظيم

في يوم يوم عظيم يوم عظيم يوم عظيم

في يوم يوم عظيم يوم عظيم يوم عظيم

في يوم يوم عظيم يوم عظيم يوم عظيم

في يوم يوم عظيم يوم عظيم يوم عظيم

في يوم يوم عظيم يوم عظيم يوم عظيم

في يوم يوم عظيم يوم عظيم يوم عظيم

في يوم يوم عظيم يوم عظيم يوم عظيم

في يوم يوم عظيم يوم عظيم يوم عظيم

في يوم يوم عظيم يوم عظيم يوم عظيم

في يوم يوم عظيم يوم عظيم يوم عظيم

في يوم يوم عظيم يوم عظيم يوم عظيم

في يوم يوم عظيم يوم عظيم يوم عظيم

في يوم

٢ = الفهرس التفصيلي

الباب السادس: أحداث وسرايا.. قبل تبوك..

الفصل الأول: إبراهيم ابن النبي ﷺ، وربيبته زينب..

- ١١..... وفاة زينب ربيبة الرسول ﷺ:
- ١٤..... مهلاً يا عمر، دعهن يبين:.....
- ١٦..... إبراهيم ابن رسول الله ﷺ:
- ١٨..... عائشة: إبراهيم لا يشبه النبي ﷺ:
- ٢٠..... جبرئيل يرى مارية:.....
- ٢٣..... قسوة وجرأة:.....
- ٢٧..... مرضعة إبراهيم:.....
- ٢٨..... كاد يقع في نفس النبي ﷺ:
- ٢٨..... إننا بك يا إبراهيم لمحزونون:.....
- ٣٤..... فضائل ابن عوف:.....
- ٣٤..... الحكمة البالغة:.....
- ٣٥..... النياحة المنهي عنها:.....
- ٣٨..... الصوتان الفاجران الأحقان:.....

الفصل الثاني: النبي ﷺ يعتزل نساءه أو يطلقهن

- ٤٣..... النبي ﷺ يعتزل نساءه: كيف؟ ولماذا؟:.....

٣٦٤.....	الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦
٤٩.....	حديث اعتزال النساء بطريقة أخرى:
٥١.....	النبي ﷺ يهجر عائشة:
٥٥.....	النبي ﷺ يضحك لضرب عمر لزوجته؟:
٥٦.....	التناسب.. والإنسجام:
٥٧.....	حديث الإعتزال بسبب عائشة وحفصة:
٥٨.....	هجر النبي ﷺ لعائشة:
٥٩.....	الإصرار على تضييع الحقيقة:
٦٠.....	الحقيقة المنقوصة:
٦٢.....	الصحيح في القضية:
٦٦.....	قضية المغاير دليل سمو وعظمة:
٦٦.....	طلاق سودة:
٧٤.....	رضا النبي ﷺ أم رضا عائشة!!:
٧٦.....	سبب طلاق سودة:
٧٦.....	من الذي خدع مليكة الكندية؟!:
٧٧.....	طلقها قبل أن يدخل بها:
٧٨.....	أسماء بنت النعمان ضحية أخرى:

الفصل الثالث: أحداث وقضايا

٨٣.....	عتاب بن أسيد يحج بالناس:
٨٤.....	صنع المنبر لرسول الله ﷺ:
٨٥.....	موت النجاشي:
٨٥.....	بيع بعض المسلمين أسلحتهم:

٣٦٥ ..	الفهارس ..
٨٧ ..	كعب بن زهير في محضر رسول الله ﷺ :
٩٠ ..	رواية لا تصح :
٩٥ ..	لماذا أهدر النبي ﷺ دم كعب :
٩٧ ..	معاوية .. وبردة كعب :
٩٩ ..	كعب وقريش .. لا الأنصار :
١٠٠ ..	عمر .. والصلاة على ابن أبي :
١٠٨ ..	عمر يندم على ما صدر منه :
١٠٨ ..	لماذا يصلي النبي ﷺ على ابن أبي ؟ ! :

الفصل الرابع: من سرايا السنة الثامنة

١١٣ ..	بداية ضرورة جداً :
١١٤ ..	سرية الطفيل إلى ذي الكفين :
١١٦ ..	سرية ذات أطلاح :
١١٦ ..	بعث قيس بن سعد إلى صداء :
١٢٦ ..	إرسال ابن العاص إلى ابني الجلندى :
١٣٠ ..	عمرو .. وابنا الجلندى :
١٣٦ ..	ملاحظة هامة :
١٣٧ ..	مهمات أبي زيد ومهمة عمرو :
١٣٧ ..	مهاجري وأنصاري :
١٣٨ ..	الجلندى كيف تلقى الدعوة :
١٣٨ ..	وقفات مع كتاب النبي ﷺ للجلندى :
١٤١ ..	بعث المصدقين :

٣٦٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

سرية إلى بني العنبر: ١٤٢

سرية الضحاك بن سفيان الكلابي إلى القرطاء: ١٤٢

سرية عكاشة بن محصن إلى الجباب (الجناب): ١٤٣

الفصل الخامس: عيينة وبنو تميم

سرية عيينة إلى بني تميم: ١٤٧

صورة أخرى لما حدث: ١٥٤

خزاعة لا تعين بني تميم: ١٥٥

إختلاف الروايات: ١٥٦

تاريخ هذه السرية: ١٥٧

البغي الذميم: ١٥٨

لا مبرر لخوف خزاعة: ١٥٨

فضول يثير القرف، ويلامس المساس بالشرف: ١٥٩

هذا شحّ! أم لؤم؟! ١٥٩

أخذ العفو، لا كرائم الأموال: ١٦٠

تعهد عيينة لرسول الله ﷺ: ١٦١

أعرابي أمير على أعراب: ١٦٢

مدى وفاء عيينة بتعهداته: ١٦٣

حبس الأسرى: ١٦٤

سوء أدب الرؤساء: ١٦٤

بدلاً من الاعتذار: ١٦٦

الأخلاق تعطي للعقل دوره: ١٦٨

٣٦٧	الفهارس ..
١٧٠	مفاخر بني تميم:
١٧٠	لماذا ثابت بن قيس؟!:
١٧٢	ابن الأهم، وابن عاصم:
١٧٤	الله يؤيد حسان ما دافع عن نبيه:
١٧٦	الشاعران يفتخران:
١٧٧	حديث التحكيم:
١٧٩	عيننة في وفد بني تميم:
١٧٩	غرور بني تميم:
١٨٢	بنو تميم، والأعور الدجال:

الفصل السادس: ترقيع الدلاء بكتاب رسول الله ﷺ

١٨٥	ترقيع الدلاء بكتاب الرسول ﷺ:
١٨٦	بعث الضحاك الكلابي إلى القرطاء:
١٨٨	جفينه يرقع دلوه أيضاً:
١٨٩	سرية إلى رعية السحيمي:
١٩١	سرية إلى بني حارثة بن عمرو:
١٩٢	سرايا دعوة:
١٩٣	دعاء النبي ﷺ يناسب منطقهم:
١٩٤	لا يوجد إلا مختل:
١٩٤	جفاء الأعراب:
١٩٥	قتال من يأبى الإسلام:
١٩٦	الأصيد.. لا يقتل أباه:

٣٦٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦
١٩٧ ترقية الدلاء:
١٩٧ السحيمي وابنته:
١٩٨ جفينة أو رعية:

الفصل السابع: علي عليه السلام في اليمن

٢٠٣ سرية خالد وعلي عليه السلام، وإسلام همدان:
٢٠٥ بغضهم علياً عليه السلام:
٢١٣ ثلاث سرايا أم سرية واحدة؟!:
٢١٥ قبلوا من علي عليه السلام ورفضوا دعوة خالد:
٢١٩ إرجاع خالد دون من عداه:
٢٢٠ فغنمت أواقى ذوات عدد:
٢٢١ سرور النبي ﷺ بإسلام همدان:
٢٢٤ لعله يغضب لابنته:
٢٢٧ خير الناس علي عليه السلام:
٢٢٨ ما المبرر لهذا البغض؟!:
٢٣٠ إختلاف أقوال النبي ﷺ:
٢٣٠ علي عليه السلام قابض أم قاسم:
٢٣١ تتابع المخبرين:
٢٣٢ أخذ الكتاب بشماله:
٢٣٤ من كنت مولاه فعلي وليه:
٢٣٤ علي عليه السلام يفعل ما أمر به:
٢٣٥ الغضب العظيم:

٣٦٩.....	الفهارس..
٢٣٦.....	وفد همدان:

الفصل الثامن: عودة علي عليه السلام إلى اليمن

٢٤٥.....	سرية علي بن أبي طالب عليه السلام إلى اليمن المرة الثانية:
٢٤٨.....	أول خيل دخلت إلى اليمن:
٢٤٩.....	إمض ولا تلتفت:
٢٥٠.....	لا تقاتلهم حتى يقاتلوك:
٢٥٠.....	التدرج في الدعوة، والإكتفاء بالسير:
٢٥١.....	هل أتوا بنهب وسبايا؟!:
٢٥٣.....	سيرة علي عليه السلام في الخمس تخالف سيرة غيره:
٢٥٥.....	علي عليه السلام المقرئ والمعلم:
٢٥٦.....	عممه بعمامته، ويده:
٢٥٦.....	القاضي والمعلم لأهل اليمن:
٢٥٩.....	الرواية الأقرب إلى القبول:
٢٦٠.....	النبي ﷺ لم يعلم علياً عليه السلام القضاء:
٢٦١.....	قضاء علي عليه السلام قضاء النبي ﷺ:
٢٦٤.....	شكاية الخصوم إلى رسول الله ﷺ:
٢٦٥.....	علي ليس بظلام:
٢٦٦.....	عودة إلى مسألة التربية:
٢٦٨.....	من وصايا النبي ﷺ لعلي عليه السلام:
٢٧٠.....	هدايا علي عليه السلام من اليمن إلى النبي ﷺ:
٢٧٢.....	علي عليه السلام في اليمن مرة أخرى:

٣٧٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦

عقبة أفيق: ٢٧٣

سفير سلام: ٢٧٣

لماذا غضب أهل اليمن؟! ٢٧٤

لعلها جماعة صغيرة: ٢٧٤

اليمن بلد كبير: ٢٧٤

علي عليه السلام شاب حدث: ٢٧٥

الفصل التاسع: علي عليه السلام في بني زبيد

سرية علي عليه السلام إلى بني زبيد: ٢٧٩

غرور عمرو بن معد يكرب: ٢٨٠

شجعان وفرسان صنعتهم السياسة: ٢٨١

أسئلة لا تجد لها جواباً: ٢٨٣

سبي بني زبيد: ٢٨٣

النص الأوضح، والأصح والأصرح: ٢٨٤

عمرو يرتد في عهد النبي ﷺ: ٢٩٠

علي عليه السلام على المهاجرين، وخالد على الأعراب: ٢٩٠

إلا من شاء الله: ٢٩٥

عدوانية عمرو بن معد يكرب: ٢٩٥

طغيان خالد: ٢٩٦

هزيمة عمرو، وسبي نسائه!! ٢٩٦

استجداء عمرو.. وأريحية خالد!! ٢٩٨

بريدة يشكو علياً عليه السلام إلى رسول الله ﷺ: ٢٩٩

- الفهارس.. ٣٧١ ..
- ماذا عن عمرو بن معد يكرب؟! : ٢٩٩ ..
- كذب عمرو بن معد يكرب: ٣٠٢ ..

الفصل العاشر: معاذ وأبو موسى في اليمن

- بعث معاذ، وأبي موسى الأشعري إلى اليمن: ٣٠٥ ..
- ترديدات تثير الشبهة: ٣٠٩ ..
- اليمن مخلافان: ٣٠٩ ..
- تطاوعا ولا تختلفا: ٣١٠ ..
- قتل اليهودي: ٣١٠ ..
- أبو موسى التقي الورع: ٣١١ ..
- هنات تجعل فضيلة لمعاذ: ٣١١ ..
- معاذ في ميزان السياسة: ٣١٥ ..
- سر تعظيم معاذ بن جبل: ٣١٦ ..
- معاذ بن جبل لم يتول مخلافاً: ٣١٧ ..
- سرية قطبة بن عامر إلى حي من خثعم: ٣١٨ ..
- سرية علقمة إلى ساحل جدة: ٣٢١ ..
- أمير السرية أنصاري أم قرشي؟! : ٣٢٤ ..
- نزول آية طاعة ولي الأمر في ابن حذافة: ٣٢٥ ..
- تنبيه ضروري: ٣٢٩ ..

الفصل الحادي عشر: صنم طيء.. وآل حاتم

- هدم الفُلس - صنم طيء: ٣٣٥ ..
- من الذي سبى سفانة؟! : ٣٤٣ ..

٣٧٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ٢٦
٣٤٣	لا بد من هدم الصنم:
٣٤٥	التحريف والتزييف:
٣٤٥	آل حاتم محاربون:
٣٤٦	علي عليه السلام لا يقسم آل حاتم:
٣٤٧	الراية السوداء:
٣٤٧	هروب عدي بن حاتم:
٣٤٨	اصطفى السيوف للنبي ﷺ، ولمن صارت؟!
٣٤٨	تهديد المتهم:
٣٤٩	تعمد أخذ الأسرى:
٣٤٩	قتل الأسرى:
٣٥٠	لم يجبهها ﷺ إلا في المرة الرابعة:
٣٥١	وجهها علي عليه السلام وحرص عليها النبي ﷺ:
٣٥٢	لو كان أبوك مسلماً لترحمنا إليه:
٣٥٣	سفانة في الشام، وعدي في المدينة:

الفهارس:

٣٦١	١ - الفهرس الإجمالي
٣٦٣	٢ - الفهرس التفصيلي